

مريم بنت ماجد بن أديب عنتابي

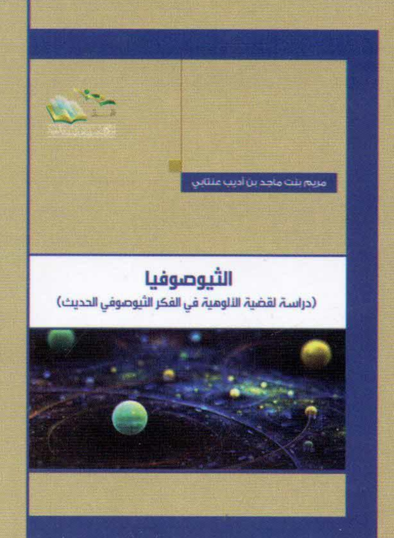
الثيوصوفيا

(دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث)

الثيوصوفيا فلسفة ملفّقة من فلسفات مختلفة قديمة وحديثة تدّعي الوصول إلى معرفة الحقيقة الكاملة عن طريق الحَدْس، أو التجربة الفردية الخاصة. وتعدُّ حركة الثيوصوفي الحديثة إحدى أبرز قنوات نشر الفكر الباطني في العصر الحديث من خلال ترويجها لمعتقدات الفلسفة الشرقية التي نقلتها إلى الغرب، ومن خلاله سوَّقتها إلى العالم أجمع عبر حركة العصر الجديد وتطبيقاتها التي تفنَّنت في ترويج تلك الفلسفات بصور تُظهر الحِياد الديني وتتلبَّس بالظاهر العلمي.

ويمثل كتاب (الثيوصوفيا) نموذجًا مهمًّا يُبيِّن للمؤمنين عامة، وللباحثين خاصة خطورة الفكر الثيوصوفي الحديث الذي يستخدم المصطلحات الدينية بهدف خَلْخَلَتِها ونقضها والتدليس بها؛ فليس في الثيوصوفيا مكان لعقيدة الألوهية على الحقيقة. فهي فكرٌ مُلْحِدٌ يُنكِر وجود الله تعالى وحقائق عالم الغيب، أو يعتبر هذه الحقائق مجرد موجودات ذهنية عند من يعتقدونها. وتتصف لغة الثيوصوفيا في أدبياتها وفلسفتها بالغموض لافتقارها إلى الحقائق الثابتة في مجال الغيبيات.

وهذا الكتاب يوضِّح شيئًا من جوانب الفكر الثيوصوفي ومصطلحاته، وحقيقة المطلق الذي يحاول الباطنيون والمتأثرون بهم التقريب بينه وبين عقيدة الألوهية في الدين الحق، وشتَّان!





الثيوصوفيا

(دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث)



أصل هذا الكتاب

رسالة ماجستير بعنوان (قضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث، عرض ونقد)، بإشراف الدكتورة/ فوز بنت عبد اللطيف كردي. نوقشت بتاريخ ١٤٣٥/١١/٢٣هـ، ومنحت الباحثة درجة الماجستير بامتياز والتوصية بطبع الرسالة وتداولها بين الجامعات

الثيوصوفيا

(دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث)

مريم بنت ماجد بن أديب عنتابي

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

الثيوصوفيا (دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث)

مريم بنت ماجد بن أديب عنتابي

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

تصميم الغلاف: مركز التأصيل

الحجم: ١٧×٢٤سم

التجليد: غلاف

مركز التأصيل للدراسات والبحوث

المملكة العربية السعودية، جدة، طريق الحرمين (الخط السريع)، بجوار كوبري التحلية.

هاتف: ٦٢٨٨٦٨٥ ٠١٢ ٩٦٦ +   ناسوخ: ٢٧١٨٢٣٠ ٠١٢ ٩٦٦ +

ص ب: ١٨٧١٨ جدة ٢١٤٢٥ المملكة العربية السعودية

الموقع الإلكتروني: www.taseel.com

بريد إلكتروني: taseel@taseel.com

إهـــــداء

إلى من هما لي بهجة الحياة، من أجزلا العطاء، وذللا الصّعاب
بدعائهما الدائم لي... أبي ماجد عتابي وأمي آمال خان

أطال الله بقاءهما، وألبسهما ثوب الصحة والعافية،
وأعانني على برّهما

إلى سندي وساعدي... إخوتي وأخواتي

إلى منارة العلم، التي أضاءت بعلمها عقلي، بسماحةٍ
وحلمٍ... أستاذتي

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع.

الباحثة

المقدمة

الحمد لله الكريم الرحمٰن، اللطيف المنّان، أحيى قلوبنا بمعرفته والإيمان به، وأنار نفوسنا بما أنزله في كتابه من أنوار الهداية، فكرمه جزيل ورحمته واسعة، فله الحمد كله أوله وآخره، له الحمد كالذي نقول وخيرًا مما نقول، له الحمد كما يقول ـ سبحانه ـ لا أحصي ثناءً عليه. والصلاة والسلام على الهادي الأمين، أعرَفَ الخلقِ بربه، وأكثرَهم خشيةً له، وعلى آله وصحبه ومن تَبِعَهُم بإحسانٍ إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فإن معرفة العبد بمقام الألوهية هي أعظم المطالب وأجلَّها، فحاجة كل إنسان إلى معرفة إلٰه الكون وموجده والعلاقة به حاجة ضرورية، مركوزة في الفطر، وقد جُبلت النفوس على طلبها والبحث عما يسدّها، لذا كانت المعرفة بها، والاهتداء للحق في موضوعها رأس صلاح الدين والدنيا، وأصل النجاة في الدارين، وهي أهم أبواب الاعتقاد التي اشتغل كثيرون بالبحث عن الحق فيها على مرّ العصور.

ولما كانت المعرفة التفصيلية بـ(قضية الألوهية) متعلقةً بالغيب المحض، فقد ساق الله ﷻ فيما أوحى إلى أنبيائه وأنزل من كتبه ما بيّنها ووضحها وأقام بها الحُجَّة، فاهتدى المؤمنون بنور الوحي إلى الإلٰه الحق، فعرفوه، وعرفوا مراده، والطريق الموصل إليه؛ بينما ضلَّ كل من لم يهتدِ بنور الوحي عن كامل الحقيقة مهما تنوعت أقوالهم واختلفت مشاربهم؛ فمنهم من تجاهل فطرته واستكبر وزعم أنه: لا إلٰه والوجود مادة! ومنهم من اتبع هواه أو عظّم عقله المحدود ببشريته، وظن أنه يهديه إلى مراده استقلالًا، فتخبط في مسالك فلسفية شتى وتلاعب به الشيطان وزيَّن له غير طريق الهدى.

وإنّ قراءة تاريخ الانحراف عن الحق في (قضية الألوهية) واستقصاء طرقه وأفكاره يوضح للمتلقي مدى الزيغ والضلال الذي وصلت إليه هذه الفلسفات، والتي يعد من أخطرها ما حمل السمات الباطنية، القائمة على إخفاء حقيقة معتقدها، والترويج لأفكارها من خلال دسّ السم في العسل، ومجاراة المتلقي فيما يحمله من أفكار ومعتقدات، ثم زعزعتها في نفسه بالتدريج.

وتُعدّ حركة الثيوصوفي الحديثة إحدى قنوات نشر الفكر الباطني الخطير، والترويج لمعتقدات الديانات الشرقية؛ حيث نقلتها إلى الغرب، ومن خلاله إلى العالم أجمع، بدعم من حركات روحانية متنوعة تفننت في طرق نشره وترويج فكره. لذا كان من الأهمية بمكان أن يُعرف الباطل بتفصيلاته لتجنب الوقوع فيه، ومستند ذلك حديث حذيفة بن اليمان ﷺ حينما قال: «كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عنِ الخَيرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أنْ يُدْرِكَني»[1].

وتُمثل (الثيوصوفيا «دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث») نموذجًا مهمًّا يُبين للمؤمنين عامة، وللباحثين خاصة خطورة الفكر الثيوصوفي الحديث؛ الذي هو امتداد للفكر الباطني القديم، ذلك الفكر القائم على فلسفة ملحدة حقيقة قولها: إنكار الإله الحق، واستبدال الغيب الحق بخرافات باطلة.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبرز أهمية موضوع البحث في أنه يمثّل موضوعًا جديدًا لم تتناوله دراسة علمية سابقة استقلالًا ـ بحسب ما تتبعت ـ؛ فهو يتناول (قضية الألوهية) التي هي أهم قضايا الاعتقاد في فكر فلسفي روحاني يُعد من التوجهات الفكرية البارزة في العصر الحديث.

وقد اخترت الكتابة في هذا الموضوع للأسباب التالية:

١ ـ جدّة الموضوع ومعاصرته، وكونه يتعلق بالعقائد المؤثرة في حياة الناس اليومية وعقيدتهم في الله، والعلاقة به.

---

(١) صحيح البخاري، ح٧٠٨٤، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ٩/٥١، وصحيح مسلم، ح٤٨٩٠، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، ٦/٢٠.

٢ ـ الحاجة العلمية والدعوية إلى الكشف عن الأصول العقدية للفكر الثيوصوفي الباطني، وجمعية الثيوصوفي التي نشرته وروجت لأفكاره وعقائده.

٣ ـ الإسهام في الحد من خطر الفكر الباطني الوافد الذي ينال من عقيدة التوحيد ويشكل خطرًا عظيمًا على عقيدة الأمة؛ لتخفّيه في تطبيقات حياتية معاصرة لا تُظهر حقيقته.

الدراسات السابقة:

موضوع هذه الدراسة موضوع جديد؛ فلم أقف ـ فيما بحثت ـ على دراسة مستقلة تناولت جمعية الثيوصوفي وفكرها، فضلًا عن أن تتناول نظرتها لـ(قضية الألوهية). وقد نشأت فكرة هذا الموضوع استجابةً لتوصية علمية تضمنتها توصيات بحث (أصول الإيمان بالغيب وآثاره)، للدكتورة فوز بنت عبد اللطيف كردي، عام ١٤٢٧هـ. الذي أشار إلى خطر الثيوصوفيا ودعا الباحثين إلى دراسة الحركات والجمعيات الدينية الروحية في الغرب. وقد أُشير إلى موضوع الفكر الثيوصوفي وجمعيته بعد ذلك في ثنايا دراسات عقدية تخصصية في الفكر الباطني الحديث وجمعياته، إلا أنها لم تكن أكثر من مبحث موجز يعرّف بالجمعية ومخاطرها وطرائق ترويجها للعقائد الباطنية ضمن موضوعات أعم. وفيما يلي تعريف بهذه الدراسات:

١ ـ بحث (حركة العصر الجديد «دراسة لجذور الحركة وفكرها العقدي، ومخاطرها على الأمة الإسلامية»)، للدكتورة: فوز بنت عبد اللطيف كردي، وهو منشور في مجلة جامعة أم القرى عام ١٤٣١هـ، تناولت فيه الباحثة جمعية الثيوصوفي باعتبار أثرها في تكوين حركة العصر الجديد، واعتماد الأخيرة على فلسفاتها العقدية الباطنية.

٢ ـ بحث (التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية «دراسة عقدية») للدكتورة: هيفاء بنت ناصر الرشيد، وهو رسالة علمية قُدّمت لنيل درجة الماجستير في تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة إلى كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد طبعت عام ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م. وذكرت فيه الباحثة الفكر الثيوصوفي باعتباره أساسًا للفكر الباطني الحديث الذي قامت عليه التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية وكانت سببًا في نشره.

٣ ـ بحث (حركة العصر الجديد «مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها» عرض ونقد)، للدكتورة: هيفاء الرشيد، وهو رسالة علمية قُدمت لنيل درجة الدكتوراه إلى كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وطبعت عام ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م. وتضمنت ذكر جمعية الثيوصوفي باعتبارها إحدى الحركات التي أسهمت في نشأة حركة العصر الجديد ورفدت فلسفاتها الباطنية.

وقد استفدت من هذه الدراسات بشكل كبير، وخصصت دراستي في موضوع الفكر الثيوصوفي بشكل مستقل، ومحدد بـ(قضية الألوهية) في الفكر الثيوصوفي، الأمر الذي لم تتناوله تلك الدراسات مما يجعله موضوعًا جديدًا ومهمًّا في بابه. وإني لأرجو أن يكون بحثي هذا من أوائل المراجع العلمية العربية التي تبين حقيقة هذا الفكر الباطني وآثاره ومخاطره، وتُسهم من ثم في التحذير منه.

أسأل الله ﷻ أن يوفقني لأقدم فيه ما يُسهم في إثراء مكتبة المذاهب الفكرية المعاصرة، ويخدم الباحثين من بعدي في مجال العقيدة والدعوة، ويفتح أمامهم آفاقًا لأبحاث تتكامل وتكشف جوانب الفكر الباطني الحديث وخطره.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، بيانها فيما يلي:

المقدمة:

وتضمنت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه.

التمهيد، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تعريف (الألوهية).
- المطلب الثاني: تعريف (الثيوصوفيا).

الفصل الأول: نشأة الفكر الثيوصوفي ومبادئه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشأة الفكر الثيوصوفي، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الاتجاه الباطني الحديث وحركاته المعاصرة.
- المطلب الثاني: نشأة الفكر الثيوصوفي وتاريخه.

المبحث الثاني: أهداف جمعية الثيوصوفي ومبادئها، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: أهداف جمعية الثيوصوفي.
- المطلب الثاني: مبادئ جمعية الثيوصوفي.

الفصل الثاني: أصول المعرفة ومصادرها في الفكر الثيوصوفي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أصول الفكر الثيوصوفي، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الفلسفة الباطنية.
- المطلب الثاني: الديانات الشرقية (الهندوسية، والبوذية).
- المطلب الثالث: الباطنية الكتابية (الغنوصية، والكبالا).

المبحث الثاني: مصادر المعرفة الغيبية في الفكر الثيوصوفي، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: المنقول الباطني.
- المطلب الثاني: الاستبصار الباطني.
- المطلب الثالث: الحدس.
- المطلب الرابع: الاستسرار والتأهيل الباطني.

الفصل الثالث: مفهوم (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العقائد المتعلقة بمفهوم (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: الاعتقاد بوجود مطلق.
- المطلب الثاني: الاعتقاد بالفيض.
- المطلب الثالث: الاعتقاد بوحدة الوجود.
- المطلب الرابع: الاعتقاد بالاتحاد والحلول.

المبحث الثاني: حقيقة (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: (ألوهية الثيوصوفيا) غامضة مجهولة.
- المطلب الثاني: (ألوهية الثيوصوفيا) عدمية سلبية.

الفصل الرابع: آثار الفكر الثيوصوفي وموقف الإسلام منه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آثار الفكر الثيوصوفي، وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: دعم الفكر الباطني الحديث.

- المطلب الثاني: الإسهام في نشر أنواع الإلحاد.
- المطلب الثالث: إعطاء معرفة مغلوطة عن الإنسان والكون.
- المطلب الرابع: صرف الناس عن التوجه لله ﷻ وإفراده بالعبودية.
- المطلب الخامس: القول بنسبية الحقيقة.

المبحث الثاني: موقف الإسلام من الفكر الثيوصوفي، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: موقف الإسلام من مصادر المعرفة الثيوصوفية.
- المطلب الثاني: موقف الإسلام من (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي.
- المطلب الثالث: محاولات التوفيق بين الفكر الثيوصوفي والإسلام.

الخاتمة، تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

اتَّبعتُ في دراسة هذا البحث المنهج التاريخي في الكشف عن جذور الفكر الثيوصوفي وأصوله، والمنهج الوصفي التحليلي في عرض مبادئ الفكر وبيان عقيدته الفلسفية، والمنهج الاستنباطي النقدي في كشف حقيقة هذا الفكر وآثاره، وموقف الإسلام منه. والتزمت في إعداده ما يلي:

١ ـ الاعتماد على المصادر الأصيلة في عرض فلسفة الثيوصوفيا ومعتقداتها.

٢ ـ عزو الآيات القرآنية أو أجزائها إلى سُوَرها مع ذكر رقم الآية.

٣ ـ عزو الأحاديث الواردة في البحث إلى مصادرها الأصلية وكتابتها بين قوسين هلاليين.

٤ ـ الاقتصار عند التوثيق على المعلومات الأساسية للمراجع (الكتاب، المؤلف، الجزء والصفحة)، وإثبات المعلومات التفصيلية عن بيانات النشر في فهرس المصادر والمراجع.

٥ ـ الإحالة إلى مصادر المعلومات الإلكترونية بنفس طريقة الإحالة إلى المراجع، مع إضافة رابط الموقع (عنوان المقال، المؤلف، الموقع).

٦ ـ التزمت الترجمة للأعلام، والتعريف بالمصطلحات والبلدان غير المعروفة عند أول موضع ترد فيه إن لم يكن لها تعريف في أصل البحث.

٧ ـ التزمت التعريف الموجز بالفرق، والمذاهب، والأديان غير السماوية

الواردة في البحث عند أول موضع ترد فيه إن لم يكن لها تعريف في أصل البحث.

٨ ـ تجاوزت الأخطاء الشائعة في ترجمات الألفاظ في الكتب المترجمة، وأثبت الألفاظ الصحيحة بدلًا عنها[١].

منهجي في الترجمة:

١ ـ أثبت المراجع الأجنبية بلغتها الأصلية ليتم التميز بينها وبين المراجع المترجمة.

٢ ـ الإحالة إلى المراجع الأجنبية بنفس طريقة الإحالة إلى المراجع العربية (الكتاب، المؤلف، الجزء والصفحة).

٣ ـ ما ترجمته حرفيًا وضعت نصه بين معكوفتين، وما ترجمته بالمعنى أحلت إلى أصله مسبوقًا بلفظ (انظر).

هذا؛ وقد اكتنفت مسيرتي في هذا البحث صعوبات متعددة، أبرزها: ندرة المراجع العلمية العربية فيه، وقلة الدراسات السابقة في موضوعه. الأمر الذي استغرق مني وقتًا طويلًا في البحث والترجمة، وأنا محكومة بمدة زمنية إضافة إلى مهامي التدريسية والأكاديمية، وقد بذلت جهدي مستعينة بالله راجية منه التوفيق والبركة، والحمد لله الذي يسر لي إتمامه. ولا يزال البحث بحاجة إلى مراجعة تكمّل نقصه، وتزيد جودته.

وختامًا؛ فما كان في هذه الرسالة من حُسنٍ وسدادٍ، فإنما هو توفيق من الله ﷻ، فله الحمد والشكر، وما كان فيها من قصور فمرده إلى قصر باعي، وقلة بضاعتي، والله أسأل أن يهديني الرشد والصواب، وأن يتقبل مني عملي، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) انظر مثال ذلك: التمهيد، المطلب الثاني، معنى الثيوصوفيا في الاصطلاح.

التمهيد

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف (الألوهية).

المطلب الثاني: تعريف (الثيوصوفيا).

المطلب الأول

تعريف (الألوهية ـ Divinity)

الألوهية في اللغة:

«الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبُّد»[١]، والأُلُوهِيَّة من ألَهَ، و(الإله) هو المعبود، سواءٌ كانت عبادته بحقٍّ أو بغير حق. فاسم (الإله) يُطلق على من يُوجّه إليه الخضوع والتقديس والتعظيم، فيُضرع إِلَيْهِ فِي المصائبِ ويُلْجأُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أمر[٢]. ومن معاني الإله: الاحتجاب والحَيرة، فالمعبود يكون متواريًا عن الأنظار تُحارُ فيه العقول ولا يُدركه الناس[٣]. والإله الحق هو الله تعالى، ويُطلق الإله على ما يُتخذ من دونه معبودًا عند متخذيه. والجمع آلهة، وحقه ألا يُجمع باعتباره الإله الحق إذ لا معبودَ سواه[٤]. والإلهيات: «كل مَا

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/١٢٧.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٣/٤٦٧ ـ ٤٦٩، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص١٢٤٢.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٨٣، ولسان العرب، ابن منظور، ١٣/٤٦٧، ٤٦٩، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٦/٢٢٢٤.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٨٢ ـ ٨٣، ولسان العرب، ابن منظور، ١٣/٤٦٧.

يتَعَلَّق بِذَات الْإِلَه وَصِفَاته»[(١)].

و«التَأَلُّهُ: التَنَسُّكُ والتَعَبُّدُ»[(٢)]، والألوهية: العبوديّة؛ أي: التوجه بالعبادة إلى الإلٰه الحق ﷻ، أو إلى الآلهة الباطلة، فالعبادة تكون لمن يُعتقد نفعه وغناه وقدرته. وكل من عبد شيئًا سَكَن إليه. تقول العرب: ألهتُ إلى فلان؛ أي: سكنت إليه أو لجأت، وألِه الرجلُ إلى الرجل إذا اتجه إليه شوقًا. ويقال: أله الفصيل إذا ولع بأمّه[(٣)].

الألوهية في العقيدة الإسلامية:

تتمحور العقيدة الإسلامية حول قضية (الألوهية ـ Divinity)؛ فتوحيد الله ﷻ الذي تقوم عليه العقيدة ينقسم إلى توحيد معرفة وإثبات؛ وهو إقرار بالله، وبأسمائه وصفاته، والإيمان بوجوده وربوبيته. وتوحيد قصد وطلب؛ وهو إفراده بالألوهية والعبودية وحده دون سواه.

ولفظ (الألوهية) إذا ذُكر مطلقًا في نصوص الوحي دلّ على الإلٰه الحق المستحق للعبادة وحده دون سواه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. أما إذا كان سياق الحديث عن أهل الشرك فيُراد به الآلهة الباطلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ۝٧٤﴾ [يس: ٧٤].

وفيما يلي تفصيل هذه الإطلاقات:

أولًا: الإلٰه الحق:

معرفة الإلٰه الحق في العقيدة الإسلامية مصدرها الأول الكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢]، فذكر أنَّ هذا القرآن بلاغ لجميع الخلق؛ ليتّعظوا به وليستدلّوا بما فيه من الحجج والدلالات على معرفة الإلٰه الحق، لا إلٰه إلا هو[(٤)]. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص٢٥.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٦/٢٢٢٤.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٣/٤٦٨، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص١٢٤٢.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/٤٤٩.

سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]؛ أي: «فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه»(١).

ومن أدلة السُّنَّة قول الرسول ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ...**»(٢)، وقوله: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٣).

والإله الحق الذي تدل عليه النصوص الصحيحة هو:

ـ إله من في السماء وإله من في الأرض، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام: ٣]، فله ملك السماوات والأرض وما بينهما، هو خالقهما ومالكهما، والمتصرف فيهما بلا مدافعة ولا ممانعة، لا يخرج عن ملكه شيء وكل ما سواه مربوب مفطور مُعبّد مقهور فقير إليه سبحانه(٤).

ـ وهو الذي له الذات الإلٰهية ﷻ، قائم بنفسه(٥)، متفرد بصفات الكمال، ومنزّه عن صفات النقصان(٦)، مباين لخلقه متميز عنهم؛ وليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وهو بكماله فوق سماواته مستوٍ على

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ٢٢/ ١٧٣.

(٢) صحيح البخاري، ح٨، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس**»، ١/ ١١، وصحيح مسلم، ح١٢٢، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**بني الإسلام على خمس**»، ١/ ٣٤. واللفظ للبخاري.

(٣) صحيح البخاري، ح٥٨٢٧، كتاب اللباس، باب الثياب البيض، ٧/ ١٤٩، وصحيح مسلم، ح٢٨٣، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ١/ ٦٦.

(٤) انظر: التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد، ابن مَنْدَه، ٢/ ٥٤، والعبودية، ابن تيمية، ص١٠٤.

(٥) انظر: نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد، عثمان بن سعيد الدارمي، ١/ ٤٩٨.

(٦) انظر: الفقه الأكبر، أبو حنيفة، ص١٤، ١٨، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٥/ ٢٦، ٨٠.

عرشه، عالٍ على خلقه بائنٌ منهم؛ مع قربه منهم وعلمه بهم ومعيته لهم بلا اختلاط ولا حلول[(١)].

- وهو العظيمُ في ذاته وصفاته، فلا تحيط به العقول ولا تدركه الأفهام، ولا تصل إلى عظمته الظنون[(٢)]، إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، و﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فلا يعلم كيف هو إلا هو ﷻ، وإنما نعرفه بصفاته، وهو أنّه أحدٌ صمدٌ، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فالأحدية منافية لمطلق المشاركة، والصمدية مثبتة لجميع صفات الكمال، الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه، ونفي الوالدية والمولودية من لوازم غناه وصمديّته وأحديته، ونفي الكفء متضمن نفي الشبيه والنظير[(٣)].

فهذا هو الإلٰه الحق الذي تدل عليه النصوص، وتتوجه إليه الفطر السوية، ومن لم يعرف الله بهذه الصفات التي وصف بها نفسه في كتابه، ورواها عنه نبيّه ﷺ لم يعرف إلٰهه الذي يعبد، ومن لم يقصد بإيمانه وعبادته صاحب هذه الصفات فإنما يعبد غير الله، ومن قصد بعبادته إلى إلٰهٍ بخلاف هذه الصفات، فإنما يعبد غير الله، وليس معبوده بإلٰه حق[(٤)].

وقد احتج الله تعالى على من يتخذون آلهة غير الله بما يقرون به من ربوبيته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣]، فإنّ مشركي العرب كانوا مقرين بأنّ الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا يتخذون آلهةً

---

(١) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة، أحمد بن حنبل، ص١٥٠، والإبانة الكبرى، ابن بَطَّة العكبري، ٧/١٣٦، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١/٣٦٧، ٥/٢٨، ٨٠، ١٢١، والعقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السُّنَّة والجماعة، ابن تيمية، ص٨٣ ـ ٨٥، والعبودية، ابن تيمية، ص١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) انظر: تخريج العقيدة الطحاوية، الطحاوي، ص٣٣ ـ ٣٤، والتوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد، ابن منده، ٢/٨٤.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ١/٨٤، وشرح العقيدة الواسطية، محمد بن خليل هرّاس، ص٨٣.

(٤) انظر: الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، ص١٤، ٣٩، ٥٥.

أخرى يعبدونها بغير حق[١]. والعبادة لا تصلحُ ولا تجوز إلا للمتفرِّد بالربوبية سبحانه، ولهذا دعا كل الرسل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونزلت بذلك جميع الرسالات قبل أن تطالها أيدي التحريف، وما بقي منها صافيًا نقيًّا يثبت الحق ويدعو إليه إلا ما تكفل الله بحفظه في شريعة الإسلام وكتابها المعصوم. والتألّه والتعبّد للإله الحق (الله) أمر مقصود لذاته، غايته الامتثال لأمر الله وتحقيق شرعه للفوز برضاه، وليس بغية حصول اتحاد[٢] أو اندماج في ذات الله كما يزعم كثير من أهل الضلالات وأتباع الفلسفات ـ تعالى عن قولهم علوًّا كبيرًا ـ.

ثانيًا: الآلهة الباطلة:

كما تُطلق لفظة (الألوهية) في العقيدة الإسلامية على الإله الحق، فإنها كذلك تُطلق على الآلهة الباطلة باعتبار كونها تُعبد من دون الله، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ [مريم: ٨١]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣]. سمى الله سبحانه ما عُبد من دونه (آلهة)، فالمشركون عبدوا آلهة غير الله، ظنًّا أنّها تنصرهم وتعزّهم وهي لا تقدر على خلق شيء، بل هي مخلوقة لا تملك ضرًّا ولا نفعًا، قال تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾ [القصص: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [القصص: ٨٨]؛ أي: لا تعبد معبودًا آخر سواه، فلا معبود تصلح له العبادة إلا الله[٣].

وقال تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس: ٢٣]، فاتخاذ الوسيط بين الله وعباده يُعدّ

(١) انظر: تجريد التوحيد المفيد، تقي الدين المقريزي، ص٨، ودرء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ١/٢٢٦.

(٢) يأتي التعريف به في الفصل الثالث.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ١٨/٢٤٩، ١٩/٦٤٣، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/٢٣١، ٦/٨٥، ٦/٢٣٥.

عبادة من دون الله، وإن كانت الغاية صحيحة والنية حسنة؛ فلا يوجد في الإسلام تقديسٌ وتعظيم لغير الخالق سبحانه، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، سمى الله تعالى ما كان يُعبد ظنًّا ورجاءً في شفاعته عند الله (آلهة)(١).

وكلّ اتباع لشرع غير الله تعالى يُعدّ تأليهًا للمشرّع واتخاذه إلهًا من دون الله، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١]. والتعبير بلفظ (الربوبية) هنا بمعنى الألوهية من طاعة واتّباع وعبادة؛ ذلك أنّ التشريع حق خالص لله وحده ومن خصائص ربوبيته تعالى، فمن اتّبع شرعًا غير شرع الله فقد أشرك(٢). وقد يكون المراد من التعبير بـ(أرباب) أنّهم أثبتوا في حقهم الحلول(٣) والاتحاد(٤).

وكذلك جاء التعبير بلفظ الآلهة في السُّنَّة النبوية على الآلهة الباطلة، ففي الحديث: «أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ...»(٥).

فلفظ (الإله) في نصوص الوحي عندما يُطلق على الآلهة الباطلة، يكون باعتبار اتخاذها آلهة معبودة، وهو ما يحدث عندما يوجد في هذه الآلهة المتخذة من دون الله ما يشتبه عند العابدين لها بصفات الإله، ومن ذلك:

١ ـ اعتقاد نفعها أو ضرها، والقدرة على نفاذ حكمها وأمرها في العالم.

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ١٥/ ٤٦.
(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، ١٤/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩، ٢١/ ٥٢٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/ ١٨٢.
(٣) يأتي التعريف به في الفصل الثالث.
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ١٦/ ٣١.
(٥) صحيح البخاري، ح١٦٠١، كتاب الحج، باب من كبر في نواحي الكعبة، ٢/ ١٥٠.

٢ ـ اعتقاد شفاعتها عند الله، فتُدعى وتُعظّم ويستعان بها ظنًّا بأن شفاعتها تُقبل لا محالة، وأنّ لها نفوذًا وقدرةً على إعانة متخذيها.

٣ ـ اعتقاد سلطتها ووجوب طاعتها فيما نهى الله عنه، فيأتمرون بأمرها وينتهون عما نهت عنه، ويتبعونها فيما تحلّله وتحرمه، ويزعمون أن لها الحق في أن تأمر وتنهى بنفسها، وأن ليس فوقها سلطة قاهرة تحتاج إلى الرجوع والاستناد إليها.

والحق أن كل ألوهية سوى الله ألوهية باطلة، ومجرد تسمية ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم: ٢٣]، فهي وإن عُبدت وتألّه إليها من ضل، إلا أنها ليست أهلًا للعبادة، فهي آلهة معبودة بدون حق، ولذلك كانت آلهة باطلة[١]. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [لقمان: ٣٠].

ويتبيّن مما سبق أنّ عماد الأمر في قضية الألوهية هو أن كلًّا من الألوهية والربوبيّة تستلزم الأخرى، فالذي لا ربوبية له، لا يمكن أن يكون إلٰهًا ولا ينبغي أن يُتخذ إلٰهًا. وقد كانت الدعوة إلى توحيد الألوهية وتحقيق معنى العبودية لله وحده لا شريك له هي غاية خلق الخلق ومن أجلها كان إرسال الرسل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد العثيمين، ص٢٧.

المطلب الثاني

تعريف (الثيوصوفيا ـ Theosophy)

معنى (الثيوصوفيا) في اللغة:

(ثيوصوفيا ـ Theosophy) لفظ أصله كلمتان يونانيتان: (ثيوس ـ Theos)، وتعني: إلٰه أو آلهة، أو أمر مقدس أو سماوي[١]. إلا أن لفظ إلٰه أو إلٰهي ينبغي أن يُفهم من السياق الثيوصوفي الذي هو اعتقاد بوجود مطلق[٢]، متجاوز[٣] عن المخلوقات يتجلى ويظهر في الكائنات المتعددة باعتبار عقيدة وحدة الوجود[٤]، تقول (هلِنا بلافاتسكي ـ Helena Blavatsky)[٥] [١٨٣١ ـ ١٨٩١م]: «لفظ (ثيوس)

---

(١) يُترجم لفظ (ثيوس) في كثير من الترجمات العربية بـ(الله) وهو خطأ فادح، فالله ﷻ علمٌ على الذات الإلٰهية المتصفة بكل صفات الكمال والجلال على التفصيل والإجمال، أما الإلٰه فقد يكون الإلٰه الحق (الله) وقد يكون إلهًا باطلًا وطاغوتًا معبودًا من دون الله. انظر مثلًا: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحنفي، ص٢٤٠.

(٢) الوجود المطلق: يأتي التعريف به في الفصل الثالث.

(٣) أي: يتجاوز في صفاته إدراك البشر وعقولهم وقدراتهم.

(٤) يأتي التعريف بها في الفصل الثالث.

(٥) هي: مؤسِسة جمعية الثيوصوفي، يأتي التعريف بها في الفصل الأول، نشأة الفكر الثيوصوفي وتاريخه.

في اليونانية يعني: إله؛ أي: أحد الكائنات السامية، وليس بالتأكيد (إله) بالمعنى المرتبط باللفظ هذه الأيام»[١].

و(صوفيا ـ Sophia)، وتعني: الحكمة أو المعرفة. وتُترجم (ثيوصوفيا) في الأدبيات الثيوصوفية بمعنى: (الحكمة الإلهية ـ Divine Wisdom)[٢]، أو حكمة الآلهة[٣]، أو المعرفة الإلهية، أو العلم الإلهي[٤].

ويُعبر عنها في الموسوعات والمعاجم اللغوية الغربية بـأنها: معرفة الأمور الإلهية، أو الحكمة المتعلقة بالإله، أو الحكمة في الأمور المتعلقة بالإله[٥].

معنى (الثيوصوفيا) في الاصطلاح:

يطلق اسم (الثيوصوفيا) اليوم على الجمعية التي أسستها (هلِنا بلافاتسكي ـ Helena Blavatsky) التي تبنت الفكر الباطني في أمريكا، وعلى التعاليم التي قامت بنشرها وترويجها[٦].

وباستقراء تعريفات هذا المصطلح من مظانها المتنوعة نجدها تتنوع بحسب توجّهات مصادرها إلى ثلاثة أنواع:

١ ـ **تعريفات الموسوعات والمعاجم اللغوية**، وهي تعريفات حياديّة، ونقديّة غالبًا. ومنها ما أصله عربي، ومنها المترجم الذي ينبغي أن يُنتبه فيه إلى أخطاء الترجمة الشائعة بشكل عام والمتعلقة بالعقائد بشكل خاص، مثل: ترجمة لفظ

---

(١) The Key To Theosophy, Blavatsky, 1.
وانظر: Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 149.

(٢) والثيوصوفيا أبعد ما تكون عن الحكمة، ويُقصد بالحكمة عندهم: التعاليم الباطنية الاستسرارية التي يعتقدها الثيوصوفيون ويمارسونها كمنهج حياة.

(٣) انظر: Ibid, and The Theosophical Glossary, Blavatsky, 302, and Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 149, and About Theosophy, From: www.theosophical.org,
والحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org

(٤) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 1.

(٥) انظر: Webster's Academic Dictionary, 576, and Century Dictionary and Cyclopedia, William Dwight Whitney, Vol 8, 6278.

(٦) انظر: About Theosophy, From: www.theosophical.org, and What is Theosophy?, Pablo D. Sender, from: www.katinkahesselink.net.

(مطلق ـ Absolute)، و(متجاوز، مقدس، إلٰهي ـ Divine) إلى لفظ الجلالة (الله)، وترجمة (الإشراق[١]، والاستنارة[٢] Illumination) إلى (وحي)، فهي أخطاء تؤدي إلى لبس كبير وتناقض في المعنى إذا لم ينتبه الباحث إلى السياق.

٢ ـ **تعريفات روّاد الفكر وأتباعه**، التي نعرف منها حقيقته، مع التنبه إلى ما يغلب عليها من أسلوب دعائي؛ لاستمالة القارئ وإقناعه.

٣ ـ **تعريفات نقديّة كتبها نصارى محافظون**، وهي تُبرز الجوانب العقديّة للفكر، وما يشكّله من خطر على الدين النصراني، وإن غلب عليها المبالغة أحيانًا للتنفير منه.

وفيما يلي عرض لأبرز تعاريف هذه التوجهات الثلاثة:

أولًا: تعريف (الثيوصوفيا) في الموسوعات والمعاجم:

عُرّفت الثيوصوفيا في الموسوعات والمعاجم باعتبارات عدة من حيث كونها فلسفة، ونظام فكري، ومذهب، ونظرية، وباعتبارها حركة تقوم على محاولة معرفة الغيب بطرق باطنية. ومن هذه التعريفات:

ـ «نظام تفكير فلسفي وديني غير إسلامي. يقوم على أساس ادعاءات بالتبصُّر الباطني في طبيعة الإلٰه وقوانين الكون. ويعتقد الثيوصوفي بأن أصدق المعارف لا تأتي عن طريق العقل أو الحواس، وإنما تأتي عن طريق اتصال للروح بالحقيقة الإلٰهية[٣]»[٤].

ـ «فلسفة من الفلسفات المختلفة، القديمة والحديثة، تدّعي الوصول إلى

---

(١) الإشراق: هو الاستنارة أو الحدس الباطني، وهو ما يُزعم أنه ظهور الأنوار العقلية وفيضانها على الأنفس الكاملة عند تجردها من المادة والمحسوسات. ويُعتقد أن أعلى درجات العقل الإنساني هو العقل الذي يتلقى الإشراق من الوجود الأول.

انظر: المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص٦٥، وانظر: تعريف الحدس في الفصل الثاني، والموقف منه في الفصل الرابع، موقف الإسلام من مصادر المعرفة الثيوصوفية.

(٢) الاستنارة: تشير إلى حالة روحانية تتجلى فيها المعارف والحِكم، تحقق التحرر والاتحاد بالوجود الأول. انظر: The Dictionary of Philosophy, Dagobert D. Runes, 141.

(٣) الحقيقة الإلٰهية: لفظ يُطلق على ما يظنه الباطنيون الحقيقة الغيبية أو الوجود المطلق. انظر: الفصل الثالث، الاعتقاد بوجود مطلق.

(٤) الموسوعة العربية العالمية، ٨/٨٨ ـ ٨٩.

معرفة الإله (God) عن طريق الحدس[١] المباشر، أو عن طريق التجربة الفردية الخاصة[٢]»[٣].

ـ «مصطلح يشير بشكل عام إلى نظام فكري يدعي أنه (الحكمة الإلهية ـ Divine Wisdom). ويرتبط هذا المصطلح بالثيوصوفيا وعلى وجه الخصوص التي تأسست عام ١٨٧٥م»[٤].

ـ «أيُّ تصوف فلسفي، وخاصة تلك التي تزعم أنها رياضية أو قائمة على أساس علمي، مثل الفيثاغورية[٥]، أو الأفلاطونية الحديثة[٦]، أو الغنوصية... كذلك الهندوسية، وبعض جوانب البوذية[٧]، والطاوية[٨]، والصوفية

---

(١) الحدس: يأتي التعريف به في الفصل الثاني.

(٢) يأتي التعريف بها تحت لفظ (التجربة الباطنية)، انظر: ص٢٣.

(٣) The Concise Oxford Dictionary, H.W. and F.G. Fowler, 916. (بتصرف يسير).

(٤) An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 783.

(٥) الفيثاغورية: مدرسة فلسفية باطنية يونانية، تقوم على تعاليم فيثاغورس، وعلى اعتبار العلم رياضة دينية بجانب الشعائر، وتركز على الأعداد بشكل كبير، وعلى علم الفلك والأشكال والحركات والأصوات وقوانينها. وتعتبر الظواهر تعبيرات لقيم ونسب رياضية، كما تعتقد بتناسخ الأرواح.
انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص٢٠ ـ ٢٤، والمعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص١٤٣.

(٦) الأفلاطونية الحديثة: مدرسة فلسفية انتقائية، هي عبارة عن مزيج ملفق من فلسفة فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو، وأضيف إليه من الفلسفة الهندية. تأثرت في القرن الثالث الميلادي بتعاليم أفلوطين، الذي تقوم فلسفته على نزعة صوفية أساسها القول بالواحد الذي تفيض منه سلسلة انبثاقات على مراتب متتالية.
انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 525,
والمعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص١٨، وتاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون، عمر فرّوخ، ص١٣٠.

(٧) يأتي التعريف بالغنوصية والهندوسية والبوذية في الفصل الثاني.

(٨) الطاوية: فلسفة صينية صوفية مشتقة من (طاو) ومعناه الطريق أو المنهج، وعند مؤسس الفلسفة يعني: الوجود الأزلي، أو جوهر الوجود. وضع أسسها مفكر صيني يُدعى (لاوتسو) قبل الميلاد بمئات السنين. تدعو إلى الاستسلام الكامل السلبي للطبيعة، وعدم الفعل، واتباع البساطة التي تؤدي إلى السكينة، وإنكار الذات الذي يحقق الاستنارة. تطورت الطاوية لاحقًا وانشقت منها الديانة الطاوية. انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، عمر عبد الحي، ص٦٧، والفلسفة الشرقية، محمد غلاب، ص٢٣٣، ٢٣٧.

الإسلامية[١]، وبمعنى أكثر دقة، يمكن أن تشير الثيوصوفيا إلى فلسفة (سويدنبرغ ـ Swedenborg)[٢] [١٦٨٨ ـ ١٧٧٢م]، أو (مدام بلافاتسكي ـ Madame Blavatsky)»[٣].

ـ التجربة الباطنية[٤]، التي هي أساس المعرفة الخاصة بالكائن الإلٰهي وجميع المسائل المتصلة به[٥].

ـ نظام من الفكر أساسه الاستنارة الباطنية، ويستمد خبرته منها. ويشير لفظ (ثيوصوفيا) إلى معرفة سرية منقولة عبر العصور. ويمكن أن يصف أي نظام صوفي، ويشير حاليًا إلى تعاليم جمعية الثيوصوفي[٦].

---

(١) يقصد بها الصوفية الفلسفية الغالية، وهي فلسفة أخذت فلسفات المذاهب الباطنية ومزجتها بالتعاليم الإسلامية، تدعو إلى الزهد والتقلل من المتاع الدنيوي لتحصيل الإشراق والتنوير، وتقوم على الاعتقاد بوحدة الوجود والاتحاد بالإلٰه والفناء فيه. وهي لا تمت للإسلام ولا للمسلمين بصلة، وتختلف عن التصوف الزهدي الذي فشا بين العباد والجهال.
انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص٢٣٩، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي نشار، ١/ ٢٢٣،
And An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 742.

(٢) (إمانويل سويدنبورغ ـ Emanuel Swedenborg): زعم أنه تواصل مع الأموات ومع كائنات روحية، وأنه قام برحلات خارج جسده. كما ادعى أنه حصل على تفسير خاص وسري للكتاب المقدس. انظر:
The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 36.

(٣) The Cambridge dictionary of philosophy, Robert Audi, 915. (بتصرف يسير).

(٤) (التجربة الباطنية ـ Mystical experience): تجربة يُزعم أنها تكشف جوانب من الحقيقة، لا يمكن معرفتها عبر التجربة الحسية أو الإدراكية. انظر:
The Cambridge dictionary of philosophy, Robert Audi, 593.
تقوم على زعم أن نفس الإنسان وباطنه هو السبيل الموصل إلى المعارف الغيبية والحقائق الكونية، عبر دخولها في تجربة روحية يتجاوز فيها الإنسان عقله ووعيه حتى يصل إلى الحكمة. مثل: الاستبصار الباطني والحدس الباطني. انظر: الفصل الثاني، مصادر المعرفة الغيبية في الفكر الثيوصوفي.

(٥) انظر: المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص٢٤٤.

(٦) انظر: معجم الأديان، جون هينليس، ص٧٤٢ ـ ٧٤٣، والمعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم، سهيل زكار، ١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١.

ـ الثيوصوفيا مثل الهرمسية[١]، والكبالا[٢] اليهودية. وإطلاق اسم الحكمة الإلٰهية عليها فيه التباس، فالثيوصوفيا ليست دراسة للحكمة أو التدبير الإلٰهي، بدليل اشتمالها على السحر، والتنجيم والتأثير عن بعد بالنجوم، ومن ذلك الرمل[٣]، والجفر[٤]. ومعظم ما وصلنا من ذلك من فعل أبناء اليهود والهند[٥].

ـ كشف إلٰهي[٦] (عرفان[٧]، تصوّف فلسفي)[٨]: هو اسم نوعي يُطلق على عدّة مذاهب لها سمة مشتركة، قوامها تقديم نفسها كأنها مَعْرفة الأمور الإلٰهية، القائمة على تعميق الحياة الداخلية، والمانحة القوى التي تفتقر إليها الإرادة

---

(١) الهرمسية: مجموعة من الفلسفات الباطنية المنسوبة إلى هرمس، الذي اعتبرها الطريق إلى الحكمة، وقد أثرت على التوجه الباطني العرفاني والسحر في أوروبا في القرن الخامس عشر.
انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٢/٣٥٣، ومعجم الأديان، جون هينليس، ص٣٠٢.

(٢) الكبالا: مذهب يأتي التعريف به في الفصل الثاني.

(٣) الرمل: هو وسيلة تستخدم الرمل والخط فيه لمعرفة المغيبات في زعم مستخدميها، وهو لفظ يدخل تحت (العرافة).
انظر: قاموس العقيدة ألف مصطلح في العقائد، محمد أحمد الحاج، ص٨٦.

(٤) الجفر: هو علم باطني شيعي يُعتقد أنه يحوي ما وُجد بلوح القضاء والقدر الذي يشمل كل ما كان وما يكون كليًا وجزئيًا، عبر تضمنه لروايات رمزية تحمل حقائق الدين وحوادث العالم المستقبلية. ويزعم الشيعة أن النبي ﷺ أودع عليًا رضي الله عنه هذا العلم، وتوارثه أئمة الشيعة من بعده. ويسمى كذلك بـ(علم الحروف).
انظر: أبجد العلوم، محمد صديق خان الحسيني، ص٣٥٨ ـ ٣٥٩، والعقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص٢١١ ـ ٢١١، ٣٧١، والمعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/١٩٤ ـ ١٩٥.

(٥) انظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحنفي، ص٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٦) الكشف: هو زعم الاطلاع على الحقائق الغيبية من خلال النور الداخلي، والمعرفة الباطنية؛ كالحدس والإلهام، وتطهير النفس من الشواغل الحسية. وهو يرادف الإشراق، ويقابل الإدراك الحسي والاستدلال العقلي.
انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٧) العرفان: هو (الغنوص ـ Gnosis)، وهو ادعاء معرفة أسرار الحقائق والمعارف العليا الباطنية، وهو يقابل العلم الظاهر للدين.
انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/٧٢. وانظر: الفصل الثاني، المطلب الثالث، الغنوصية.

(٨) تم التعريف به ص٢٢ تحت لفظ (الصوفية الإسلامية).

البشرية عمومًا. والثيوصوفيا مذهب غيبي وأخلاقي ذو طابع هندوسي وبوذي ولامي (lamaism)[١]، وأساسه التعويل على قوة الإنسان الروحية التي تصفو بتناسخ الأرواح[٢] والمعرفة[٣].

ـ «كل نظرية تخلط الفلسفة بالتصوف، وترى أن معرفة الأمر الإلٰهي والأشياء المقدسة تُستمد من الحياة الروحية»[٤].

ـ «معرفة الإلٰه من طريق الكشف الصوفي أو التأمل[٥] الفلسفي أو كليهما»[٦]، «وهي بهذا المعنى ظاهرة قديمة عرفتها الأديان على اختلافها»[٧]. وهي معتقدات حركة حديثة نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية وبُنيت في المقام الأول على أساس من التعاليم البوذية والهندوسية. وهي لا تستهدف حمل أحد على الارتداد عن دينه بل تحاول أن تفسر الأسرار، وتزعم أنها تمكّن أتباعها من الاتصال المباشر بالكائن الإلٰهي[٨].

ـ «نظم فلسفية باطنية تتعلق بالمعرفة المباشرة حول أسرار الوجود والطبيعة، وخصوصًا فيما يتعلق بطبيعة (الألوهية ـ Divinity)، أو تبحث في طلب هذه المعرفة»[٩].

---

(١) اللامية ـ Lamaism: مصطلح شعبي للبوذية التبتية، وهو تسمية لا يستخدمها البوذيون. تقوم فلسفته على السحر والشعوذة وإحياء الطقوس القبلية؛ كالتخاطر مع الأموات، والعبادة الإباحية، وعبادة الشيطان، والرقص الشيطاني. انظر:
An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 101.

(٢) تناسخ الأرواح: يأتي التعريف به في الفصل الثاني، الهندوسية.

(٣) انظر: موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، ٣/١٤٥٦ ـ ١٤٥٧، والموسوعة العربية الميسرة، محمد غربال، ١/٥٧٦.

(٤) الموسوعة العربية الميسرة، محمد غربال، ص٥٧٦.

(٥) (التأمل ـ Meditation): تجربة روحية شاقّة، تهدف إلى تقوية وارتفاع الحياة الأخلاقية عبر الاتصال بالوجود المطلق. وتتطلب هدوء العقل، وتجرد الشعور، وسكونًا داخليًّا، وتركيز انتباه متواصل. انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 478.

(٦) قاموس المورد، روحي ومنير بعلبكي، ص٩٦٣ (بتصرف يسير).

(٧) موسوعة المورد العربية، منير ورمزي بعلبكي، ١/٣٦٦.

(٨) انظر: قاموس المورد، روحي ومنير بعلبكي، ص٩٦٣، وموسوعة المورد العربية، منير ورمزي بعلبكي، ١/٣٦٦.

(٩) Theosophy, From: www.wikipedia.org.

ثانيًا: تعريف (الثيوصوفيا) عند رواد ومؤسسي (جمعية الثيوصوفي):

يقابل مصطلح (الثيوصوفيا) في الأدبيات الثيوصوفية عدة مصطلحات تعطي له طابعًا علميًا وفلسفيًا ودينيًا، وتكشف عن جوانب من حقيقته، ومن هذه المصطلحات:

١ ـ (دين الحكمة ـ Wisdom Religion)[١]، و(الحكمة القديمة ـ Ancient Wisdom)، و(تقاليد الحكمة ـ Wisdom Tradition). وهي ليست ديانة بعينها، ولا تُعزى أصولها إلى معلّم معين، وإنما يعتقد معتنقوها أنها مصدر جميع الأديان وجوهرها[٢].

٢ ـ (الفلسفة الأبدية ـ Perennial Philosophy)، باعتبارها فلسفة غارقة في القِدم، لا تُعرف بدايتها[٣].

٣ ـ (العقيدة السرية ـ The Secret Doctrine)[٤]، و(الفلسفة الاستسرارية[٥] ـ Esoteric Philosophy)[٦]، و(علم الأسرار ـ The Occult Science)[٧]، و(المنقول الاستسراري ـ The Esoteric Tradition)، و(العلم

= وانظر: Century Dictionary and Cyclopedia, William Dwight Whitney, Vol 8, 6278, and The American Heritage Dictionary of The English Language (Theosophy), Anne H. Soukhanov, and Webster's New Illustrated Dictionary, (Theosophy), Edward T. Roe, LL.B. and Charles Leonard-Stuart, B.A.

(١) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 245, and Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 18, and An Introduction to Esoteric Principles, William Doss McDavid, 1.

(٢) انظر: Theosophy, John Algeo, 8, and Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 3, 11, 18, 78.

(٣) انظر: Theosophy, John Algeo, 8,
والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٤) انظر: The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 1,14, and The Key To Theosophy, Blavatsky, 245.

(٥) الاستسرارية: هي العقائد الباطنية التي تحمل طابعًا سريًا ولا تُعلّم إلا لفئات خاصة منتخَبة. انظر: The Dictionary of Philosophy, Dagobert D. Runes, 97.

(٦) انظر: The Secret Doctrine, Blavatsky, 306.

(٧) انظر: The Theosophical Glossary, Blavatsky, 219.

الاستسراري ـ Esoteric Science)[١]، و(المعارف الغامضة ـ Occultism)، وهو يعني: معرفة الأسرار أو القوى السحرية الخفية، ويمكن التعبير عنه بـ(المعارف السحرية) بالنظر إلى نتيجته، وبـ(المعارف الغامضة) بالنظر إلى وسيلته. فهو قائم على معرفة ما يعتقدونه من قوى باطنية في الإنسان، وكيفية استعمالها في الخير ولمصلحة الناس بغير أنانية. وتحاول (بلافاتسكي ـ Blavatsky) التفريق بين مفهوم المعارف الغامضة (Occultism) التي تشمل السحر وبين الثيوصوفيا، إلا أن تفريقها لا يتعدى التفريق النظري. فهي تعترف في بعض كتاباتها بأن (المعارف الغامضة الحقة ـ True Occultism) ترادف (الثيوصوفيا ـ Theosophy)، وأنّ استعمال المعارف الغامضة بغير دراسة للثيوصوفيا يؤدي إلى السحر الأسود الذي لا ينبغي للثيوصوفيين تعلّمه[٢]. فتفترض أن الثيوصوفيا هي العلوم التي توجّه المريد لاستعمال السحر (في الخير).

ولا يوجد تعريف متفق عليه لمصطلح (ثيوصوفيا) عند روّاد الفكر ومروّجيه في العصر الحديث؛ لأنهم يعدّونه غنيًّا عن التعريف، لكونه حقيقة وجودية يصل إليها كل من يسعى إليها بشكل قد يختلف عن ما يصل إليه الآخرون. ويعدّون هذا الأمر إيجابيًّا، يقول (وِليام جدج ـ William Judge)[٣] [١٨٥١ ـ ١٨٩٦م]: «إن قوة الثيوصوفيا تكمن في واقع أنها غنية عن التعريف. فهي (حكمة الآلهة ـ Wisdom of the gods)، أو (حكمة الطبيعة ـ Wisdom of the nature). وذلك لأن التطور[٤] بتقدمه البطيء يُظهر حقائق وجوانب جديدة تتمايز عن الحقائق القديمة، ومن ثم فيمنع أي تعريف مطلق أو تحديد للعقائد. وإن كنا سنصوغ أو نصرّح بتعريف للثيوصوفيا فلن يكون سوى كلمات للذين شاركوا في صياغتها، ولن يكون مقبولًا عند الجميع. وإن أمكن وجود تعريف للثيوصوفيا يقبله الجميع،

---

(١) Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 3, 18, 78.

(٢) انظر: Collected Writings, Blavatsky, Vol. 9, 251- 252 (Occultism Versus The Occult Arts), from: www.blavatskyarchives.com, and The Key To Theosophy, Blavatsky, 18.
وسيأتي مزيد تفصيل لاحقًا بإذن الله، انظر: الفصل الأول، مبادئ جمعية الثيوصوفي.

(٣) هو أحد مؤسسي جمعية الثيوصوفي، سيأتي التعريف به في الفصل الأول، نشأة الفكر الثيوصوفي وتاريخه.

(٤) التطور: يأتي التعريف به في الفصل الأول، مبادئ الفكر الثيوصوفي.

فهذا سيكون إعلانًا لهلاك الحركة»[١].

ومن هنا، فإن التعريفات التي سنوردها ما هي إلا جمع لمقولات مؤسسي ورواد الثيوصوفيا في وصف وبيان جوانب الفكر الثيوصوفي أكثر منه تعريفًا محددًا له.

عرّفت (بلافاتسكي ـ Blavatsky) الثيوصوفيا بأنها: «اسم أُطلق على العقيدة السرية التي تُشكّل الأساس لجميع النصوص المقدسة والأديان الظاهرية»[٢]، وهي ليست دينًا بل هي جوهر كل الأديان، وجوهر الحقيقة المطلقة الذي نبعت منه أصول الأديان[٣].

وشرحت حقيقة هذه العقيدة السرية في موضع أخر ووضحتها بأنها: (الحكمة الإلٰهية ـ Divine Wisdom) أو حصيلة المعرفة والحكمة التي يقوم عليها الكون، وأنها عقيدة تقوم على أن كل موجود يحيا ويتحرك من قِبَل (النفس أو الروح الكونية ـ Universal Soul or Spirit)[٤].

بينما نجد خليفتها (آني بيسانت ـ Annie Besant)[٥] [١٨٤٧ ـ ١٩٣٣م] تقول: الثيوصوفيا «هي (المعرفة المباشرة عن الإلٰه ـ Direct Knowledge of God)؛ والسعي وراء ذلك هو ما يسمى: الباطنية، أو التعاليم الاستسرارية المشتركة بين جميع الأديان»، أو «هي (معرفة الإلٰه ـ The Knowledge of God) التي هي الحياة الأبدية والتي هي روح المسيحية، هي ليست شيئًا جديدًا ولكنها داخل جميع الأديان»[٦].

---

(١) Forum Answers, William Q. Judge, from: www.theosophy.org.

(٢) The Key to Theosophy, Blavatsky, 245.

(٣) انظر: The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, ii, and The Theosophical Glossary, Blavatsky, 302, and Ibid, 40.

(٤) انظر: The Theosophical Glossary, Blavatsly, 282, and The Key To Theosophy, Blavatsky, 38- 39.

(٥) هي إحدى قادة جمعية الثيوصوفي، يأتي التعريف بها في الفصل الأول، نشأة الفكر الثيوصوفي وتاريخه.

(٦) كلا النصين من: Theosophy, Annie Besant, 12.

وعرَّفها (جدج ـ Judge) بأنها: «ليست إيمانًا أو عقيدة صاغها الإنسان أو اخترعها، ولكنها معرفة القوانين المكوِّنة للطبيعة والإنسان التي تحكم التطور المادي والنجمي والنفسي والفكري، وهي دين علمي وعلم ديني»[١].

أما (تشارلز ليدبيتر ـ Charles Leadbeater)[٢] [١٨٥٤ ـ ١٩٣٤م] فشرح محتواها بقوله: «الثيوصوفيا بيان للحقائق العظيمة للوجود، وطبيعة الإلٰه وعلاقته بالبشر، وماضي البشرية ومستقبلها. لكنها لا تعرضها كقضايا إيمانية مثلما يعرضها الدين، بل تعرضها بصورة موضوعات للدراسة، وتصورها كما صورتها الفلسفات القديمة، وهي توحِّد بين الكل في وحدة متناغمة»[٣].

وإذا تجاوزنا مؤسسي جمعية الثيوصوفي ورواد الفكر وتصفحنا التعريفات المثبتة في المواقع الإلكترونية المتخصصة في الفكر الثيوصوفي، نجد عددًا من التعريفات المستخلصة من وصف وشرح المؤسسين بعبارات موجزة، من هذه التعريفات:

ـ «الثيوصوفيا تُقدّم الحكمة الخالدة في شكل معاصر، هذه الحكمة التي تقوم عليها أديان العالم، وعلومه وفلسفاته»[٤].

ـ الثيوصوفيا هي حالة من الوعي (تنوير باطني ـ Inner Enlightenment)[٥]،

---

(١) The Ocean of Theosophy, William Q. Judge, 1. (بتصرف يسير).

(٢) هو أحد الأعضاء البارزين في جمعية الثيوصوفي، اختُلف في ولادته بين عام (١٨٥٤م) و(١٨٤٧م)، كان قسِّيسًا، ومارس الروحانية، واعتقد أن الآثار التي ظهرت له ناتجة عن قوى غامضة، فترك الكنيسة وانضم لجمعية الثيوصوفي عام ١٨٨٣م، وألَّف عددًا من المؤلفات فيما يتعلق بمواضيع العوالم الخفية؛ كالاستبصار والشاكرات. انظر:
Charles Webster Leadbeater - a Biography Study, Gregory John Tillett, from: www.leadbeater.org.

(٣) An Outline of Theosophy, C. W. Leadbeater, 3-4. (بتصرف).

(٤) الموقع الرسمي لجمعية الثيوصوفي في أمريكا: www.theosociety.org.

(٥) التنوير الباطني: هو التحرر والخلاص، وهو حالة روحانية يتجاوز فيها الفرد عقله وحواسّه ورغباته، ويحقق الاتحاد بالمبدأ الأول. وهو باطني أو داخلي بمعنى أنه يكون من داخل النفس الإنسانية وفي باطنه. وهو مرادف لمعنى (الإشراق)، و(الموكشا) في الهندوسية، و(النرفانا) في البوذية. انظر:
The American Heritage Dictionary of The English Language (Enlightenment), Anne H. Soukhanov.
وانظر: تعريف الإشراق والاستنارة (عُرّف سابقًا)، وتعريف الموكشا، والنِرفانا في الفصل الثاني، الهندوسية والبوذية.

يتجاوز فيها الحكيم أو الصوفي عقله ويحصل على تصور مباشر للحقيقة[١].

ـ الثيوصوفيا هي «(المنقول الغيبي ـ Occult Tradition) الذي يتناول المسائل والقضايا المتعلقة بصيرورات الطبيعة ونواميسها الخفية، ويتضمن دراسة المبادئ الإلٰهية الكبرى المهيمنة على الكون والمسيِّرة له»[٢].

وهكذا يتضح أن الفكر الثيوصوفي عند رواده ومتبنيه في العصر الحديث هو إحياء لعلم قديم، هو الحكمة الخالدة التي تُعد أصل جميع الأديان وجوهرها. ويُلاحظ أن هذا التصور هو نفسه ما سبق أن ادعاه فلاسفة الباطنية المنتسبون إلى الإسلام، وادّعته الصابئة[٣] من قبلهم فسمّوا علومهم بالحكمة، أو الحكمة الحقيقية، أو المعارف اليقينية، مع أن فيها من الجهل والشبه والضلال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال[٤].

ثالثًا: تعريف (الثيوصوفيا) في الكتابات النصرانية:

عُرّف (الفكر الثيوصوفي) عند النقاد النصارى بالنظر إلى جذوره، وعقائده المخالفة للنصرانية، وخطره عليها، وفيما يلي جملة من أقوالهم التي تبين حقيقة الثيوصوفيا وجذورها:

ـ ما جاء في الموسوعة الكاثوليكية، حيث عُرّفت الثيوصوفيا بأنها «لفظ يُستخدم للدلالة على المعرفة الإلٰهية، التي يُتوصل إليها عبر الحدس المباشر من (الجوهر الإلٰهي ـ Divine Essence)[٥]. فتختلف وسيلتها في المعرفة عن

---

(١) انظر: About Theosophy, From: www.theosophical.org, and What is Theosophy?, Pablo D. Sender, from: www.katinkahesselink.net.

(٢) الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org. (بتصرف).

(٣) الصابئة نوعان: موحدون ومشركون وهم عبدة الكواكب والنجوم. كانوا يعيشون في حرّان، وديانتهم تعدّ تلفيقًا من عدة توجهات؛ فيها تنجيم وسحر، وتعظيم للجن والشياطين والكواكب.
انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٢/٣٠٥، وموسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب، أحمد الحصين، ٣/١٣٠٥ وما بعدها.

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، ٣/٦٤٦.

(٥) اسم للوجود المطلق، انظر: الفصل الثالث.

اللاهوت الذي يعتمد في معرفته على الوحي، كما تختلف عن الفلسفة التي تعتمد على المنطق. وتمتزج الثيوصوفيا مع الباطنية بشكل سيئ». كما عُرفت بأنها «خليط غريب من الباطنية والشعوذة وادعاء صنع المعجزات، تُعبر عن تعاليمها بألفاظ تعكس أجواء الأخلاقيات المسيحية والحقائق العلمية الحديثة»[(١)].

واعتبرت الموسوعة الكاثوليكية الفكر الثيوصوفي «شكلًا من أشكال (وحدة الوجود ـ Panthiesm) التي تنكر الذات الإلٰهية (God)، وأنّ دعوته إلى الكشف عن روحانية داخل الإنسان تحقق الاتحاد بالوجود الإلٰهي يستند على ميتافيزيقية متناقضة، وعلم نفس وهمي، ونظام أخلاقي لا يعرف الإرادة الحرة»[(٢)]. وأن ارتكاز الثيوصوفيا على الضرورة المطلقة للكارما[(٣)] يهدم فكرة الإيمان بالقضاء والقدر، ويهدم الطموح والأمل، كما أن إنكارها لوجود ذات إلٰهية (God) يبطل مطالبتها لتكون فلسفة روحية[(٤)].

ـ وعُرّفت الثيوصوفيا في كتاب بعنوان (حكمة الشيطان كُشفت في الثيوصوفيا الحديثة) بأنها: «محاولة فكرية لتفسير الكون وطبيعة (الكائن الأسمى ـ Supreme Being)[(٥)]، عن طريق الباطنية الغامضة الغريبة»[(٦)].

ـ وعرّفها كتاب «طوائف معادية للمسيحية» بأنها: «إحدى ديانات الحكمة (Wisdom Religions) التي تدّعي أن لديها تبصُّرًا استثنائيًا إن لم يكن متكاملًا بطبيعة (الإلٰهية ـ Divine) ومراحل تكوينها وتقدمها»، وبأنها «تتعامل مع كثير من النظريات على أنها حقائق لتثبت دعاويها»[(٧)].

ـ وأكّد كتاب «مراحل العمر الأولى للأرض وعلاقتها بالروحية الحديثة»: «بأنّ أصول هذا الفكر وثنية، وأنه يتلوّن بقوالب وأشكال مختلفة، ويظهر نفسه

---

(١) كلا النصين من: Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org.

(٢) Ibid (بتصرف).

(٣) الكارما: يأتي التعريف بها في الفصل الأول، مبادئ الفكر الثيوصوفي، وفي الفصل الثاني، الهندوسية.

(٤) انظر: Ibid, and Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 60.

(٥) يُقصد بـ(الكائن الأسمى): الوجود المطلق. انظر: الفصل الثالث.

(٦) Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 9-10.

(٧) كلا النصين من: Anti-Christians Cults, A. H. Barrington, 67.

بين فترة وأخرى من خلال توغله في الموضوعات المنتشرة في الساحة»[١].

وعُرّفت (جمعية الثيوصوفي) في الكتابات النصرانية بالنظر إلى حقيقة عقائدها المخالفة للنصرانية، وفيما يلي جملة من أقوالهم:

ـ عرّفها كتاب «حكمة الشيطان كُشفت في الثيوصوفيا الحديثة» بأنها «عبارة عن نظام ماكر، طوّر وأنضج حكمة الشيطان المتنكرة تحت لقب الثيوصوفي الذي سُرق وأسيئ استعماله»[٢].

ـ وصرّح صاحب كتاب «من الثيوصوفيا إلى المسيحية» بأن جمعية الثيوصوفي تتبنى «الفكر الوثني وتشجعه، وتمنح إقرارها لأفكاره المضللة عن طبيعة الإله (God)، والتي تفضي إلى عبادة الأوثان»[٣].

وهكذا نخلص من مجموع هذه الشروح للثيوصوفيا بأنها: فلسفة باطنية، روجت لها ونشرتها في العصر الحديث جمعية الثيوصوفي في الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وهي تقوم على محاولة معرفة حقيقة الغيب والوجود والإنسان من مصادر باطلة تتمثل في التجربة الباطنية الغنوصية. وتعتمد على تعاليم وعقائد ملفقة من عدة فلسفات ومذاهب باطنية، أهمها: الفلسفات الشرقية والاتجاهات الباطنية في الديانات الكتابية. وسيتناول الفصل الأول بيان نشأة الفكر الثيوصوفي ومبادئه وأهداف مروّجيه.

---

(١) Earth's Earliest Ages and Their Connection With Modern Spiritualism and Theosophy, G.H. Pember, 395.

(٢) Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 9.

(٣) From Theosophy to Christian Faith, E. R. Mcneile, 47.

الفصل الأول

نشأة الفكر الثيوصوفي ومبادئه

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: نشأة الفكر الثيوصوفي.

المبحث الثاني: أهداف جمعية الثيوصوفي ومبادئها.

المبحث الأول

نشأة الفكر الثيوصوفي

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الاتجاه الباطني الحديث وحركاته المعاصرة.

المطلب الثاني: نشأة الفكر الثيوصوفي وتاريخه.

المطلب الأول

الاتجاه الباطني الحديث وحركاته المعاصرة

الاتجاه الباطني الحديث هو ذلك الاتجاه الذي ظهر أولًا في أمريكا وأوروبا في القرن السادس عشر الميلادي وما بعده إلى وقتنا الحاضر[١]، حيث وصل إلى بقاع كثيرة في العالم ومنها العالم الإسلامي، وهو فكر تبنى فلسفات الديانات الشرقية الباطنية، ووضعها في قالب جديد يمزج بين تلك العقائد الباطنية الشرقية ونمط الحياة الغربية.

و(الباطنية ـ Mysticism) كلمة أصلها بَطَنَ، بمعنى: خَفِيَ فهو باطن، وجمعه بواطن، وبطنتَ الأمر: إذا عرفتَ باطنه[٢]. ويقال: هذا الرجل (باطني) على الذي يكتم اعتقاده، فلا يُظهره إلا لمن يثق به، وقيل: (الباطني) هو: المختص بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها، وقيل: هو الذي يحكم بأن لكل شيء ظاهرًا وباطنًا، ولكل تنزيلًا تأويلًا[٣].

---

(١) انظر: New Age and Neopagan Religions in America, Sarah M. Pike, 40.

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص١١٨٠.

(٣) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ١٩٥.

والباطن هو الخافي (Occult)، ويُقصد بالعلم الباطن ـ عند أهله ـ معرفة الأسرار والخفيات، ومن أمثلته: (علم الجفر) أو (علم الحروف) الذي يدّعي أصحابه أنهم يعرفون به الحوادث إلى انقراض العالم، أو (الكبالا ـ Kabbalah) التي هي تفسير التوراة السري بالأرقام والحروف، وعلم (السحر والطلسمات)، وعلوم (التنجيم والعرافة) وغيرها التي تُعد كلها علومًا سريّة باطنية(١).

ويُطلق لفظ الباطنية على من يعتقد أن لكل ظاهر محسوس في الكون معنى باطنيًا خفيًا، وأن عالم المحسوسات ينقسم إلى ظاهر وهو الجسد، وباطن وهو الروح، وأن الإنسان على الحقيقة هو الروح، والمعرفة على الحقيقة هي الباطن. وهؤلاء يميزون بين نوعين من العلم: **علم الظاهر** وله رجاله، **وعلم الباطن**، وأهله هم المختصون به والمطلعون على أسراره(٢)، يقول (الغزالي)(٣) [٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ] عن الباطنية: أنهم «لُقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنّها بصورتها توهم عند الجهال الأغبياء صورًا جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموزٌ وإشارات إلى حقائق معينة»(٤).

والفكر الباطني هو: مزيج مُلفق من معتقدات متعددة متباينة مُزجت معًا، يجمعها الاعتقاد بأن الكون بكل ما فيه مكوّن من ظاهر مُشاهد، وباطن يحوي الكثير من الأسرار الماورائية التي يُمكن الوصول إليها ومعرفتها بوسائل باطنية، وأن الغنوص هو الغاية التي يسعى الباطني إليها(٥).

ويُرداف مصطلح (الباطنية) مصطلح (الغنوصية) بمعناه العام الذي يعني المعرفة الحدسية الباطنية، أو العرفان بمصطلح التصوف الإسلامي؛ فـ«العارفون هم الغنوصيون الذين يزعمون أنهم يتواصلون من خلال بصيرتهم الداخلية

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) انظر: موسوعة الفِرَق والمذاهب في العالم الإسلامي، مجموعة من المؤلفين، ص١٦٣ ـ ١٦٤.

(٣) هو: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، يكنى بأبي حامد، وهو فيلسوف متصوف، له نحو مئتي مصنف، ولد وتوفي في خراسان، ورحل إلى عدة بلدان إسلامية.
انظر: الأعلام، الزركلي، ٧/ ٢٢.

(٤) فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ص٢١.

(٥) انظر: حركة العصر الجديد، فوز كردي، ص٨ ـ ٩.

بالحقيقة الكلية. أما خصومهم فهم غير العارفين، الذين وقفوا عند ظاهر التعاليم الدينية ولم ينفذوا إلى باطنها»[١]. أما الغنوصية بمعناها الخاص، فهي اسم للمذهب الباطني الذي ظهر في النصرانية وسيأتي التعريف به عند الحديث عن أصول الفكر الثيوصوفي.

وقد حصر بعض كُتّاب الفرق الإسلامية (الباطنية) في فرقٍ معينة انتَسبت إلى الإسلام وهو تضييق لمعناها، فالأصل أنّ الباطنية ليست فرقًا محددة، ولا تنتسب إلى دين محدد، بل هي منهج واتجاه تلفيقي يتلوّن ويتغير حسب الزمان والمكان والجمهور، و«يندرج تحت شعار أساسي هو البحث عن الباطن والابتعاد عن الظاهر أو عدم الاقتصار عليه»[٢]. والباطنية اليوم فِرق ومذاهب، وحركات عديدة متباينة يتعذر إحصاؤها أو تحديد إطارها التاريخي؛ فلها امتداد تاريخي عبر الماضي والحاضر، وتصبغها صفة الغموض وتحيط بالكثير من جوانبها الفكرية؛ فحِرْص روادها على تغليف أفكارهم بالسرية والغموض، جعلهم يُظهرون عكس ما يعتقدون أحيانًا بناء على مذهب التقيّة[٣].

هذا وترجع أصول الفكر الباطني بعامة إلى عقائد الديانات الشرقية من الهندوسية والطاوية والبوذية، وإلى العقائد الفارسية المجوسية[٤] الوثنية[٥]، وإلى بعض الفلسفات الإغريقية؛ كالأفلاطونية الحديثة والمتأثرة بالفلسفات الشرقية، وتُطلق الباطنية على المذاهب المتأثرة بأصول الفكر الباطني؛ كالصابئة،

---

(١) الوجه الآخر للمسيح، فراس سواح، ص٦٦.

(٢) موسوعة الفِرَق والمذاهب في العالم الإسلامي، مجموعة من المؤلفين، ص١٦٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص١٦٣، ١٦٥.

(٤) المجوسية: ديانة ثنوية تقول بأصلين قديمين؛ أحدهما النور والآخر الظلمة، ويقول المجوس الأصليون بقِدم النور وحدوث الظلام، ويعظّم المجوس النار ويعبدونها، وتنتسب إلى المجوسية الديانة الزرادشتية.

انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٤، ٣٠٢.

(٥) انظر: الفَرْق بين الفِرق، البغدادي، ص٢١٣، وفضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ص٤٥، والمذهب الباطني في ديانات العالم، لوك بنوا، ص٨٤ ـ ١٠٠، ودراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية، علي المغربي، ص١٦٥ ـ ١٨٠، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي نشار، ص١٨٨.

والثنوية[١]، والمانوية[٢]، والديصانية[٣]، والهرمسية، الذين يمكن أن نعرفهم باسم (الباطنيين القدماء)[٤]. والحركات الباطنية كانت ولا تزال تعمل على إحياء العقائد الوثنية عبر إطلاق أسماء جديدة عليها[٥].

وقد نفذ الفكر الباطني إلى الديانات السماوية؛ وأثّر على اليهودية والنصرانية، فظهرت طائفة الغنوصية في النصرانية، وطائفة الكبالا في اليهودية، كما تستّر بثوب الإسلام في نهاية (القرن الأول الهجري/السابع الميلادي) وبشكل أقوى في (القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي) فنشأت الكثير من الفرق الباطنية في العالم الإسلامي؛ كالتصوف الفلسفي، والتشيع الغالي[٦]، والإسماعيلية[٧]،

---

(١) الثنوية: هم القائلون بأن العالم صادر عن أصلين أزليين قديمين هما: النور والظلمة. ومن المذاهب التي تنتسب إلى الثنوية: المانوية، والمزدكية، والديصانية.
انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٦.

(٢) المانوية: مذهب مجوسي ثنوي، نُسب إلى ماني بن فاتك الحكيم الذي أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة عيسى ﷺ ولا يقول بنبوة موسى ﷺ. ذهب إلى أنّ العالم مصنوع من أصلين قديمين أزليين: النور والظلمة.
انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/٢٩٠.

(٣) الديصانية: مذهب ثنوي يدعي أصحابه أصلين: النور والظلام. فالنور يفعل الخير قصدًا واختيارًا، والظلام يفعل الشر طبعًا واضطرارًا.
انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ١/٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٤) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص٢٣٩، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد الخطيب، ص٢٠، ٣٦، ٣٧، ٣٩، والوجه الآخر للمسيح، فراس سواح، ص٧٥، ٧٦، ١٤٧.

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، ٤/١٨٦، والعقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص٢٤٨.

(٦) التشيُّع الغالي: مذهب باطني غالى في العقائد الشيعية وطوّرها حتى رفع عليًّا ﷺ والأئمة إلى مرتبة الألوهية. تأثر بالمجوسية وبالديانات الشرقية وبالفلاسفة، فقال بالحلول، والبداء، والتناسخ، والرجعة، وأصبح التشيع مدخلًا لكل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، أو لمن أراد إدخال تعاليم آبائه إلى الدين.
انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، ٤/١٣٩، ١٤٢ ـ ١٤٣، والملل والنحل، الشهرستاني، ١/٢٠٣ وما بعدها.

(٧) الإسماعيلية: فرقة باطنية انتسبت إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، واتخذت التشيع ستارًا لهدم عقائد الإسلام وتعطيل الشرائع، فهي في حقيقتها تقوم على الكفر المحض والإلحاد. خالط مذهب الإسماعيلية عقائد المجوس والهندوس والبوذيين وفلاسفة =

والقرامطة[١]، والزنادقة[٢] المتأثرين بالباطنيين القدماء[٣].

بداية ظهور الفكر الباطني العالمي الحديث في الولايات المتحدة الأمريكية:

ظهرت بوادر الفكر الباطني في الغرب مع نزوح الجاليات الأوروبية المهاجرة إلى أمريكا، حيث قدموا ببعض العقائد الخرافية، والمعتقدات الاستسرارية من بلدانهم في أوروبا، وقد كانوا متأثرين بالديانات الشرقية، الهندوسية والبوذية بشكل خاص؛ نظرًا لأثر التبادل الثقافي الذي حصل أثناء الاحتلال البريطاني للهند، وكنتيجة لهجرة أعداد كبيرة من الهنود إلى بريطانيا من بعد. إضافة إلى ممارسات السحر والكهانة عند القبائل الوثنية من الهنود الحمر؛ سكان أمريكا الأصليين. إلا أن تلك المعتقدات لم يكتب لها التوسع والانتشار بسبب الضغط الذي واجهته من أتباع الكنيسة، فقد كانت النصرانية هناك لا تقبل

= الإغريق، فقالوا بمذهب الثنوية بالقول بإلٰهين، وأنكروا المعاد، واعتقدوا بالتناسخ وعقيدة الفيض.

انظر: فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ص٢١ ـ ٢٢، ٤٣ ـ ٥١، والملل والنحل، الشهرستاني، ص١٩٦، ٢٢٦، والعقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص٢٣٩.

(١) القرامطة: حركة باطنية متفرعة عن الإسماعيلية، انُتسبت إلى رجل يقال له: حمدان بن قرمط، كان ظاهرها التشيُّع لآل البيت وحقيقتها الإلحاد والباطنية، وكانت تهدف إلى القضاء على الدولة الإسلامية، وهدم الأخلاق وتعطيل الشرائع والإباحية. وكان مؤسسوها يُظهرون الإسلام ويُبطنون العقائد الإلحادية.

انظر: الفرْق بين الفِرق، البغدادي، ص٥٣، ٢١١، ٢١٢، وفضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ص٢١ ـ ٢٢، ٤٣، ٤٥، ٥١، وتلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص٩١ ـ ٩٣.

(٢) الزنادقة: هم الملحدون والمشركون، منهم من أظهر الإسلام وأبطن الكفر، ومن عقائدهم: القول بمذهب الثنوية، والتناسخ.

انظر: الرد على الجهمية والزنادقة، أحمد بن حنبل، ص٥٨ ـ ٥٩، في الحاشية.

(٣) انظر: الغنوصية في الإسلام، هاينس هالم، ص٦ ـ ١٢، والعقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص٢٤٧، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي نشار، ١/١٨٨ ـ ١٨٩، ١٩٨، ٢٠٠ ـ ٢٠١، ٢٠٤ ـ ٢٠٥، ٢١٠ ـ ٢١٣، والوجه الآخر للمسيح، فراس سواح، ص١٨١، والمذهب الباطني في ديانات العالم، لوك بنوا، ص١٠٦ ـ ١٢٥، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد الخطيب، ص٢٠، ٣٦.

هذا الخليط من الفلسفات الغربية والشرقية. واحتدّ العداء بين الكنيسة وتلك المعتقدات الدخيلة، وتمت محاكمة عدد من السواحر في عام ١٦٩٢م، وحُكم عليهن بالقتل حرقًا بالنار.

ومع ازدهار العلوم التجريبية، وسيادة العقلانية العملية انحسر الاهتمام بالروحانيات وبخاصة في أوساط المثقفين والمتعلمين، وانحصر الاهتمام بها في أوساط الفقراء وذوي المستويات التعليمية المُتدنية. وكان هناك قلّة من المثقفين ورجال الدين تَقبَّلوا تلك المعتقدات الاستسرارية، لكنهم كانوا يكتمونها بشكل عام.

وهكذا اختفت أغلب الممارسات الباطنية من ظاهر المشهد العام خلال القرن الثامن عشر الميلادي، إلا أنها عادت في القرن التاسع عشر مع اشتداد الأزمات والكوارث، الأمر الذي أسهم في العودة إلى الاهتمام بالروحانيات عبر الثقافات والاعتقادات البديلة[١]، والحركات الدينية الجديدة[٢].

ومع حلول منتصف القرن التاسع عشر زادت قوة الاتجاه الروحاني في أمريكا وازداد أتباعه وتنوعت حركاته، حيث بدأ عدد من مفكري الغرب يعلنون خروجهم على الفكر النصراني، وتبنيهم للفكر الروحاني الباطني، وقناعاتهم بما يقدمه من تفسير لطبيعة الإنسان والكون والحياة، وبما يقدمه من طريقة للخلاص الفردي عن طريق الغنوص والتجربة الفردية بدلًا من انتظار مخلّص مبعوث من مصدر خارجي[٣].

وقد تكوّن بتأثير هؤلاء المفكرين عدة حركات دينية تبنت الأصول الفلسفية الباطنية وروّجتها بأشكال مختلفة، حملت جميعها الطابع الشرقي الباطني،

---

(١) المقصود بها: المعتقدات الروحانية غير السماوية، ذات الطابع الباطني الذي لا يفرض على أتباعه ضوابط تشريعية، الأمر الذي لبى حاجة كثير من الغربيين الراغبين في الجمع بين الروحانية وحرية السلوك بعيدًا عن تعاليم الأديان السماوية وضوابطها.
انظر: حركة العصر الجديد، هيفاء الرشيد، ص٣٢ ـ ٣٣.

(٢) انظر: New Age and Neopagan Religions in America, Sarah M. Pike 39, 41-42,
وحركة العصر الجديد، هيفاء الرشيد، ص٣٣ ـ ٣٤.

(٣) انظر: Anti-Christians Cults, A. H. Barrington, 108,
وحركة العصر الجديد، فوز كردي، ص١٢.

وتميزت عن الفرق الباطنية القديمة بكونها عامة؛ لا تتوجه لدين معين، وعالمية تريد الوصول إلى البشر في كل بقاع الأرض، ومن أبرز هذه الحركات:

١ ـ (حركة الفلسفة المتعالية أو التجاوزية ـ Transcendentalism):

نشأت هذه الحركة عام ١٨٣٦م بقيادة (رالف إمرسن ـ Ralph Emerson)(١) [١٨٠٣ ـ ١٩٩٢م]، وتُعد أول حركة تبنت فكر الفلسفات الشرقية في الولايات المتحدة، واعتمدت على ترجمات المنقول الباطني المقدس المتمثل في الكتب الهندوسية بشكل خاص. وبدأت بوادرها بين طوائف (الموحدين ـ Unitarians)(٢) في الولايات المتحدة الخارجين عن الكنيسة النصرانية التقليدية(٣). وهي تُمثّل الشكل الأمريكي للاتجاه الوثني الباطني(٤)؛ أي: أنها عرضت باطنية المعتقد الوثني الباطني بقالب أمريكي لا سابق له، فهي صورة أمريكية من الفكر الباطني الوثني.

وتقوم الفلسفة المتعالية على عدد من المبادئ المترابطة والمتداخلة التي أثّر بعضها على حركات وتوجهات لاحقة. ومن أبرز تلك المبادئ ما يلي:

١ ـ الاعتقاد بالقدرات الإنسانية الكامنة والخارقة، التي يرون أن البشر لا يستخدمون سوى جزء يسير منها، بينما هي قادرة على تمكينهم من التعامل مع العالم الميتافيزيقي الغيبي بلا حدود، لاعتقادهم بأن روح الإنسان هي جزء من الروح الكلي، أو روح العالم.

٢ ـ الاعتقاد بأن العلاقة بين الإلٰه والإنسان والكون هي علاقة (الوحدة)، فالأصل واحد، والكل بهذا الاعتبار مقدّس.

---

(١) فيلسوف وأديب أمريكي، صاغ فلسفته الخاصة القائمة على الفكر الشرقي، وتزعّم حركة الفلسفة المتعالية عند نشأتها. انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 247.

(٢) هم أتباع حركة التوحيد النصراني (Unitarianism) المنشقة عن النصرانية، والقائلة بالوحدة الإلٰهية مقابل القول بعقيدة التثليث النصرانية. وهي تجعل عيسى ﷺ ابنًا للإلٰه، ولكنها ترفض كونه جزءًا من الإلٰه الواحد. انظر:
The Dictionary of Philosophy, Dagobert D. Runes, 326, and An Explanation of Unitarian Christianity, D. R. Miano, from: www.americanunitarian.org.

(٣) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 792, and The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 35.

(٤) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 35.

٣ ـ الاعتقاد بقداسة المعرفة الحدسية والتجربة الباطنية والاعتماد عليها؛ لأنها فيض مباشر من العقل المقدس. والاعتقاد بأن تحقيق الخلاص[(١)] يكون بالالتفات إلى داخل النفس، حيث الطبيعة الإلٰهية.

٤ ـ الاعتقاد بأن التناغم[(٢)] الكلي مع الطبيعة هو طريقة الحياة الفضلى، وأن على الإنسان السعي لفهم هذا التناغم.

٥ ـ الاعتقاد بتأثير العقل على العالم المادي[(٣)].

٢ ـ (الحركة الروحية أو المذهب الروحي ـ Spiritualism):

وضع (أندرو دايفس ـ Andrew Davis)[(٤)] [١٨٢٦ ـ ١٩١٠م] الإطار الديني للمذهب الروحي، وبعد أن تعرّف على المزمرية[(٥)] عام ١٨٤٣م، ادّعى التواصل مع عدة أرواح، من بينها روح (سويدنبرغ ـ Swedenborg). وأوجد فلسفة

(١) يأتي التعريف بـ(الخلاص)، انظر: الفصل الثاني، الهندوسية، والفصل الثالث، الاعتقاد بالاتحاد والحلول.

(٢) (التناغم مع الطبيعة) دعوة تبدأ بالترغيب في العودة إلى كل ما هو طبيعي بالبعد عن المصنعات في المأكل والمشرب والمسكن، وتنتهي بالدعوة إلى التعري والإباحية كما في الحيوان، بزعم أن هذا هو عين الانسجام والتناغم مع الطبيعة!
انظر: حركة العصر الجديد، فوز كردي، ص٥٨، الهامش.

(٣) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 35, and An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 792, and New Age and Neopagan Religions in America, Sarah M. Pike, 49-50.

(٤) وُلد في نيويورك، وكانت لديه اهتمامات بدراسة الروحانية والتنويم المغناطيسي، زعم أن لديه قوى استبصار وأنه تلقى رسائل روحية عبر الاستنارة التي وصل إليها. تأثر بفلسفة سويدنبرغ، ومارس العلاج بالتنويم المغناطيسي، وألّف عددًا من المؤلفات، وهو أول من أوجد لفظ (قانون الجذب).
انظر: Andrew Jackson Davis Biography, From: www.spiritwritings.com, and Law of Attraction Secret - Joe Vitale, Marta Benson, From: www.spirit-essence.com.

(٥) نسبة إلى (أنتون مزمر ـ Anton Mesmer) [١٧٣٤ ـ ١٨١٥م] الذي اشتهر بعلاجه الروحاني القائم على الاعتقاد بطاقة غير مرئية لم يستطع إثبات وجودها علميًا، وأسس الحركة المزمرية التي قامت على تطوير بعض الشعوذات العلاجية والدجل والخدع تحت مسمى العلم. انظر:
The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 34- 35, and The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, 220 - 221.

ميتافيزيقة تعتمد على رؤاه الروحية، التي اعتبرت أن الكون محكوم من قبل (مبادئ مقدسة «إلٰهية» ـ Divine Principles)، وأن إعادة التناغم والحياة الخالية من الصراعات يكون عبر من تعلّم كيفية تطوير حواسه المادية وإدراكه الروحي بانسجام وتناغم[(١)].

ويقوم المذهب الروحي على دعوى إمكانية التواصل مع أرواح الموتى عبر أشخاص يطلق عليهم (وسطاء). ويُنظر في هذا المذهب إلى الظواهر المادية التي تتجاوز قوانين الطبيعة المعروفة على أنها من عمل الأرواح أو القوى الروحية الممنوحة إلى الوسطاء الروحيين، أو غيرهم ممن لديه قابلية خاصة على التأثير[(٢)].

وينتقد أعضاء جمعية الثيوصوفي الحركة الروحية، وشددت (بلافاتسكي ـ Blavatsky) في ذلك وذهبت إلى أنهم لا يملكون فلسفة، وأن الثيوصوفيا هي الروحية الحقة التي لا تشوبها شائبة[(٣)]. والحق أنّ ما تدعو إليه الثيوصوفيا ليس ببعيد عن مزاعم الروحية وما تعتقده في القوى الخفية والأرواح المزعومة.

٣ ـ (حركة الفكر الجديد ـ New Thought Movement):

وهي حركة فكرية قامت على فلسفة تدّعي العلاج بالعقل والفكر المجرّد؛ أي: القدرة على شفاء الجسد والروح بالفكر؛ بسبب القوى المؤثرة في تفكير الإنسان[(٤)]، وتُعد اسمًا جديدًا للمزمرية في أمريكا؛ بسبب شدة تأثرها بها. وتأسست الحركة على تفسير تعاليم (فينيس كويمبي ـ Phineas Quimby)[(٥)]

---

(١) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 36.

(٢) انظر: Anti-Christians Cults, A. H. Barrington, 29, and The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 36, and The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, 364-365,

والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٣) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 25, 28-30.

(٤) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 35-37.

(٥) هو معالج عقلي وروحاني، يُطلق عليه الوالد الفكري لحركة الفكر الجديد لشدة تأثيره عليها. انظر:

An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 533, and Phineas Parkhurst Quimby, from: www.phineasquimby.wwwhubs.com.

[١٨٠٢ ـ ١٨٦٦م]، الذي زعم أنّ للعقل البشري قوى روحية وقدرات هائلة، إن أحسن الإنسان استخدامها فإنه يحقق من خلالها الصحة والنجاح. بمعنى أن سعادة الإنسان وبؤسه يتعلق بفكره، وأن بإمكانه تنظيم القوى الروحية لعقله من أجل تحقيق ما يريد(١).

٤ ـ (حركة العلم النصراني ـ Christian Science):

هي حركة ناتجة عن حركة الفكر الجديد، ظهرت في أمريكا في فترة متزامنة مع جمعية الثيوصوفي عام ١٨٧٥م(٢). أسستها السيدة (ماري إيدي ـ Marry Baker Eddy)(٣) [١٨٢١ ـ ١٩١٠م] التي ادعت أن الإله هيأها لاستقبال الكشف الأخير للمبدأ المطلق القائم على (الاستشفاء بالعقل العلمي) وأنها اكتشفت قوة علاجية للطبيعة البشرية تكمن داخل الإنسان، يمكن عن طريقها معالجة كل الأمراض. وترتكز الحركة فلسفيًا على الاعتقاد بأن (الإله هو: المبدأ الإلهي، والحياة، والحقيقة، والروح، والعقل)، وأن (الإله هو الكل، والكل هو الإله). وأن كل ما في الإنسان من صفات هي في الواقع صفات الإله أو العقل، وما الإنسان سوى انعكاس لتلك الصفات، وأنه يشارك الإله في الوجود والأبدية، ويستمد جوهره من الإله، وبالتالي هو أبدي ملازم له غير منفصل عنه(٤).

وتُعد هذه الحركات الأربع أبرز بدايات انتشار الفكر الباطني الحديث في الغرب، إلا أن (جمعية الثيوصوفي ـ Theosophical Society) التي تأسست مستفيدة منها، واهتمت بتنظيم التعاليم الباطنية، وتميزت بالنظر في سبل نشرها؛

---

(١) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 35 - 36, and Phineas Parkhurst Quimby, from: www.phineasquimby.wwwhubs.com.

(٢) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 36, and Emma Curtis Hopkins, from: www.emmacurtishopkins.wwwhubs.com, and Phineas Parkhurst Quimby, from: www.phineasquimby.wwwhubs.com.

(٣) مؤسسة حركة العلم النصراني، وكانت من المرضى الذين تعالجوا لدى فينيس كويمبي وتأثروا بأفكاره. انظر:
The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 36, and Mary Baker Eddy, From: www.marybakereddy.wwwhubs.com.

(٤) انظر: Anti-Christians Cults, A. H. Barrington, 114 - 117, 124 - 127, 133 - 139,154 - 156.

تُعد أبرز وأهم حركة أسهمت في قوة الاتجاه الباطني في أمريكا[١]، ومن بعدها في العالم أجمع، فأمريكا تعد في ميزان القوى العالمية قوة غالبة، وتأثيرها في العالم كبير جدًا. وإن كان أثر الجمعية المباشر ضعف في نشر الفكر وتسويقه ـ لأسباب سيتناولها المبحث التالي تفصيلًا ـ إلا أنه استمر عبر ظهور وتوالد الحركات الروحانية التي ترتكز على معتقد الوحدة الباطني وتوابعه، ومن أشهرها (حركة القدرة البشرية الكامنة ـ Human Potential Movement)[٢] و(حركة العصر الجديد ـ New Age Movement)[٣]، وهذه الأخيرة تميزت بالبراعة في تسويق الفكر عن طريق تطبيقات تدريبية وعلاجية تحت دعوات للنجاح والتميز، فبدأت الجمعيات المختلفة في أوروبا تتلقف هذا النتاج وتتلقى تلك التطبيقات، وما لبثت أن وصلت إلى العالم الإسلامي في قوالب جديدة منهجها مزاحمة الموجود من القناعات والاعتقادات عند أصحاب الأديان السماوية بشكل يضمن بقاء الجديد وزوال القديم مع تقادم الزمان[٤].

فكان الفكر الثيوصوفي لب المذهب الباطني الحديث ومرتكزه، الذي قامت على أساسه العديد من الحركات الباطنية. والمطلب التالي يفصّل نشأة الفكر الثيوصوفي وتاريخه ويوضحهما.

---

(١) انظر: Anti-Christians Cults, A. H. Barrington, 158 - 159.

(٢) حركة القدرة البشرية الكامنة: نشأت في ستينات القرن العشرين، وقامت على فكرة القوى البشرية الكامنة في الإنسان، والعمل على تنمية الذات وتطويرها بناء على الاعتقاد بوجود شرارة إلٰهية تكمن في داخلها، متى ما تم إطلاقها تمتع الإنسان بقدرات هائلة. انظر:
The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 99,
وحركة العصر الجديد، هيفاء الرشيد، ص٥٠.

(٣) يأتي التعريف بها في الفصل الرابع، دعم الفكر الباطني الحديث.

(٤) انظر: حركة العصر الجديد، فوز كردي، ص١٦ ـ ٢٠.

المطلب الثاني

نشأة الفكر الثيوصوفي وتاريخه

إن تتبع نشأة الفكر الثيوصوفي وتاريخه بحسب كتابات المؤرخين له يُبرز حقبتين مهمتين تتمثلان في:

أولًا: الثيوصوفيا القديمة:

ويُقصد بها أصل الفلسفة في الحقبة التاريخية الممتدة في أعماق الزمان، إلى ما قبل نشأة حركة الثيوصوفي وجمعيتها في مدينة نيويورك بأمريكا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. فهي تلك الفلسفة الباطنية والتعاليم الاستسرارية المسماة بـ(الحكمة القديمة ـ Ancient Wisdom)، التي يرى معتنقوها أنها كانت مستخدمة عبر العصور وموجودة في جميع الأديان، إلا أنها حُفظت ونُقلت بسريّة عن عموم البشر[1].

وتشير بعض الدراسات إلى أنّ أول استخدام للفظ (ثيوصوفيا) كان في

(١) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 9, and An Outline of Theosophy, C. W. Leadbeater, 6, and Anti-Christians Cults, A. H. Barrington, 72- 73, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

القرن الثالث الميلادي في الإسكندرية، من قبل (أمُّونيوس ساكَّاس ـ Ammonius Saccas)[١] [القرن الثالث الميلادي] وتلامذته الفلاسفة الأفلاطونيون الجدد، للدلالة على معرفة تجريبية تُعرف بالوسائل الروحانية لا العقلية، يُطلق عليها (الحكمة السرية، أو دين الحكمة). وأن المصطلح استُخدم من ذلك الوقت لوصف طريقة توصل إلى حدْس إلٰهي مباشر، يحقق معرفة سرية للذات عندما تتحد بالذات الإلٰهية. حيث اعتبر أصحاب هذه المعارف أنفسهم (رجال الحكمة الإلٰهية) الأرفع مقامًا والأسمى منزلة ممن دونهم[٢].

وفي الزعم الثيوصوفي أن لفظ (ثيوصوفيا) استُخدم بعد ذلك في عدة حركات صوفية وروحانية[٣]، حتى ظهر اللفظ واستُخدم بشكل أعم مع تأسيس جمعية الثيوصوفي في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي[٤].

ويرى الثيوصوفيون أنّ تاريخ الثيوصوفيا يتقدّم الثيوصوفيين الإسكندرانيين بعصور طويلة[٥]. فهم يعتقدون أن (الثيوصوفيا ـ الحكمة الإلٰهية) وما يتعلق بها من تعاليم جاءت إلى الأرض بواسطة كائنات عظيمة تُفسَّر في أدبيات الثيوصوفيا بأنها سلالة بشرية عظيمة، أو أرواح عظيمة لديها قوى هائلة، تُطلق عليهم (بلافاتسكي ـ Blavatsky) عدة ألفاظ كـ (السادة ـ Masters)، أو

---

(١) هو مؤسس الأفلاطونية الحديثة ومعلّم أفلوطين، تقوم فلسفته على النزعات الباطنية وعقيدة وحدة الوجود. انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 594.

(٢) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 1, and Theosophy, Annie Besant, 12, and Theosophy, John Algeo, 8, and The Dictionary of Philosophy, Dagobert D. Runes, 317, and A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 144, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

(٣) مثل: حركة: يعقوب بوهيم، وأوائل السويدنبرغيين في إنجلترا، وبعض كُتاب القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي المهتمين بالمواضيع الروحية، وأتباع المدرسة الفيثاغورية، والغنوصية، والهرمسية، والخيمياء، وبوذية المهايانا. انظر:
Theosophy, John Algeo, 8.

(٤) انظر: Theosophy, John Algeo, 8, and About Theosophy, From: www.theosophical.org, and Modern Theosophy- An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

(٥) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 6, and Modern Theosophy- An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

(المهاتما ـ Mahatmas)[١]، وتدّعي أنهم هم الذين صانوا الحكمة القديمة[٢] التي كانت تُعلّم للناس جهرًا في العصور الأولى للإنسانية[٣]، ثم أصبحت تختفي وتظهر عبر العصور؛ فتارة تُعلّم جهرًا لعامة الناس، وتارة تُكْتَم عنهم وتُعلّم سرًا لصفوة مختارة. وأنها اختفت وظلت سرية دهرًا خوفًا من سوء استخدام تعاليمها الروحية بسبب فشو المادية والأنانية في البشرية، مما جعل (السادة ـ Masters) المؤتمنين عليها لا يُسرون بها إلا لتلامذة مختارين عبر (طقوس التأهيل ـ Initiation)[٤][٥].

ومن هنا أنشئت المدارس السرية للمحافظة على هذه التعاليم والحكمة، وتناقلتها الحضارات عبر القرون، وتأثرت واصطبغت بمعتقدات البلدان التي انتشرت فيها[٦]. فهي التعاليم الباطنية في الفلسفات الإغريقية والإسكندرية، وفي تعاليم الكبالا والغنوصية، وفي الأساطير السورية والفرعونية. وترجع أصولها إلى الهند وبلاد فارس ومصر والصين[٧].

---

(١) يأتي التعريف بالسادة والمهاتما في الفصل الثاني، الاستسرار والتأهيل الباطني.

(٢) انظر: An Introduction to Esoteric Principles, William Doss McDavid, 1, and The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, 376.

(٣) انظر: An Introduction to Esoteric Principles, William Doss McDavid, 1.

(٤) يأتي التعريف بها في الفصل الثاني، الاستسرار والتأهيل الباطني.

(٥) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 6, and Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 11,
والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٦) انظر: An Introduction to Esoteric Principles, William Doss McDavid, 1-2,
والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٧) انظر: An Introduction to Esoteric Principles, William Doss McDavid, 2, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org, and Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org.
والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

وبحسب التاريخ الثيوصوفي: نجد أن الحكمة الإلٰهية اختفت في الغرب إبان العصور الوسطى[(١)]، وأصبحت المدارس الباطنية أكثر سرية للمحافظة على التعاليم الباطنية، ومن تلك المدارس: (مدرسة الروزيكروشن ـ Rosicrucians)[(٢)]، و(جماعة الصليب الوردي ـ The Rosy Cross)[(٣)] التي حاولت تنوير العالم بهذه التعاليم هي وغيرها من التنظيمات[(٤)].

وقد انتشرت التعاليم الباطنية في الغرب ـ كما سبق بيانه ـ مع نزوح الجاليات الأوروبية إلى أمريكا واحتكاكهم بقبائل الهنود الحمر وممارسي السحر هناك، إلا أنها انحسرت في القرن الثامن عشر الميلادي لغلبة الوضعية والمادية وازدهار العلوم التجريبية في ذلك القرن. ومع بدايات القرن التاسع عشر الميلادي وطغيان الحياة المادية على الناس عادت التعاليم الباطنية للازدهار، وتأثر بعض الفلاسفة والمفكرين في الغرب بالفلسفة الشرقية وتعاليمها الباطنية،

---

(١) العصور الوسطى: يُقصد بها فترة زمنية مقسمة إلى ثلاث فترات متمايزة، أولى هذه الفترات طويل جدًا يبدأ من اضمحلال الامبراطورية الرومانية تقريبًا عام ٣٠٠م حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وثاني الفترات هي القرنان الثاني عشر والثالث عشر ويسميها المؤرخون (العصور الوسطى العالمية)، والفترة الثالثة تشمل القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي وتسمى (العصور الوسطى المتأخرة).
انظر: التاريخ الوسيط، نورمان كانتور، ص٣١.

(٢) حركة فلسفية سرية صوفية لا يُعرف تاريخها بالتحديد، ويقال أنها تأسست على يد كريستيان روزيكرانز عام ١٤٢٠م، الذي يعتبره البعض شخصية أسطورية. جذبت هذه الحركة فرقة الكبالا الباطنية، وقامت على علم التنجيم والخيمياء. انظر:
An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 671, and The Rosy Cross or Rose Cross, From: www.altreligion.about.com.

(٣) هو اتجاه باطني يرتبط بالروزيكروشن والكبالا والخيمياء، ويقوم على استخدام السحر والتنجيم والرموز السحرية. وقد أثر الصليب الوردي على تنظيمات وأفراد من مختلف التوجهات، مثل: الثيوصوفيا انظر:
The Rosy Cross or Rose Cross, From: www.altreligion.about.com,
والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: .www.maaber.org

(٤) انظر: An Introduction to Esoteric Principles, William Doss McDavid, 2-5,
والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: .www.maaber.org

وتأثروا بالمرشدين الروحانيين القادمين من الهند والتبت[١]. ومع حلول الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أعلنت (هلِنا بلافاتسكي ـ Helena Blavatsky) عن هذه العقيدة السرية المزعومة وكشفتها لعامة الناس تحت مصطلح (ثيوصوفيا) عبر جمعية الثيوصوفي التي أسستها[٢]. وعلا صوتها في الدعوة إلى تعاليمها الباطنية، مدعية أنها ستتجاوز أنانية البشر في الاحتفاظ بالأسرار، وتتولى تعليم الناس هذه الأسرار والمعارف المقدسة[٣]. وبذلك فإن جمعية الثيوصوفي تُعتبر إعلانًا للفكر الثيوصوفي ومرحلة من مراحله؛ أي: أنها تنتمي إلى الثيوصوفيا وليس العكس[٤].

وفي واقع الأمر، فإن الحكمة القديمة المزعومة (الثيوصوفيا)، والتي ادّعت (بلافاتسكي ـ Blavatsky) بأن لها الفضل في الكشف عنها هي عبارة عن تجميع انتقائي من الفلسفات الباطنية؛ كالهندوسية، والبوذية والديانات المصرية، والغنوصية، والكبالا ممزوجة مع الأفلاطونية الحديثة والسحر والتنجيم[٥]. حيث يطلق الثيوصوفيون لفظ (ثيوصوفيا) على جميع التوجهّات التي تحمل فكرًا باطنيًا، ويعدونها ذات قيمة تاريخية قديمة. فهي ـ عندهم ـ مرادفة لما «يُطلق عليه في

---

(١) التبت: منطقة تاريخية تحتل مساحة واسعة من الجبال والهضاب في آسيا الوسطى حتى سُميت بـ(سقف العالم). تقع التبت بين الصين وبورما والهند ونيبال وكشمير، عاصمتها (لاهاسا)، والدين السائد فيها هو البوذية التبتية. وكثير من المتبنين للفكر الباطني في العصر الحالي من المنتسبين للإسلام وغيرهم يزورون التبت للتواصل مع المرشدين الروحيين المزعومين هناك. انظر:

And Encyclopedia Britannica (Tibet), from: www.global.britannica.com,

والموقع الرسمي للدالاي لاما الرابع عشر: .www.dalailama.com

(٢) انظر: An Introduction to Esoteric Principles, William Doss McDavid, 4-5, and Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 11, and Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org

والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org، ودراسات ثيوصوفية، جهاد إلياس الشيخ، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٣) انظر: .The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, 376- 377

(٤) انظر: .Theosophy, Annie Besant, 90

(٥) انظر: .The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, 376- 377

الهند (براهمافديا ـ Brahmavidya)؛ أي: حكمة الحقيقة المطلقة، أو (ساناتا دهارما ـ Sanata Dharma)؛ أي: التعليم الأبدي، ولما يطلق عليه (كبالا ـ Kabbalah) في اليهودية؛ أي: ذاك الذي تم استلامه[١]، وما يطلق عليه (تاو هسويه ـ Tao Hsueh) في الصينية؛ أي: منهج الطريق، وما يطلق عليه (الصوفية ـ Sufism) في الإسلام؛ أي: طريقة أولئك الذين يلبسون الصوف، ويعتنون بالنقاء والحكمة، وما يطلق عليه في النصرانية (بريسكا ثيولوجيا ـ Prisca Theologia)؛ أي: الفكر القديم المتعلق بالقضايا الإلٰهية»[٢].

ويرى الثيوصوفيون أنّ التعليم الباطني الثيوصوفي وُجد عبر الأزمان في كتب الديانات المقدسة، وأن جميع النصوص الدينية تحوي رموزًا وأمثالًا تحمل باطنًا سريًا لا يدركه إلا خاصة من الناس، وأن جميع مؤسّسي الأديان العالمية علّموا طرفًا من عقائد الفلسفة الباطنية لأتباعهم، تلك العقائد التي تُعدّ جذر الأديان ولبّها، والسر الذي لا يعرفه إلا الصفوة وخواص البشر، وأما ظاهر الأديان المنتشر بين عوام الناس فليس سوى قشور خارجية تصلح للبسطاء[٣].

ثانيًا: الثيوصوفيا الحديثة:

ويقصد بها الحقبة التي نشأت فيها حركة الثيوصوفي أو جمعية الثيوصوفي[٤].

وبهذا الاعتبار يُعدّ الفكر الثيوصوفي الحديث وليد جمعية الثيوصوفي التي تأسست عام ١٨٧٥م في مدينة نيويورك، على يد (هلِنا بلافاتسكي ـ Helena Blavatsky) وبمساعدة (هنري أولكوت ـ Henry Olcott)[٥] [١٨٣٢ ـ ١٩٠٧م].

(١) بمعنى التقليد المتوارث، انظر: تعريف الكبالا في الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) Theosophy, John Algeo, 8.

(٣) انظر: Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 11, والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org، ودراسات ثيوصوفية، جهاد إلياس الشيخ، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٤) انظر: Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 41, and Children of The New Age - A History of Spiritual Practices, Steven J. Sutcliffe, 35, 46.

(٥) يأتي التعريف به، انظر ص٥٣.

حيث أعلنت تحت مسمى (ثيوصوفيا) كل ما يسمى بالتعاليم السرية أو مبادئ (الحكمة الإلٰهية) التي كانت مخفيّة عن العالم. وقد أسّست (بلافاتسكي ـ Blavatsky) جمعية الثيوصوفي من أجل نشر هذه العقائد الباطنية، وإدخال الفكر الشرقي وروحانياته إلى الغرب[١]، وحماية التطور الروحي للبشرية[٢] من التهديد الذي يشكله العلم المادي عليه[٣] ـ بحسب اعتقادها .. ولذا تُعد الجمعية من أهم مراحل الدعوة إلى الفكر الباطني العالمي في العصر الحديث، كما أنها مهدت لظهور حركات روحية ذات أثر واسع، تبنت الفكر الباطني الشرقي، ونشرته بشكل أوسع في العالم أجمع.

وفيما يلي تعريف بأبرز قيادات (جمعية الثيوصوفي ـ Theosophical Society):

١ ـ (مدام هلِنا بتروفنا بلافاتسكي ـ Madame Helena P. Blavatsky) [١٨٣١ ـ ١٨٩١م]:

وهي مؤسسة جمعية الثيوصوفي، وُلدت في روسيا لأسرة نبيلة، وتركت حياتها الزوجية لتبدأ رحلاتها حول العالم بحثًا عن الحكمة وأسرار الحياة. فتنقلت بين البلدان وقضت سبع سنوات في التبت والهند زعمت أنها التقت فيها بالمعلّمين (السادة ـ Masters)، حيث لُقنت وسوررت بأسرار السحر والتنجيم تحت إشرافهم وتعليمهم المباشر في دور الرهبان، وكُلفت بمهمة نشر حكمتهم وعقائدهم للبشرية[٤].

---

(١) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 12, and Theosophy, Annie Besant, 13, and Theosophy, John Algeo, 17-18, and The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 37-38,

والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٢) تطور الإنسان في فلسفة الثيوصوفي قائم على الاعتقاد بدورات حياة يترقى فيها الإنسان بوعيه بحسب قوانين عامة. وسيأتي بيانه عند الحديث عن مبادئ جمعية الثيوصوفي في المطلب التالي.

(٣) انظر: Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 11.

(٤) انظر: Theosophy, John Algeo, 17-18, and Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 41, and The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, 376, and The Hidden Dangers of The Rainbow, Constance E. Cumbey, 46, and Anti-Christians Cults, A. H. Barrington, 72,73,108,109, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

ثم رحلت إلى مصر، وهناك كانت بداية ادعائها التواصل مع الأرواح[١]، فاشتهرت بممارسة الروحية وعملت كوسيط في تحضير الأرواح إلى أن كُشفت خدعها وعادت إلى أمريكا عام ١٨٧٤م[٢]، حيث التقت بـ(أولكوت ـ Olcott) الذي أُعجب بها، وبقدراتها الفائقة التي ادّعتها، وعملا معًا. وأعانها على كتابة مؤلفاتها التي ادّعت أنها كانت بإملاء من السادة[٣]. وأطلقت على صداقتها بـ(أولكوت ـ Olcott) لقب (التوأم الثيوصوفي). وفي عام ١٨٧٥م قامت (بلافاتسكي ـ Blavatsky) بتأسيس جمعية الثيوصوفي في نيويورك بإعانة من (أولكوت ـ Olcott) و(جدج ـ Judge)[٤]. إلا أنها زعمت بأن (السادة) أصدروا أمرًا بإبقاء تعاليم الثيوصوفيا سرية لمدة مائة عام؛ أي: حتى عام ١٩٧٥م، مما جعل الأتباع يتواصلون عن طريق الرموز والكلمات السرية[٥].

وبعد سنوات انتقلت (بلافاتسكي ـ Blavatsky) مع (أولكوت ـ Olcott) بأمر من السادة إلى الهند، وقاموا بتأسيس المركز الرئيسي الدولي للثيوصوفيا في أديار[٦]. وفي عام ١٨٨٥م، وبعد ازدهار الجمعية وذيوع صيتها ظهرت حقائق

---

(١) وقد ازدهرت حركة الروحية الحديثة في مصر على يد أحمد فهمي أبو الخير في منتصف القرن العشرين الميلادي، وهي دعوة قائمة على ادعاء استحضار أرواح الموتى والتواصل معهم عبر وسطاء روحيين. أرّخ لهذه الحركة عدد من الكُتّاب منهم محمد محمد حسين في كتابه «الروحية الحديثة دعوة هدامة».
انظر: الروحية الحديثة دعوة هدامة، محمد محمد حسين.

(٢) انظر: Anti-Christians Cults, A. H. Barrington, 73, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

(٣) ومن أشهرها: (كشف النقاب عن إيزيس ـ Isis Unveild)، و(العقيدة السرية ـ The Secret Doctrine).

(٤) انظر: Theosophy, John Algeo, 17- 18, and The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, 376, and Anti-Christians Cults, A. H. Barrington, 108-109, and Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 41, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

(٥) انظر: The Hidden Dangers of The Rainbow, Constance E. Cumbey, 46.

(٦) أديار: منطقة كبيرة تقع في جنوب مدينة تشيناي (مدراس سابقًا)؛ وهي عاصمة ولاية (تامِل نادو) الهندية. وتُعد أديار من أغلى المناطق في تشيناي.
انظر: Madras city info, from: www.madras.com, and Property values in an unequal city, from: www.hindu.com.

كثيرة فضحت دعاوى (بلافاتسكي ـ Blavatsky)، ومن أشهرها:

١ ـ كشف زيف الحيل والخدع التي قامت بها (بلافاتسكي ـ Blavatsky)، والظواهر الروحية الفائقة التي ادّعتها، مثل: ادّعاء وجود كائنات روحية تتواصل معها.

٢ ـ كشف زيف الرسائل التي نسبتها (بلافاتسكي ـ Blavatsky) كذبًا إلى (السادة ـ Masters) المزعومين، والكشف بأنها مجرد جمع وانتقاء من عدة كتب شرقية مختلفة.

٣ ـ كشف السرقة الأدبية وانتحال النصوص التي قامت بها (بلافاتسكي ـ Blavatsky) في كتابة مؤلفاتها.

وكانت تلك الفضائح ضربة كبيرة للجمعية، أثرت سلبًا على سمعتها وسمعة مؤسستها (هلِنا بلافاتسكي ـ Helena Blavatsky) التي استمرت تحمل الفكر وتدافع عنه حتى توفيت[١].

٢ ـ (هنري أولكوت ـ Henry Olcott) [١٨٣٢ ـ ١٩٠٧م]:

كان (أولكوت ـ Olcott) صاحب مهن متعددة؛ فكان محاميًا وصحفيًا، وضابطًا في الجيش الأمريكي. شارك في تأسيس جمعية الثيوصوفي، وكان لديه اهتمام بالظواهر الروحية وجلسات تحضير الأرواح والوساطة الروحية. اعتنق البوذية ودعا إليها، وقام بإحيائها في سريلانكا، فأنشئت على إثر ذلك المدارس البوذية والتعاليم المتعلقة بها. وكانت من أهم مساهماته في إحياء العقائد البوذية تأليفه لكتاب (التعليم البوذي ـ A Buddhist Catechism)[٢].

---

(١) انظر: The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, 376, and Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 42, and The Hidden Dangers of The Rainbow, Constance E. Cumbey, 47, and Theosophy, John Algeo, 17-18, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org, and Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent. Org.

(٢) انظر: Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 41, and Theosophy, John Algeo, 17-18, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org, and Henry Steel Olcott, From: www.theosophical.org.

٣ ـ (وليام جدج ـ William Judge) [١٨٥١ ـ ١٨٩٦م]:

ولد في إيرلندا، وهاجرت أسرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية في طفولته. درس القانون، وكان من المشاركين في تأسيس جمعية الثيوصوفي مع (بلافاتسكي ـ Blavatsky) و(أولكوت ـ Olcott)، وأصبح الأمين العالم لفرع الجمعية الأمريكي، ونائبًا لرئيس الجمعية العالمية. له عدة مقالات ومحاضرات روحية باطنية، وكتابه (محيط الثيوصوفيا ـ The Ocean Of Theosophy) من الكتب المهمة في الجمعية[١].

٤ ـ (آني بيسانت ـ Annie Besant) [١٨٤٧ ـ ١٩٣٣م]:

وُلدت في لندن لأب عالم وفيلسوف متشكك ومستهزئ بعقائد النصرانية، ولجدة وعمة من الروم الكاثوليك المتشددين. وكانت (بيسانت ـ Besant) نصرانية متشددة في بداية الأمر، ثم بدأت شكوكها الدينية وظهرت لها تناقضات الإنجيل، ومرت بصراع دام ثلاث سنوات حتى تحولت إلى الإلحاد وأنكرت ألوهية المسيح. ثم توجهت إلى الغنوص والاعتقاد بأن الحدْس والتجربة يكفيان للإجابة عن تساؤلات الإنسان[٢].

كانت (بيسانت ـ Besant) كاتبة إنجليزية وناشطة في المجال السياسي والاجتماعي، حتى التقت بـ(بلافاتسكي ـ Blavatsky) فأصبحت عضوًا في جمعية الثيوصوفي وانتقلت إليها القيادة بعد وفاة (بلافاتسكي ـ Blavatsky)[٣].

واستمرّت (بيسانت ـ Besant) في قيادتها للجمعية، وحاولت إيجاد معلم للعالم يتولى قيادة البشرية في العصر المقبل، واختارت طفلًا هنديًا يسمى (جيدو

---

(١) انظر: Theosophy, John Algeo, 18, and William Quan Judge, from: www.theosociety.org, والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٢) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 783, and The Hidden Dangers of The Rainbow, Constance E. Cumbey, 47, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

(٣) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 783, and Theosophy, John Algeo, 19, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

كرِشنامرتي ـ Jiddo Krishnamurti)[١] [١٨٩٥ ـ ١٩٨٦م] واهتمت بتعليمه ليُقدّم للناس بصفته المعلّم العالمي الذي طال انتظاره، خليفة المسيح وبوذا. واستبشر أتباع الثيوصوفيا بهذه الشخصية المخلّصة على أنها أمل العالم في التنوير والسلام، واعتبره بعضهم تجسيدًا (للرب مايتريا ـ The Lord Maitrya)[٢]. وتم استقباله والاحتفاء به في عدة زيارات لأمريكا، إلا أنه في عام ١٩٢٩م تبرأ (كرِشنامرتي ـ Krishnamurti) من (بيسانت ـ Besant) وترك الجمعية، وأصبح يدعو إلى فلسفة خاصة شملت رفض جميع الأديان المنظمة والأنبياء بشكل صريح، مما أسهم في تراجع سمعة الجمعية بين أتباعها[٣].

٥ ـ (إلِس بيلي ـ Alice Bailey) [١٨٨٠ ـ ١٩٤٩م]:

خلفت (بيسانت ـ Besant) في قيادة جمعية الثيوصوفي[٤]، وهي كاتبة بريطانية لها الكثير من المؤلفات حول السحر والتنجيم والموضوعات الغيبية. وقد ادّعت أنّ روحًا تسمى (دجوال كول ـ Djwal Khul) قامت بتوجيهها وتعليمها. وكانت قد انتقلت إلى نيويورك وأنشأت إحدى المدارس التي تقوم على المنهج الباطني الغامض، وأقامت دورات دراسية في التعاليم الباطنية[٥].

---

(١) هو الفتى الذي اختارته (بيسانت ـ Besant) ليكون جسد المعلم الذي يحل فيه الأفتار(المايتريا)، الذي يُعتقد في الثيوصوفيا أنه يتجلى في الأرض عبر الزمن لينقذ العالم. فاختارته (بيسانت ـ Besant) ليكون منقذًا للعالم مع حلول العصر الجديد، ولكنه رفض المهمة التي نُسبت إليه. انظر:
The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 37-38 .

(٢) مايتريا: هو الكينونة الروحية التي يُعتقد أنها تتجلى في تجسيدات، أو تحل فيها، ويعبر عنها بـ(بوذا) الذي يظهر كلما دعت الحاجة لذلك، ليقوم بالتبشير بتعاليمه وينقذ العالم. انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 94 .

(٣) انظر: Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 81-83, and The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 37-38, and Theosophy, John Algeo, 19, and The Hidden Dangers of The Rainbow, Constance E. Cumbey, 47, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

(٤) انظر: The Hidden Dangers of The Rainbow, Constance E. Cumbey, 48, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

(٥) انظر: Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 82, and The Hidden Dangers of The Rainbow, Constance E. Cumbey, 47.

وقد انحسر دور الجمعية ونشاطها المقدم لعامة الناس إثر الأزمات والفضائح المتكررة والسمعة السيئة، والمشاحنات الداخلية الشديدة، والاتهامات والفضائح المتبادلة بين الأعضاء، والانقسامات الداخلية والانشقاقات التي لا حصر لها[١]. إضافة إلى الهجوم الشديد من الكنائس النصرانية، التي اتهمتها بالسحر والهرطقة، وذلك لتصريح روادها بالعداء للأديان السماوية، وتصريحهم بالدعوة إلى المعتقد الباطني[٢]. وهكذا لم يعد لجمعية الثيوصوفي وجود بارز وتأثير ظاهر في القرن العشرين، إلا أنّه تم احتضان أفكارها في معاهد للفكر الباطني تأسست بجهود من الثيوصوفيين، وهكذا امتد الفكر الثيوصوفي وانتشرت فلسفاته من خلال حركات باطنية جديدة، حتى وصل إلى العالم الإسلامي في القرن الواحد والعشرين[٣].

ولا تزال جمعية الثيوصوفي قائمة في أمريكا إلى اليوم، ولها أنشطتها، وتنشر فكرها عن طريق المراكز المنتشرة في الولايات الأمريكية المختلفة[٤]، وعن طريق المواقع الإلكترونية. ولا يزال المقر الرئيسي الدولي للجمعية موجودًا في أديار في الهند، يقيم عددًا من الأنشطة المختلفة، وله فروع عديدة في مناطق مختلفة من العالم[٥]، يقدم من خلالها الفكر الثيوصوفي بمبادئه وأهدافه التي يُفصلها المبحث التالي.

---

(١) انظر: Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 81-83, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

(٢) انظر: The Hidden Dangers of The Rainbow, Constance E. Cumbey, 44 - 46.

(٣) أهم تلك الحركات هي حركة العصر الجديد (New Age Movement)، يأتي تفصيلها لاحقًا بإذن الله.

(٤) انظر: Theosophy, John Algeo, 20.

(٥) انظر: الموقع الرسمي لجمعية الثيوصوفي في أمريكا: www.theosociety.org.
والموقع الرسمي للمقر الدولي لجمعية الثيوصوفي في أديار: www.ts-adyar.org.
والفرع الأمريكي للمقر الدولي لجمعية الثيوصوفي في أديار: www.theosophical.org.

المبحث الثاني

أهداف جمعية الثيوصوفي ومبادئها

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أهداف جمعية الثيوصوفي.

المطلب الثاني: مبادئ جمعية الثيوصوفي.

المطلب الأول

أهداف جمعية الثيوصوفي

يعتبر الفكر الثيوصوفي تجديدًا للأفكار الباطنية الهندوسية، وتجسيدًا لها في شكل غربي حديث[١]. ويقوم كسائر الفلسفات على محاولة الكشف عن أسرار الكون، وعما أسموه (القوى الغيبية ـ Shiddhis)[٢]، والبحث عن حقيقة الألوهية، وأصل الإنسانية والعالم، والهدف من وجوده. ومنهج المعرفة الثيوصوفي لا يعترف بالوحي ويعتمد على التجربة الباطنية والكتابات التي يُظنّ أنها تحتوي على أسرار عُرفت في الحضارات القديمة[٣]؛ لذلك لم يستطع الوصول إلى معرفة صحيحة ومفصّلة عن الغيب كما سيأتي بيانه.

وتهدف جمعية الثيوصوفي إلى تحقيق جملة من الأهداف، وفيما يلي بيانها:

(١) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 37-38, and Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 41, 81-83, and Some Basic Concepts of Theosophy, From: www.theosociety.org.

(٢) يأتي التعريف بها في الفصل الثاني، الحدس.

(٣) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn,37- 38.

أولًا: الدعوة إلى (أخوة إنسانية عالمية ـ Universal Brotherhood):

تحقيق الأخوَّة الإنسانية العالمية دون تمييز بين الناس بسبب عرق، أو عقيدة، أو جنس، أو طبقة، أو لون هو الهدف الأساسي لجمعية الثيوصوفي[١]. ومبناه على الاعتقاد بالأصل الإلٰهي المشترك للإنسان؛ فالناس جميعهم من ذات الجوهر، من (المطلق الواحد)، الذي وإن اختلفت تسمياته بحسب الأديان، إلا أن حقيقته واحدة[٢]. وما الناس في الحقيقة إلا صور وتجليات له[٣]، ويُعد جسد الإنسان قشرة أو غطاء لـ(الحقيقة المطلقة ـ Absoluteness) في داخله[٤].

ويقوم مبدأ الأخوة العالمية على حقيقة (تكافل ـ Solidarity) جميع الكائنات الحية، والتكافل هنا يعني: الحياة المشتركة في كل شيء[٥]، وبناء على اشتراك البشر في ذات الجوهر، فإنّ كل ما يفعله الشخص يؤثر على الآخرين في العالم أفرادًا وجماعات[٦]، وبالتالي يجب على البشرية أن تتعلم كيف تحيا كعائلة واحدة. وتهدف جمعية الثيوصوفي إلى تكوين نواة (أخوة عالمية ـ Universal Brotherhood) لرعاية الواقع العملي لهذا الهدف؛ مما يعزز التطور البشري الذي يحقق رقيًا روحيًا تعيش البشرية في ظلاله (أخوة روحية) لا يُفرق بينها شيء[٧].

والأخوة في نظر الثيوصوفيين قائمة بالفعل؛ لأنها حقيقة من حقائق الطبيعة، ولكنها تحتاج إلى رعاية، ولذا أنشأت الجمعية مراكز للأخوة في العالم

---

(١) انظر: Theosophy, John Algeo, 23-24, and Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org, and Modern Theosophy - An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

(٢) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 29, and The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1,35.

(٣) انظر: Theosophy, John Algeo, 23- 24.

(٤) انظر: Investigating the Powers in Man, Blavatsky, From: www.theosociety.org.

(٥) انظر: Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org.

(٦) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 29, and Theosophy, John Algeo, 23-24, and Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org.

(٧) انظر: Theosophy, John Algeo, 23- 24.

تدعم نشر ثقافة إيجاد أخوة لا يحدّها دين ولا جنس ولا لون، فتؤدي إلى توحيد الطوائف والشعوب والأشخاص في وحدة كلية متناغمة، وتحقق بينها علاقة (عائلية عالمية)(١).

ويرجع اعتقاد الثيوصوفيا بأصل الإنسانية الإلهي إلى عقيدة (وحدة الوجود) الباطنية، التي يتفرع منها كذلك الاعتقاد بالحقيقة الواحدة وأن الأديان المختلفة ليست إلا تعبيرات لتلك الحقيقة(٢)، وأن العمل على الجمع بين الخلافات وتخطي ظاهرها هو الموصل إلى الحقيقة الدينية الخالدة المطلقة. وهو الهدف الثاني لفلسفة الثيوصوفي وجمعيتها.

ثانيًا: (تشجيع دراسة الكتب المقدسة الآرية وغيرها ـ Promoting the study of Aryan and other Scriptures):

تدعي الثيوصوفيا وحدة الأديان وتسعى إلى التوحيد بينها عبر محاولة التوفيق بين جميع الأديان والطوائف والشعوب والأمم تحت عقيدة واحدة ترتكز على حقائق أبدية عبر المقارنة بينها وتحليلها(٣)، وترفع الجمعية شعار (ليس هناك دين أسمى من الحقيقة ـ There is no Religion Higher Than Truth)(٤) والحقيقة التي يقصدونها هي ما يعتقدونه من تعاليم باطنية تشمل القول بوحدة الكون والحياة والوجود (وحدة الوجود)، فلا وجود للحق إلا في الحقيقة الكاملة، وهذه لا توجد ـ في اعتقادهم ـ في دين معيّن أو لدى أحد من البشر(٥). تقول (بيسانت ـ Besant): «الثيوصوفيا هي مجموع الحقائق التي تشكل أساس جميع الأديان، ولا يمكن ادعاء حصرها في دين خاص»(٦).

وقد أكدت (بلافاتسكي ـ Blavatsky) في تصريحاتها وكتاباتها على وحدة

(١) انظر: Theosophy, John Algeo, 23- 24, and Modern Theosophy- An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

(٢) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 32.

(٣) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 3, and Modern Theosophy- An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

(٤) انظر: Theosophy, John Algeo, 9.

(٥) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 32.

(٦) انظر: Theosophy, Annie Besant, 91.

الأديان جميعها في الجوهر والغاية، ونظرت إليها بوصفها نُتفًا مختلفة الأشكال والألوان من نور الحقيقة الإلٰهية الواحدة، حيث شبَّهتْ الثيوصوفيا بالشعاع الأبيض للطيف، وشبّهت كلَّ دين بلون من ألوانه السبعة. معتبرة الثيوصوفيا مصدر الأديان، وجوهر الحقيقة المطلقة التي يقوم كل معتقد على جزء منها[١].

والأديان ـ بحسب عقيدة الثيوصوفي ـ هي طرق لجأ إليها الإنسان في بحثه عن الإلٰه. واختلافها يعود إلى اختلاف طبائع البشر وحاجاتهم ومراحل تطورهم، وبالتالي فهي تعبيرات ناقصة عن الحقيقة المطلقة[٢] الموجودة في الفلسفة الباطنية، والتي يتم الوصول إليها عن طريق الجمع بين وجهات نظر الجميع وإزالة الزائف من كل منها[٣]. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «الفلسفة الباطنية تؤلِّف بين جميع الأديان، فتجرِّد كلًا منها من ردائه الخارجي الظاهر... وتبيِّن لنا أن جذر كلٍّ منها هو عينه جذر الأديان الأخرى»[٤]، وهذا الجذر أو الأصل المشترك هو دين الحكمة الذي يضمُّ المعرفة المتراكمة عبر العصور[٥].

ويعتقد الثيوصوفيون أن باطن الأديان حين يظهر ويُعلّم للناس فإن العالم يتحرر من أوهامه وضلالاته ويصل إلى الحقيقة الأبدية[٦]. والوسيلة إلى ذلك كله هي الدراسة والمقارنة بين الأديان والفلسفات، والعثور على نقاط الاتفاق فيما بينها للوصول إلى باطنها المُعبّر عنه بـ(الحقيقة الكبرى) أو (الثيوصوفيا)[٧]. ومن هنا نشأت الدعوة إلى التسامح مع جميع الأفكار وتقبل مختلف المعتقدات؛ بوذية كانت، أو مسيحية، أو إلحادًا أو غيره؛ لأن كلًّا منها يحوي جزءًا من

---

(١) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 40.

(٢) انظر: Ibid, 32, and Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org.

(٣) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 32.

(٤) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 2.

(٥) انظر: Ibid, Vol.237,
والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٦) في الرأي الثيوصوفي أن معتقد الإنسان القديم يعدّ ضلالًا وأوهامًا تحبسه عن رؤية الحقيقة.

(٧) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 40, and Theosophy, Annie Besant, 91, and The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 37-38.

الحقيقة في نظرهم، ولأن تحقيق الاستنارة يمكن الوصول إليه بأي طريقة، فلا ضير في اختلاف الظواهر إن كانت الحقيقة واحدة، ولا ضير في اتباع أي وسيلة تحقق الاستنارة[١]. بل لا حاجة إلى التزام شرع معيّن أو الإيمان بإله خارجي لتحقيق الخلاص؛ حيث أنّ الخلاص ذاتي يتحقق من داخل الإنسان[٢].

وقد كان لأسلوب (بلافاتسكي ـ Blavatsky) الصريح في التقليل من شأن الأديان واعتبارها قشورًا؛ أثر كبير في تصدي الكنائس النصرانية للجمعية وفكرها، واعتبارها تروّج للكفر. لذلك استفادت الحركات التالية لحركة الثيوصوفي ونهجت أسلوب مزاحمة الدين لا مواجهته. وكانت (بلافاتسكي ـ Blavatsky) صريحة في التركيز على أن الفكر الثيوصوفي الباطني هو لب كل دين وجوهره، وإنما أخفاه الأنبياء الحكماء بحسن نيّة، رغبة في تبسيط الدين للعامة الذين لم يكونوا قادرين على فهم الحكمة الغنوصية الخالدة. ولذلك ينشر أتباع تلك الحركات التالية للثيوصوفي التأويل الفلسفي الباطني للنصوص الدينية؛ بزعم كشفها لحقيقة الأديان الخالدة التي يعتقدونها. وقد أدى هذا التأويل إلى الخلط بين التوحيد والشرك، والحق والباطل، والنقاء والتحريف[٣].

وقد لاقت دعوى الثيوصوفي إلى (التسامح بين الأديان) اعتراضًا كبيرًا من النقاد النصارى الذين أكّدوا زيفها وبطلانها[٤]. فعلى الرغم من أن جميعة الثيوصوفي تفتخر بدعوى أنها غير مقيدة بدين معين، ولا تُلزِم أعضاءها بمعتقدات خاصة، بل تترك لهم الحرية في اختيار دينهم الذي ستكون حقيقته وجوهره (الحكمة)، وتدعو إلى التسامح واحترام الآراء الدينية، إلا أن أتباعها في الحقيقة هم الأكثر تعصبًا لمن يعارض أفكارهم، ويستخدمون ضده أسوأ

---

(١) انظر: The Hidden Dangers of The Rainbow, Constance E. Cumbey, 44.

(٢) انظر: Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org and ModernTheosophy- An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

(٣) انظر: حركة العصر الجديد، فوز كردي، ص١٥.

(٤) انظر: The Ancient Wisdom, Annie Besant, 5.

(٥) انظر: Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 40, and Theosophy, Annie Besant, 89- 90, and Theosophy, John Algeo, 9, and Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 40, and Modern Theosophy- An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

الألفاظ[١]، «فالثيوصوفيون هم الأكثر (دوغماتية ـ Dogmatic)[٢] بجرأة، يرفضون الوحي المباشر من الإله، ثم يدّعون المعرفة المعصومة المباشرة من الكائنات الخفية، ويقبلون مفاهيم كُشفت من المهاتما»[٣] المزعومين.

وحقيقة دعوى دراسة الأديان والمقارنة والتوفيق بينها في جمعية الثيوصوفي هي الزعم بأن المعارف والحقائق حُبست في الآداب القديمة؛ في الهند، وسيلان، والتبت، والصين واليابان، ودول الشرق الأخرى[٤]، والسعي إلى إخراج هذه الحقيقة المحبوسة ونشرها ونبذ ما سواها، من خلال نشر تطبيقات المعتقدات الشرقية بين جميع الناس بلا تمييز بين لون أو عرق أو دين، والتأكيد على جوهر الإنسان ـ الذي يعتقدونه ـ وما يحويه من قوى كامنة، والتركيز على استكشافها من الوثنيات المتنوعة والفلسفات الهندوسية والبوذية، وهو الهدف الثالث لجمعية الثيوصوفي.

ثالثًا: دراسة ـ ما أسموه ـ (قوانين الكون وقوى الإنسان الكامنة ـ Investigating the laws of cosmos and the powers latent in man):

استكشاف القوى الكامنة[٥] في الإنسان ومعرفة القوانين غير المفسَّرة للكون، أو الأسرار الخفية للطبيعة هدف مهم من أهداف الثيوصوفيا[٦]. حيث يعتقد الثيوصوفيون أن في باطن الإنسان قوى كامنة إن دُرّبت وطُوّرت[٧]، حققت

---

(١) دوغماتية: أي: التعصب للفكر دون البحث عن وجه الحق فيه. انظر: المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص٣٣٠.

(٢) Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 31.

(٣) انظر: Investigating the Powers in Man, Blavatsky, From: www.theosociety.org.

(٤) (القوى الكامنة في الإنسان) عبارة تشمل السحر، والخوارق، والممارسات الغريبة، مثل: التخاطر، وقانون الجذب، والإسقاط النجمي، وغيرها من العجائب. انظر: Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org.

(٥) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 28, and Theosophy, Annie Besant, 89, and Theosophy, John Algeo, 9, and The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 37-38, and, Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 34, And The Objectives of The Theosophical Society, from: www.theosociety.org, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

(٦) وقد أصبح بعض الناس اليوم يفسّرون ما يحدث من خوارق وسحر بـ(مراحل متقدمة =

له طاقة إبداعية تُمكّنه من معرفة الحقائق الغيبية، ومشاهدة عوالم لا يراها من هم دونه في الوعي والقدرة، ويصل بها الإنسان إذا ما اكتشفها إلى القدرة على التأثير في الكون، وهي قدرة مطورة تجعل روحانية الإنسان ووعيه يتفتحان[١]. ويحقق ذلك كله الالتزام بتعاليم الثيوصوفيا الخالدة. ومن هنا تُعد الثيوصوفيا منهج حياة، تزوّد تابعيها بتعاليم وضوابط معيّنة توصلهم إلى التطور والتفتح المؤدي إلى معرفة النفس والكون[٢].

وتُعد معرفة الإنسان لحقيقته وحقيقة قواه في الفكر الثيوصوفي طريقًا إلى معرفة قوانين الكون وأسراره والحقائق الغيبية المطلقة، وذلك مرتكز على الاعتقاد بأن الإنسان عبارة عن صورة مصغرة للكون الواسع. وتتحقق معرفة الذات ومعرفة الكون والإدراك الباطني الحقيقي للحقائق الغيبية عبر تنمية الإنسان لقدراته الروحية أو النفسانية الكامنة[٣]، وهذا مبني على الاعتقاد بالشرارة الإلٰهية داخل الإنسان، التي هي فيض من المصدر الأول، والتي متى ما اكتشفها الإنسان تحققت له القوى الإلٰهية والمعارف المطلقة[٤] بكل شيء، وبالقوانين الكونية التي منها: قانون السبب والنتيجة (الكارما ـ Karma)، وقانون (التناسخ ـ Reincarnation)، وقانون (التطور ـ Evolution)[٥]. وسيأتي تفصيلها في المطلب التالي.

= من القوى والوعي). وهي خطوات خطيرة في طريق الإلحاد؛ حيث يُفسّر الغيب الذي أخبرنا به الوحي بالتفسيرات الباطنية والفلسفات الهندية. مثال ذلك: ادّعاء إمكانية رؤية الأشياء المحجوبة عن مجال الرؤية البصرية، أو رؤية الحوادث قبل وقوعها، أو إمكانية تأثير العقل على المادة، وتعليق الأجسام في الهواء، وغير ذلك.
انظر: الحاسة السادسة، أحمد توفيق حجازي، ص٣٨ ـ ٤٨.

(١) انظر: Investigating the Powers in Man, Blavatsky, From: www.theosociety.org, and Theosophy, Annie Besant, 89.

(٢) انظر: الثيوصوفيا، سالومون لانكري، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٣) انظر: Modern Theosophy- An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

(٤) انظر: الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٥) انظر: Theosophy, John Algeo, 46, 48, 53, 56.
ويسعى الباطنيون الجدد لاستكشاف قوانين جزئية من هذه القوانين الشاملة المزعومة، =

وخلاصة هذا الهدف: نشر الاعتقاد بألوهية الإنسان، وهو ركن ركين في عقيدة وحدة الوجود الباطنية، وجزء من مفهومها المشوّه لقضية الألوهية.

= وهو موضوع دراسة مفصلة لرسالة ماجستير، تقوم بإعدادها الطالبة: عبير الحمزة، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بعنوان: القوانين الكونية في الفلسفة الروحانية الحديثة.

المطلب الثاني

مبادئ جمعية الثيوصوفي

تتصل مبادئ جمعية الثيوصوفي بأهدافها، فهي أصل تنطلق منها الأهداف، وهي - من وجه آخر - غاية توصل إليها الأهداف، وستظهر هذه العلاقة الانعكاسية عند بيان حقيقة مبادئ الجمعية، التي تلخصها الأدبيات الثيوصوفية في ثلاثة، هي:

١ - الاعتقاد بأن جوهر البشر وجوهر كل شيء عبارة عن مبدأ واحد، هو مطلق لا نهائي وغير مخلوق. وتختلف تسميته بحسب المعتقد، فهو إما الإله أو الطبيعة. وبالتالي؛ فإن ما يصيب أي شخص أو أمة يؤثر على غيره من الأشخاص أو الأمم. وهذا المبدأ هو الأساس الذي تقوم عليه أهداف الثيوصوفيا الثلاثة؛ فلإثبات وحدة الحياة كلها ينبغي إيجاد نواة للأخوة العالمية، وللاعتراف بوحدة الحياة الأساسية، ينبغي دراسة الأديان والفلسفات المختلفة؛ حيث أن باطن جميع الأديان يعبّر عن حقيقة واحدة[١]. وبما أن الإنسان جزء من

(١) انـظـر: The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 35, and The Key to Theosophy, Blavatsky, = 29, 40, and The Objectives of The Theosophical Society, from: www.theosociety.org,

الوحدة الكونية، فهو يحمل صفات الكون، وحتى يفهم الكون والوحدة الشاملة عليه أن يتعرّف إلى ذاته[١].

٢ ـ الاعتقاد بالتطور المطرد لكل ما في الكون عبر التناسخ والدورات الكونية[٢]؛ التي يتطوّر فيها وعي الكائن وشكله حتى يصل إلى مراحل عليا من الوعي والقدرات، تؤدي به إلى الاتحاد بجوهر الوجود المطلق، والوصول إلى مرحلة الوعي الكلي[٣]. وهذا المبدأ هو أساس الهدف الثيوصوفي الداعي إلى معرفة قوى النفس وتطويرها.

ويجب على الإنسان ـ بحسب هذا المبدأ ـ أن ينمي القوى الكامنة بداخله؛ حتى يصل إلى مراحل عليا من التطور وتنمية الملكات، وتحقيق المعارف الكونية تبعًا[٤]. وهذا المبدأ ـ كما في مجمل هذا الفكر وتفصيلاته ـ مبني على عقيدة (وحدة الوجود)؛ فوعي الإنسان أو قواه ـ بحسب هذه العقيدة ـ تُعدّ شرارة أو فيضًا من المبدأ الأول، الذي هو جوهر الإنسان وأصله؛ وكلما تطور زادت قدراته، ونما وعيه، واتصل بالوعي الكلي واندمج به واتحد معه! يقول (ديمتري أفيرينوس ـ Dimitri Avghérinos)[٥]: «كل إنسان من حيث ماهيَّته كائن إلٰهي،

= والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(١) انظر: The Objectives of The Theosophical Society, from: www.theosociety.org.

(٢) الدورات الكونية: هي عبارة عن دورات تجلي الكون واختفائه. وهي تقوم على الاعتقاد بأن الجوهر المطلق يتجلى من خلال الكون ثم يختفي. وكل تجل واختفاء له يعتبر دورة كونية. وتُسمى فترة تجلي الكون (مانفَنتارا ـ Manvantara)، وفترة اختفائه وانحلاله هي (برالايا ـ Pralaya). وهذا القول ناتج عن الاعتقاد بوحدة الوجود، فالكون وكل ما يحويه يُعدّ تجليًا وظهورًا للوجود المطلق. انظر:
The Theosophical Glossary, Blavatsky, 190, 241, and A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 82, 105.

(٣) ومن تأثيرات هذا الفكر في العالم الإسلامي انتشاره عبر المتأثرين به ممن ينتسبون إلى الإسلام، مثل: أحمد عمارة.
انظر: أحمد عمارة والترويج لفكرة تطور الإنسان وإمكانية التنفس تحت الماء، متاح على: حساب سبيلي في موقع اليوتيوب ـ Sabeily page).

(٤) انظر: الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٥) كاتب وباحث باطني يوناني، يعيش في سوريا. له كتابات ثيوصوفية وترجمات لبعض =

وهو ينطوي في ذاته بالقوَّة على كلِّ القدرات والملكات التي تتصف بها الألوهة؛ وتتفتح هذه القدرات وتلك الملكات تدريجيًا وصولًا إلى كمال للوعي وسعة متناميين لا حدَّ لهما»(١).

على هذا؛ فالفكر الثيوصوفي لا يعترف بوجود المعجزات، أو خوارق الطبيعة، فهي تُعد في المنظور الثيوصوفي قوى بشرية عظيمة، يمكن لأي شخص تحصيلها من خلال الوصول إلى مراحل متقدمة من الوعي عبر تطوير قواه وقدراته. فالقول بالمعجزة لا يتناسب مع عقيدة الثيوصوفي التي ترى الألوهية سارية في كل الحياة(٢)، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «يُفترَض بالمعجزة أن تعني عملية ما خارقة للطبيعة، بينما لا يوجد في الواقع شيء وراء الطبيعة أو فوق قوانينها»(٣). وتؤكد أنّ أعظم قوة في الإنسان هي قوة الخلق بواسطة الفكر والإرادة والخيال، وهي قوة تُسمى في الهندوسية (كرياشاكتي ـ Kriyashakti) وتصفها (بلافاتسكي ـ Blavatsky) بأنها هي «القوة السرية للفكر، التي تمكّنه من تحقيق نتائج هائلة خارجية ومحسوسة عبر طاقتها الكامنة»(٤). كما يرفض الثيوصوفيون استخدام لفظ (السحر) للدلالة على علومهم وممارساتهم السحرية (Occultism)؛ لأن السحر يعتمد على الشياطين وهم لا يعترفون بوجود الخوارق، ولأن لفظ السحر مرتبط بالدلالة على الشر، وطالما حذّرت منه الأديان السماوية. فيذهبون إلى أن جميع المظاهر السحرية عبارة عن قوى إنسانية مطوّرة. ولكنهم يناقضون قولهم بعد ذلك بالاعتراف بأن إساءة استعمال القوى أو

= أعمال (بلافاتسكي ـ Blavatsky) و(كرِشنامرتي ـ Krishnamurti) إلى العربية، وكتاباته تدور حول الفلسفات الهندية والباطنية، وهو أحد مؤسسي موقع معابر الذي ينشر الفلسفات الباطنية بجميع أشكالها. (لمعرفة حقيقة فكره تصفح حسابه في شبكة (فيس بوك) للتواصل الاجتماعي (Dimitri Avghérinos)، وفي شبكة (تويتر) للتواصل الاجتماعي (@philalethian)، وكتاباته في موقع معابر (www.maaber.org)، وموقع (سماوات جديدة ـ www.samawat-jadidah.org).

(١) الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: wwwmaaber.org.

(٢) انظر: Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org.

(٣) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 187.

(٤) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 253.

القدرات النفسية أو أيِّ سرٍّ من الأسرار الطبيعية (أي: استخدام القدرات الغيبية بدافع أناني) يُعدّ سحرًا أسود شيطانيًا وشعوذة، ويعتبر صاحبه أخًا للظل[(١)] وعدوًّا للعالم، وستنتج نتائج وخيمة عما يمارسه. أما استخدامها للخير وبدافع حسن لنفع العالم يُعد سحرًا أبيض خيّرًا، أو (سحرًا إلٰهيًّا ـ Divine Magic) أو علمًا إلٰهيًّا، ويُعتبر صاحبه من (الأخوة البيضاء[(٢)])[(٣)]. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «المعرفة الباطنية ليست سحرًا... النية وحدها هي التي تجعل أي ممارسة للقوّة تصبح سحرًا أسود ضارًا أو أبيضَ نافعًا»[(٤)]. فالثيوصوفيون يعترفون بأنهم يمارسون السحر تحت غطاء أطلقوا عليه (القوى الغيبية ـ Shiddhis)، حتى يلقى قبولًا بين الناس ولا ترفضه أذهانهم.

وقد نددت الكتابات النصرانية الناقدة للثيوصوفيا بالاعتقاد بالقوى الكامنة المزعومة، وبيّنت أنّها تشمل السحر، والخوارق، والممارسات الغريبة مثل: (التخاطر ـ Telepathy)[(٥)]، و(قانون الجذب ـ Law of Attraction)[(٦)]،

---

(١) أخوة الظل: هم الأخوة السوداء أو السحرة الأشرار، وهم الذين وصلوا إلى مراحل عليا من القدرات الهائلة التي يوجهونها للشر، وهم ـ بحسب الثيوصوفيا ـ يقابلون (الأخوة البيضاء) الذين يستخدمون قواهم في الخير ونفع البشرية. انظر:
The Key to Theosophy, Blavatsky, 188.

(٢) يأتي التعريف بها في الفصل الثاني، الاستسرار والتأهيل الباطني.

(٣) انظر: Collected Writings, Blavatsky,Vol. 9, 251- 252 (Occultism Versus The Occult Arts), from: www.blavatskyarchives.com, and The Key To Theosophy, Blavatsky, 18, 188, 208, 228, and Investigating the Powers in Man, Blavatsky, From: www.theosociety.org.

(٤) Collected Writings, Blavatsky, Vol. 9, 156 (Practical Occultis), from: www.blavatskyarchives.com.

(٥) التخاطر: هو دعوى الاتصال المباشر بين عقلين بغير استعمال لحاسة الإدراك؛ أي: انتقال الخواطر وغيرها من التجارب الشعورية من عقل إلى آخر، من خلال وسائل غير حسية ولا معروفة. انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 763,
والمعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص١٧٤.

(٦) قانون الجذب: يُعتقد أنه قانون كوني يحكم الواقع الذي يعيشه الإنسان، عبر جذب العقل الإنساني للظروف والأحداث المادية الخارجية المماثلة لما يدور في داخله. بمعنى أن النوايا العقلية وتوجهاتها ترسم للإنسان أشخاصًا وأشياء مماثلة لها. انظر:
The Skeptic's Dictionary (Law of Attraction), Robert T. Carroll, from: www.skepdic.com.
يروج له (وليام جدج ـ William Judge) في كتابه «محيط الثيوصوفيا ـ The Ocean of Theosophy». وانظر: الفصل الرابع، صرف الناس عن التوجه لله ﷻ وإفراده بالعبودية.

و(الإسقاط النجمي ـ Astral Projection)(١)، وغيرها من العجائب التي لاقت قبولًا وتم التصديق بها تحت مسمى (القوى الكامنة)(٢).

٣ ـ الاعتقاد بوجود قانون دوري ذي سلطان مطلق في الكون، هو قانون (الكارما ـ Karma)(٣). وهو نفسه قانون الجزاء في الفلسفة الهندوسية(٤). والكارما ـ عند معتقديها ـ: قانون سرمدي دوري في الكون لا يُستثنى من سلطانه أي موجود. ويُعبّر عنه بقانون السبب والنتيجة، ففعل الإنسان هو السبب الذي يُحدث النتائج؛ أي: هو المتحكم بما يحدث له في حياته. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «الكارما لا يخلق شيئًا ولا يخطط، بل الإنسان هو الذي يخطط ويخلق الأسباب، والقانون الكرمي يُكيف الآثار، وهو لا يفعل، ولكنه تناغم كوني»(٥). وحين يكون الإنسان خبيرًا في هذا القانون ـ بحسب الثيوصوفي ـ يصبح مَلِكًا للطبيعة برمتها، ويمتلك كل القوى الموجودة فيها(٦).

وتوضح هذه الأهداف والمبادئ حقيقة الفكر الثيوصوفي، فعليها تقوم تعاليمه الباطنية، ويزيدها إيضاحًا الحديث عن مصادر المعرفة المعتمدة عند رواد الفكر ومتبنيه وهو موضوع الفصل التالي.

---

(١) الإسقاط النجمي: هو أحد التطبيقات التي تقوم على اعتقاد أوجدته (بلافاتسكي ـ Blavatsky) يرتكز على اعتقاد وجود سبعة أجسام للإنسان، ويزعم إمكانية خروج أحد هذه الأجسام (الجسم النجمي) عن باقي الأجسام الستة وقيامه برحلات في الكون. وبحسب هذا الرأي يوصف الجسم النجمي باشتماله على هالة، ويُعتبر مقر الشعور والرغبات، ويتصل بالجسم المادي عبر حبل في حالة الإسقاط النجمي. انظر:
The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, 33-34.

(٢) انظر: Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org.

(٣) انظر: Some Basic Concepts of Theosophy, From: www.theosociety.org,
والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٤) انظر: Man's Latent Power, From: www.teosofia.com,
ولمزيد تفصيل انظر: الفصل الثاني، الكارما في الهندوسية.

(٥) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.2, 273.

(٦) انظر: Man's Latent Power, From: www.teosofia.com.

الفصل الثاني

أصول المعرفة ومصادرها في الفكر الثيوصوفي

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أصول الفكر الثيوصوفي.

المبحث الثاني: مصادر المعرفة الغيبية في الفكر الثيوصوفي.

المبحث الأول

أصول الفكر الثيوصوفي

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفلسفة الباطنية (Mysticism).

المطلب الثاني: الديانات الشرقية (الهندوسية، والبوذية).

المطلب الثالث: الباطنية الكتابية (الغنوصية، والكبالا).

توطئة

تنتقي جمعية الثيوصوفي أفكارها ومعتقداتها من أصول باطنية متعددة، وتعتمد بشكل كبير على الفلسفات الباطنية، وبخاصة الهندوسية والبوذية، إضافة إلى الباطنيات الكتابية المتمثلة في الكبالا اليهودية، والغنوصية النصرانية.

وقد صرّحت (بلافاتسكي ـ Blavatsky) بأنّ التعاليم التي تدعو إليها جمعية الثيوصوفي جُمِعت من تعاليم ومدارس كبار الفلاسفة في العالم، وأنّ المصطلحات المُستخدمة للدلالة على الماورائيات في الأدبيات الثيوصوفية هي مصطلحات شرقية[١]. ولا عجب فقد كانت الهند بفلسفاتها هي محطتها الأولى، وقِبلتها المعرفية ـ كما سبق بيانه ـ. وقد أكّد كبار مؤسسي الجمعية على تجذّر الحقيقة التي يدعون إليها في الآداب الشرقية القديمة[٢]، ومن ذلك ما جاء في كتاب «موجز لمبادئ الثيوصوفيا الحديثة»: «تقريبًا جميع معارفنا في الوقت الحاضر جاءت من الشرق. علينا أن نشكر الأمم الشرقية القديمة لأن الجزء الأكبر من معلوماتنا . . . وكل شيء نعرفه في الوقت الراهن ما هو إلا تطويرٌ للبذور القليلة من الحكمة التي زُرعت بيننا من قِبَل أشقائنا الشرقيين»[٣]. والملاحِظ للفكر الثيوصوفي يجده ليس شرقيًا خالصًا، وإنما فكرًا شرقيًا مطعمًا بالفكر الغربي[٤].

(١) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky, 34, 115- 118.

(٢) انظر: Investigating the Powers in Man, Blavatsky, From: www.theosociety.org.

(٣) Modern Theosophy- An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

(٤) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 783.

ويذكر كتاب «حكمة الشيطان كُشفت في الثيوصوفيا الحديثة» بأن الثيوصوفيا الحديثة تستخدم «بعض الفلسفات القديمة بطريقة أكثر شعبية عن طريق مزجها بعناصر أخرى وبالمذهب الروحي خصوصًا. فهي تحاول كسالفتها الغنوصية تشكيل دين عالمي فلسفي انتقائي، عن طريق عناصر ممزوجة تم اختيارها من جميع الأنظمة؛ فتختار مصطلحاتها من الأدب البوذي والبراهمي، وتستمد تعاليمها ـ التي تُعد مزيجًا غير ثابت ـ من ديانات الهند ومصر وفارس واليونان، والكبالا اليهودية، والاعتقاد بالقوى الخفيّة، والسحر، والكشف الأرواحي. كما أنها تستخدم مصطلحات مسيحية، وتتظاهر بأنها تطور أسمى للمسيحية يفوق الأرثوذكسية، بينما هي النقيض الحقيقي لها»[1].

فالفكر الثيوصوفي هو مزيج ملفّق من عدد من الأديان والفلسفات في الصين والهند وفارس ومصر وغيرها، وإن استقصاء جميع المصادر التي أثرت على الفكر الثيوصوفي يطول لتشعبها داخل الفلسفات الباطنية كلها، لذا سنعتمد في هذه الدراسة أهم هذه المصادر ونفصلها في المطالب التالية.

---

(١) Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 9-10,
وانظر: Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 41.

المطلب الأول

الفلسفة الباطنية (Mysticism)

جمعية الثيوصوفي ترتكز كليًّا على الفلسفة الباطنية بكل معطياتها، وهي فلسفة متجذرة في التاريخ الإنساني، يوحي بها إبليس إلى أوليائه كلما حادوا عن المنهج الحق الذي تدعو إليه الرسل، وتتمثل الفلسفة الباطنية في جوانب كثيرة من الفلسفة الإغريقية والفرعونية والفلسفات الشرقية في الهند والتبت والصين وفارس فيما يتعلق بالوجود والإلٰهيات ـ كما سبق بيانه ـ، ويستعرض هذا المطلب السمات العامة للفلسفة الباطنية التي هي مطردة بتلونات مختلفة في كافة الأصول التي تعتمدها الثيوصوفي وتستمد منها:

١ ـ الاعتماد الكلي على فكرة (الظاهر والباطن):

وهي السمة الأساسية لدى التوجهات الباطنية، وتقوم عليها باقي السمات؛ حيث يرى الباطنيون أن كل ما في الكون مكون من قسمين: قسمٌ ظاهرٌ جليٌّ، وقسمٌ باطنٌ خفيٌّ. بما في ذلك الدين، فهو يتألف من مستويين: مستوى الخاصة الذي يصعب فهمه على العامة، وهو البُعد الباطني الذي يمثل المعرفة الميتافيزيقية الماورائية، أو الحكمة التي تُكتسب عن طريق الممارسات الروحية؛

كالتأمل والصلاة الروحية وغيرهما. والمستوى البسيط أو الظاهري، وهو الذي يربط حياة أتباع الدين بتوجه روحاني، وهياكل، ونظم خلقية، وعبادات وطقوس وشعائر. ومن هذا المنظور يعتبر الباطنيون بُعدي الدين: الخاص والبسيط (الظاهر والباطن) مترادفين، وجانبين مهمين، ومتساويين في المسار الديني[(١)]؛ باعتبار أن الباطن يُعد أسرارًا خَفيت عن عامة الناس، وأن الطقوس والعبادات عبارة عن شكليات تحوي أسرارًا دينية، ورموزًا تدل على معانٍ مطوية[(٢)]، بمعنى أن «التعاليم الباطنية التي تحتويها الديانات العالمية مغلفة بحجاب كثيف من الرموز والإشارات»[(٣)].

وبحسب هذا الفكر فإن الترك المتدرج لشرائع وتكاليف وواجبات الظاهر نحو الباطن هو طريق من أراد التطور والوصول إلى بواطن المعارف. فالشريعة وعبادات الجوارح ـ عند الباطنيين ـ هي نقط الابتداء، لكن الحقيقة النهائية هي كسب المعرفة الباطنية. لذا فإن الصفة الظاهرية للدين لا أهمية لها بالنسبة للحقيقة المقدسة التي ينبغي الاتجاه نحوها. والباطني الذي يسعى إلى الاتحاد بالذات الإلٰهية يصبح كل شيء في نظره حجابًا يُخفي الجوهر[(٤)]، «ولا يستطيع أن ينزع هذا الحجاب إلا من يدرك كُنه الحقيقة، حينما يصل إلى العلم بالذات الأزلية»[(٥)].

٢ ـ الاعتقاد بـ(السادة ـ Masters) ومكانتهم:

يعتقد الباطنيون أن الأسرار والحقائق الكونية كُشفت لأهل الباطن الذين وصلوا بعد تدريبات شاقة إلى مراحل عليا من الوعي الروحي والمعرفة، ويطلقون عليهم: (السادة ـ Masters)، أو (الغورو ـ Guru)[(٦)]، أو (المعلمون الروحيون)، أو (الشيوخ) أو (الأولياء). وهم بالتالي يُسرّون إلى تلاميذهم بالأسرار التي

---

(١) انظر: تراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٤٩، الهامش.
(٢) انظر: تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون، عمر فرّوخ، ص١٤٤.
(٣) دراسات ثيوصوفية، جهاد إلياس الشيخ، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.
(٤) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص١٦٩ ـ ١٧٠.
(٥) المرجع السابق، ص١٧٠.
(٦) يأتي التعريف به في الفصل الثاني، الاستسرار والتأهيل الباطني.

تكشفت لهم. كما يُعتقد أن على التلميذ بالمقابل أن يصدّق معلّمه ولا يخالفه أو يشكك في دعاويه مهما كانت؛ لأن ما كُشف للمعلم من حقائق - بحسب الباطنيين - لم يصل إليها أهل الظاهر لبساطة وعيهم، ولا يعيها من هو دون المعلم في الإدراك والوعي. وما خالف تعاليم الأديان السماوية من هرطقات المعلمين يُؤَول ويُلَفق بينه وبين نصوص الشرع، ويُتهم فيه جهل المريد وبساطة وعيه في إدراك باطن النصوص. ولذلك لزم الانصياع والاستسلام لأمر المعلم وتبجيل كل ما يقول[1].

٣ - (التعاليم الاستسرارية - Esoteric Teachings):

تتبنى الباطنية أساليب سرية في نقل عقيدتها، حتى تضمن اقتصار نشر تعاليمها على فئة معينة[2]، وذلك بناء على اعتقادهم بوجوب التدرُّج في تلقين التعاليم من الظاهر إلى الباطن، لضمان أهلية المريد لتقبل هرطقاتهم تحت دعوى (النضج النفسي والروحي)؛ لأن تلقي المرء لحقائق هو غير مستعد لها يعرِّضه لما لا تُحمد عقباه، وأقل ما في ذلك فقدانه لرشده في زعمهم. كما يضمن المنهج الاستسراري سرية تناقل التعاليم وعدم إفشائها لمن يعي كُفرها ومخالفتها لصريح الأديان. لذا يتم التشديد دومًا في المدارس الباطنية قاطبة على حرمة نقل أسرار الروح وضرورة كتمها عن من لم يبلغ حدًّا معيَّنًا من التفتُّح الداخلي والنضج الأخلاقي يؤهلانه لتعلمها وصونها. ويشدد الحكماء ومرشدو المدارس الباطنية على ضرورة اختيار المريدين ذوي القلوب النقية، الذين يضعون نصب أعينهم خير البشرية وتطوُّرها، لا منفعتهم الخاصة الضيِّقة[3]. فلا يصرح المعلم الروحاني بالأسرار التي تتجلى له إلا لفئات معينة من المريدين يتم قبولهم عبر طقوس معيّنة وطرق خاصة تُسمى (الاجتباء)، يلتزم فيها المريدون برياضات

---

(١) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص١٥٧، وتاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون، عمر فرّوخ، ص١٤٤ - ١٤٥، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٢، ٢١٠.

(٢) انظر: الفلسفة في الهند، علي زيعور، ص٨١،

And Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 11.

(٣) انظر: مفتاح الثيوصوفي، متاح على معابر: www.maaber.org، (الهامش)، (بتصرف يسير).

وواجبات منها: التأمل الروحي الذي انتشر صيته تحت مصطلحات تحاول تقريبه من عبادة التأمل والتفكر في الإسلام[(١)].

٤ ـ رمزية الأعداد والحروف:

من أبرز مبادئ الباطنية الغنوصية القيمة الرمزية للحروف الأبجدية والأعداد، التي يعتقدون أنها تنطوي على خصائص معينة، وترمز إلى معانٍ سرية باطنة. فللعدد (سبعة) مثلًا خصوصية وأسرار باعتبار أنه يمثل آخر الفيوضات أو القوى السبعة، والمتمثلة بالكواكب السبعة التي تدبر العالم وتؤثر فيه، وهكذا[(٢)].

٥ ـ التأويل الباطني:

وهو إخراج النص عن دلالته الظاهرة إلى معانٍ خفية، أو تفسير الكتب المقدسة تفسيرًا رمزيًا أو مجازيًا يكشف عن معانيها الخفية التي لا تتجلى ـ بزعم أهل الباطن ـ إلا لخواص من الناس يتوارثون أسرارًا خاصة، ويدربون أنفسهم على الغوص في خفايا النصوص واستخراج أسرارها من خلال خصائص روحانية للحروف والأعداد[(٣)]. وهم في ذلك يعتقدون أنّ التأويل الباطني هو طريقة إدراك الحقائق الدينية، وأن المعرفة الحقة تتحقق بمعرفة أسرار الشريعة وبواطنها، وأنَّ من ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف الظاهري واستراح من أعبائه[(٤)]. فبحسب الزعم الباطني أنّ وراء المعنى الحرفي للنصوص المقدسة حقائق فلسفية تُستخلص بالتفسير المجازي أو الباطني[(٥)]، فـ«كل ما ورد من الظواهر في

---

(١) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص١٥٧، وتاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون، عمر فرّوخ، ص١٤٤ ـ ١٤٥، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٢، ٢١٠.

(٢) انظر: موسوعة الفِرَق والمذاهب في العالم الإسلامي، مجموعة من المؤلفين، ص١٦٨، وتاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون، عمر فرّوخ، ص١٤٤ ـ ١٤٥.

(٣) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ٢٣٤.

(٤) انظر: فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ص١٦ ـ ٢١، والعقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص١٥٧.

(٥) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص١٥٧.

التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلٰهية فكلها أمثلة ورموز إلى بواطن»[١]. وغالبًا ما تصل تأويلاتهم إلى مذاهب شتى تصل حد التباين والتناقض بينها[٢].

ويتم اللجوء إلى التأويل الباطني عند وجود نصوص تُعارض المعتقدات الباطنية، لذا ظهر التأويل في الفِرق الباطنية المنتسبة إلى الديانات الكتابية بشكل كبير ففسرت كتبها المقدسة تفسيرات رمزية، وتبعتهم من بعد الفرق الباطنية المنتسبة للإسلام[٣]، باعتبار أن النصوص الدينية والأحكام ليست إلا رموزٌ وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتومة[٤].

٦ ـ المعرفة الباطنية الغنوصية:

تُعظّم المدارس الباطنية الخبرة الداخلية الحدسية التي تقود ـ باعتقادهم ـ إلى المعارف العليا، ويرى أصحابها أن علمهم الباطن هو العرفان الذي يهبط على قلوبهم إشراقًا دون واسطة، ودون معلم، ويرفضون أن يكون العقل مصدرًا للمعارف؛ لأنه متعلق بالحياة المتناهية، فيعجز تبعًا عن إدراك الحقائق اللامتناهية. كما أنهم يرفضون أن تتأتى معارفهم عن طريق الدراسة، ويلتزمون برياضات قاسية تمكنهم من الدخول إلى التجربة الباطنية[٥]. ويُسفّه الباطنيون المعرفة الظاهرية، «لأنها لا توصل إلا إلى حقائق نسبية [في رأيهم]، أما الحقيقة المطلقة فلا يتم التوصل إليها إلا عن طريق الاتحاد الذي يتم بالعزلة لا بالتربية والتثقيف الظاهري»[٦].

٧ ـ وحدة الأديان أو التعددية الدينية:

وهي سمة بارزة للاتجاه الباطني، فلما كانت المعرفة ذاتية باطنية يصل إليها

---

(١) فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ص٥٩.

(٢) انظر: موسوعة الفِرَق والمذاهب في العالم الإسلامي، مجموعة من المؤلفين، ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(٣) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد الخطيب، ص٣١ ـ ٣٢.

(٤) موسوعة الفِرَق والمذاهب في العالم الإسلامي، مجموعة من المؤلفين، ص١٧٨ ـ ١٧٩.

(٥) انظر: الوجه الآخر للمسيح، فراس سواح، ص٧٦، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي نشار، ١/١٨٧، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، محمد الخطيب، ص٢٢، والفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، عمر عبد الحي، ص١٢٢، وقصة الديانات، سليمان مظهر، ص٢٣٢.

(٦) الفلسفة الشرقية، محمد غلاب، ص٢٨٣.

الفرد باجتهاده عبر التجلي أو فيض المعارف التي يظن أنه حققها، استلزم ذلك أن كل فرد سيصل إلى حقيقة قد توافق أو تخالف أو تناقض ما يصل إليه غيره. وجميع الآراء المتباينة والأديان المتعددة في الزعم الباطني هي عبارة عن أجزاء من الحقيقة يمكن أن تُقبل جميعها، كما أنها طرقٌ ينتهجها الإنسان للسمو والارتقاء، وبالتالي لا ينبغي له إنكار اعتقادات وطرق غيره من الأشخاص أو الأديان، كما يمكنه تجربة أي طريق أو دين يوصله إلى الارتقاء[١].

وتظهر هذه السمات للفكر الباطني جلية في الديانات الشرقية وفي الغنوصية النصرانية والكبالا اليهودية، وهي المصادر الأساسية والأصول التي تقوم فلسفة الثيوصوفيا عليها. والمطالب التالية توضح هذا وتبيّنه.

(١) انظر: تراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٥١ ـ ٥٢.

المطلب الثاني

الديانات الشرقية (الهندوسية والبوذية)

الديانات الشرقية وفلسفاتها هي المصدر الأول والأهم في الثيوصوفيا ـ كما سبق بيانه ـ، وتُعد الهندوسية والبوذية أكثر هذه الديانات تأثيرًا في الفكر الثيوصوفي بشكل مباشر، لكونها أصلًا لسائر الديانات الشرقية الأخرى، وسيتناول هذا المطلب تعريفًا موجزًا لأبرز الفلسفات والمعتقدات الهندوسية والبوذية التي هي الأصول المهمة في الفكر الثيوصوفي الحديث.

أولًا: الهندوسية[1]:

يطلق أتباع الهندوسية عليها اسم (ساناتا دهارما ـ Sanata Dharma)[2] وتعني: الدين الأبدي أو الحقيقة الأزلية. وهي تبدو ظاهريًا مفتقرة إلى عقيدة

(١) انظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص٣٧، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد الأعظمي، ص٥٣٠ ـ ٥٣١، ومعجم الأديان، جون هينليس، ص٣٠٦، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص١٩٨ ـ ١٩٩.

(٢) تجعل الأدبيات الثيوصوفية لفظ (سانتانا دهارما) مرادفًا لـ(ثيوصوفيا) باعتبار أنهما اسمان لمسمى واحد هو التعاليم الأبدية.

رئيسة، ويبدو مفهوم الألوهية فيها غامضًا، مما جعلها تُعرّف في أكثر المراجع العربية على أنها مجموعة من الأفكار والتقاليد والثقافات المتعددة التي تطورت عبر الزمان، وأنها «أسلوب في الحياة أكثر مما هي مجموعة عقائد، لاشتمالها على عقائد متنوعة منها ما يهبط إلى عبادة الأحجار والأشجار، وما يرتفع إلى التجريدات الفلسفية الدقيقة»[١]، «ولذا نجد أن علماء الهندوس يقدّسون كل جديد، ويظنون أن ذلك هو المطلوب، . . . ويعتبرون كل مصلح رسولًا منزلًا من السماء، وإلها بصورة البشر»[٢]. وتزخر الهندوسية بآراء مختلفة ومتناقضة أحيانًا في قضايا اعتقادية جوهرية، ويرجع السبب في ذلك لكونها باطنية في أصلها، ولأن جميع تطبيقاتها تعتمد على النظرة الشخصية والتجربة الباطنية. ومن هنا كانت أهم أصول الفكر الثيوصوفي؛ إذ ليس ثمّة معتقد واحد لها ـ في الظاهر ـ وإن كانت للباحث المتعمق تدور حول (عقيدة وحدة الوجود) التي يسمونها الحكمة أو الحقيقية الخالدة[٣].

وفيما يأتي تلخيص لأهم الفلسفات والعقائد الهندوسية المؤثرة في الفكر الثيوصوفي بعامة وفي قضية (الألوهية) على وجه الخصوص.

الألوهية في الفكر الهندوسي:

فكرة الاعتقاد بـ(مطلق فرد) يرتكز عليه الوجود كله، فكرة يوصِل إليها العقل ببداهاته وفلسفاته، وهي عقيدة مركزية في كل الديانات الباطنية التي تؤمن بغيب وراء المادة، وتسعى لمعرفته من غير الوحي. وتظهر بشكل واضح في الديانة الهندوسية باعتبارها ديانة روحانية تؤمن بغيبيات وراء عالم الشهادة، ولكنها تأخذها من غير الوحي فتتخبط كثيرًا. ومن أبرز ملامح معتقد الألوهية في الفكر الهندوسي ما يأتي:

١ ـ الاعتقاد بـ(البراهمَان ـ Brahman):

البراهمان: هو اللفظ الهندوسي لوجود مطلق يقوم عليه الاعتقاد الباطني،

---

(١) معتقدات آسيوية، كامل سعفان، ص١٧٤ (بتصرّف يسير).

(٢) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد الأعظمي، ص٥٣١ ـ ٥٣٢.

(٣) انظر: Hinduism, Cybelle Shattuck, 24-25.

ويختلف التعريف الهندوسي لـلبراهمان، فلا يعطي حكماء الهندوس تعريفًا محددًا له؛ نظرًا لطبيعته الغامضة. إذ أنه مطلق غير شخصي (لا ذات له ولا صفات)، وسبيل معرفته هو التجربة الروحية.

ويمثّل البراهمان عند الهندوس الحقيقة المطلقة والموجود الأسمى الذي يُعدّ مصدر الوجود لا خالقه، ويُعد جوهر الوجود والنفس الشاملة الكونية الموجودة في كل كائن، فنفوس الأشياء والكائنات مماثلة للنفس الشاملة (براهمان)، وكل شيء في الوجود ـ حتى الآلهة ـ ليست سوى تجليات أو تجسيدات له في أشكال وصور متعددة[١]. يقول (البيروني)[٢] [٢٦٢ ـ ٤٤٠هـ]: «إنّهم يذهبون في الموجود إلى أنّه شيء واحد»[٣] وهذا يُفسّر **وجود اتجاه فلسفي** يعلن وحدة الوجود، وهي رؤية «براهمان بالمفهوم اللانهائي، المطلق، غير المحدود، الذي يسمو على أي تصور نهائي محدد للرب ويتجاوزه»[٤]. وطريقته هي التفكر والتأمل، وهي نظرة الفلاسفة الهندوس. **واتجاه تعددي شركي** يتمثّل في كثرة الآلهة عند الهندوس وتعددها، فلكل قوة طبيعية إلٰه يدعونه ويتوجهون إليه بالعبادة[٥].

ولا تعارض بين الاتجاهين ـ بحسب عقيدة وحدة الوجود ـ فالآلهة المتعددة تُعدّ تجسيدات للمطلق الفرد، فما الاتجاهان إلا أسلوبان مختلفان يؤديان إلى الصلة بالإلٰه الأسمى[٦].

---

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٣١، ٥٠ ـ ٥١، ٥٦، والفلسفة في الهند، علي زيعور، ص١٣٤ ـ ١٣٦، ١٤١، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣،

And An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 87.

(٢) هو: محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي، فيلسوف رياضي مؤرخ من أهل خوارزم، أقام في الهند بضع سنين ومات في بلده. اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وصنف كتبًا كثيرة، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره.
انظر: الأعلام، الزركلي، ٥/ ٣١٤.

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان البيروني، ص٣١.

(٤) تراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٣.

(٥) انظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص٤٥، والمرجع السابق، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٦) انظر: تراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

٢ - عقيدة الاتحاد بالمطلق للخلاص الروحي:

الخلاص والتحرر من التناسخ هو الغاية النهائية في الفكر الهندوسي، ويطلق عليه (موكشا - Moksha) في الهندوسية[١]، وتعني: الخلاص والتحرر والانعتاق؛ أي: تحرر النفس من الجسد وخلاصها من التناسخ والكارما عن طريق اتحادها بالمصدر المطلق[٢].

ولتحقيق الخلاص أو موكشا طرق أهمها (اليوجا - Yoga)[٣] التي تدل من لفظتها على غايتها، فهي مشتقة من (يوج) بالسنسكريتية؛ أي: يتحد، وهي ممارسة روحانية، ونظام من الانضباط يؤدي إلى بلوغ (موكشا) أو الخلاص واتحاد الروح بالوجود المطلق[٤].

٣ - عقيدة الحلول (الأفتار - Avatar):

أفتار هو «اللفظ الهندوسي للتجسد الإلٰهي»[٥]، ومعناه: الحلول، ويدل على نزول (الكائن الأسمى - Supreme Being) أو تجليه في شكل مادي، إنساني أو حيواني في كل عصر من العصور، من أجل خلاص العالم وإنقاذه[٦].

---

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٦٨ - ٧٢، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٤، ٢٠٦.

(٢) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان البيروني، ص٥٢، وأديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص٦١، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد الأعظمي، ص٦٣٢ - ٦٣٣، والفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٦٨ - ٧٢، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٤، ٢٠٦، ومفهوم الخلاص في الفكر الهندي، هالة أبو الفتوح، ص٣٢٥ - ٣٢٦. وانظر: معنى الاتحاد في الفصل الثالث.

(٣) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان البيروني، ص٥٦ - ٥٧، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٩ - ٢١٠، ومفهوم الخلاص في الفكر الهندي، هالة أبو الفتوح، ص٣٢٧.

(٤) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 835, ومعجم الأديان، جون هينليس، ص٨٠٧، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٢٧.

(٥) An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 49.

(٦) انظر: A Dictionary of Religion and Ethics, Shailer Mathews and Gerald Birney Smith, 39, and An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 49, and The Cambridgedictionary of philosophy, Robert Audi, 62,

ومعجم الأديان، جون هينليس، ص٨٧.

٤ ـ عقيدة التناسخ والكارما:

التناسخ والكارما عَلَمان على المعتقدات الشرقية، وهما من أبرز المعتقدات الباطنية التي نشرتها حركة الثيوصوفي وتوابعها في الغرب[١]، بل أصبحا مصطلحين منتشرين حتى في العالم الإسلامي اليوم بمحاولات تقريب معنيهما من الدين أو العلم!.

قال (البيروني): «التناسخ علم النحلة الهنديّة، فمن لم ينتحله لم يكُ منها، ولم يُعدّ من جملتها»[٢]، ويُطلق عليه (سمسارا) أو (تجوال الروح)، أو (تكرار المولد)، أو (التقمص)[٣]. وهو قائم على الاعتقاد بأن الحياة سلسلة من دورات متتالية[٤]، وأن «لكل كائن حي روحًا، تتقمص شكلًا أو جسدًا في كل مرحلة حياتية يعيشها، وأن الشكل أو الجسد يتقرر تبعًا للأعمال التي يؤديها المرء في أدوار حياته السابقة؛ أي: بموجب قانون كارما»[٥]. فالكارما هي أساس التناسخ، وهي قانون الجزاء الهندوسي[٦]، فبحسب (كارما) تكون الأفعال التي يقوم بها الإنسان في حياته من خير وشر، وهي سبب ما يراه من الآثار الحتمية في حياته الحاليّة والمستقبلية، ثم يصبح الأثر سببًا في نتيجة أخرى وهكذا دواليك. وتظهر الآثار عن طريق دورات الحياة عبر تناسخ الأرواح[٧]، فالروح تجني وتكسب ثمار أعمالها عبر التناسخ[٨]، وتظل الروح تولد مجددًا إلى ما لا

---

(١) انظر: Some Basic Concepts of Theosophy, From: www.theosociety.org, and Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 41.

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان البيروني، ص٣٩.

(٣) انظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص٦١، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٤.

(٤) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 337, 686, وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٤.

(٥) تراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٣ ـ ٢٠٤ (بتصرف).

(٦) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 337, ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد الأعظمي، ص٦٣١.

(٧) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 101.

(٨) انظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص٦١، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٤.

نهاية حتى تحرز (موكشا ـ Moksha) أو الخلاص[١].

ثانيًا: البوذية:

تُعد البوذية اليوم إحدى أكبر الفلسفات الفكرية المنتشرة في العالم، والتي تعدت موطنها الأصلي في الهند والتبت والشرق الأقصى بعامة، لتكون فلسفة روحانية كبرى في الغرب المادي المعاصر، ينشرها بدوره في العالم عبر الحركات الباطنية العالمية وتطبيقاتها المتنوعة. ويؤرخ لظهور البوذية في الهند في القرن السادس قبل الميلاد[٢]، حيث نشأت في إطار الفكر الهندوسي في أكثر مبادئها، وتبنت العديد من عقائده واتفقت معه في الاعتقاد بـ(الكارما) و(تناسخ الأرواح)، و(الخلاص)[٣]. وقد تطورت البوذية عبر القرون وانقسمت إلى عدة مذاهب[٤]، وحصل فيها تحريف وتبديل أدى إلى زيادات وإضافات لم يذكرها بوذا[٥] في تعاليمه[٦].

---

(١) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm,337, 686, وتراثنا الروحي، سهيل بشروني ومرداد مسعودي، ص٢٠٤.

(٢) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ٤/ ٨١ ـ ٨٥، وماذا تعرف عن البوذية، مجموعة من الباحثين، ص١١.

(٣) انظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص١٣١، ١٦٥، والبوذية، عبد الله نومسوك، ص١٥١.

(٤) أشهرها مذهبان: الأول: هنايان (أي: العربة الصغرى)، وينكر أتباعه وجود الإلٰه، ويعتقدون بقداسة بوذا باعتباره معلمًا أخلاقيًا. وقد انتشر هذا المذهب في جنوب الهند.
والمذهب الثاني: ماهايان (أي: العربة الكبرى) وقد غالى أتباعه في بوذا حتى ألّهوه، ويشترط هذا المذهب الالتزام بتقليد خطى حياة بوذا. وقد انتشر هذا المذهب في شمال الهند.
انظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد الأعظمي، ص٦٥٥ ـ ٦٥٦، وماذا تعرف عن البوذية، مجموعة من الباحثين، ص٥٢.

(٥) بوذا: لقب بمعنى (المستنير) الذي يظهر عبر التاريخ ويعلّم الناس طريق الحكمة والتنوّر، وعند الإطلاق يدل على (سيدهارتا غوتاما) الذي حقق الإشراق بينما كان جالسًا يتأمل تحت شجرة في أحد الأيام.
انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، ٤/ ٨١ ـ ٨٥، ١٣١ ـ ١٤٠، والفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص١٨٠ ـ ١٨٣، وتراثنا الروحي، سهيل بشروني ومرداد مسعودي، ص٢٤٣.

(٦) انظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص١٧٠، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد الأعظمي، ص٦٤٣، ٦٥٥.

والبوذية باعتبارها فلسفةً باطنيةً لا تعترف بالوحي ولا بالعقائد المستمدة منه، فهي كسائر الفلسفات الباطنية الروحية ترتكز على الاعتقاد بروح عظمى، أو مطلق فرد، وهي فلسفة التأليه لديهم، وفيما يلي بيان لها ولتوابعها في الفكر البوذي:

١ ـ الألوهية في الفكر البوذي:

عقيدة الألوهية غير ظاهرة في مصادر الفكر البوذي، فـ«فكرة التأليه التي تقول: إن كائنًا واحدًا مستقلًا على نحو مطلق قد خلق بقية الموجودات... هي فكرة لا معنى لها من وجهة النظر البوذية»[١]، وكان هذا سببًا في اتهام بوذا بالإلحاد وإنكار الألوهية؛ حيث أنه لم يُعْن بالحديث عن الإله، ومسائل الغيب[٢]، وإنما توجّه إلى العمل رغبة في الوصول إلى الحقيقة وبلوغ الكمال عن طريق الخبرة والتجربة الباطنية. إلا أن تأليه بوذا واعتباره تجسدًا إلٰهيًا عقيدة مشتهرة عند البوذيين[٣]، كما أن الاعتقاد بمطلق متجاوز للصفات البشرية عقيدة ظاهرة في البوذية، وهي صورة لعقيدة وحدة الوجود التي تظهر في تطبيقات البوذية التعبدية؛ التي تنشد الاستنارة والاتحاد بالمطلق[٤].

٢ ـ الاعتقاد بـ(النِرفانا ـ Nirvana):

تشترك البوذية مع الهندوسية في السعي إلى التحرر والخلاص من التناسخ والمعاناة، ووسيلتها في ذلك تحقيق النرفانا، وتعني: الانطفاء، أو إخماد الرغبة والتعلق المسبب للألم[٥]، ومع أن النرفانا هي الهدف الأسمى في البوذية إلا أن

---

(١) الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٢١٥.

(٢) انظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص١٦١ ـ ١٦٢، ودراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد الأعظمي، ص٦٤٨ ـ ٦٥٢، والبوذية، عبد الله نومسوك، ص١٥٥ ـ ١٥٨، ومعجم الأديان، جون هينليس، ص١٢٣، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٦٧.

(٣) انظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص١٦١، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٦٨، وماذا تعرف عن البوذية، مجموعة من الباحثين، ص٣٢.

(٤) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٢٦٩.

(٥) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص١٨٧، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٦٩،
And An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 105- 106.

تعريفها يحيطه الغموض والاضطراب، فهي عندهم تُدرك بالتجربة لا بالمعرفة، ومن ثم لا يُمكن وصفها ولا فهمها بشكل كامل إلا لمن يبلغها[١]. ويصفها بوذا بأنها «حالة ليس بها أرض ولا ماء، ولا حرارة ولا هواء، ولا نهاية ولا لانهاية، فضاء وعي، ولا عدم ولا محسوس ولا عدم محسوس، ولا هذا العالم ولا عالم آخر، ولا شمس ولا قمر»[٢]. وهي تعبّر عن حالة تشبه الاتحاد في الإله أو (الفناء)[٣] الصوفي[٤]، وتُعد النرفانا عند البوذيين «الخير الأعلى الذي يبلغه الإنسان برجوعه إلى المبدأ الأول، وإمحاء ذاته الفردية في الكل»[٥].

والنرفانا نوعان: النرفانا الأرضية، وهي حالة يصلها الإنسان في حياته. وهي لا تؤدي إلى إنهاء التناسخ. والنرفانا الكبرى، وتكون بعد الموت، وتؤدي إلى التحرر من الكارما والتناسخ[٦].

والبوذية في أصول عقائدها لا تختلف كثيرًا عن الهندوسية، فالتناسخ والكارما وموشكا ـ مما سبق بيانه ـ كلها عقائد بوذية كما أنها هندوسية، وسيأتي توضيح كيفية تأثر الفكر الثيوصوفي بعقائدهم الإلٰهية في الفصل الثالث من هذا البحث.

---

(١) انظر: تراثنا الروحي، سهيل بشروني ومرداد مسعودي، ص٢٦٨ ـ ٢٦٩، وماذا تعرف عن البوذية، مجموعة من الباحثين، ص١٩.

(٢) The Gospel of Buddha, Paul Carus, 81.

(٣) الفناء: حالة من غياب الوعي وعدم شعور الإنسان بنفسه، وهي باعتقاد الصوفية: انقطاع الذات عن كل شيء وعدم رؤية شيء سوى الإله.
انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/١٦٧.

(٤) انظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص١٥٥.

(٥) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/ ٥١٤.

(٦) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 106, وأديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص١٥٥، وماذا تعرف عن البوذية، مجموعة من الباحثين، ص٦٥ ـ ٦٦.

المطلب الثالث

الباطنية الكتابية (الغنوصية والكبالا)

إن متابعة تاريخ الفكر الباطني، وتتبع طرائقه عبر العصور يبين بوضوح تغلغله وتأثيره حتى على الديانات الكتابية، فمن أثره نشأت الغنوصية في النصرانية، والكبالا عند اليهود كتيارات كتابية في ظاهرها، باطنية في حقيقتها وعقائدها، وقد اعتمدت جمعية الثيوصوفي في أصل فكرها الحديث على كثير من تعاليم الغنوصية والكبالا، واعتبرتها أصولًا مهمة لها، وفيما يلي بيان موجز لهذين الأصلين:

أولًا: (الغنوصية ـ Gnosticism):

(الغنوص ـ Gnosis) لفظ يوناني الأصل معناه اللغوي: العرفان أو المعرفة الحدسية الباطنية. وحقيقته: ادعاء معرفة كشفية توصل إلى المعارف الباطنية العليا والحقائق الكلية بشكل داخلي مباشر لا من خلال الوحي أو العمليات العقلية[١]. وهو يعتبر عند أتباعه أقدم عقيدة في الوجود[٢].

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/١٩٥، ٢/٧٢.

(٢) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي نشار، ١/١٨٦، والوجه الآخر للمسيح، =

والغنوصية مذهب فكري يضم طوائف متعددة، ظهرت في العصر المسيحي المبكر، وبالتحديد في القرن الأول الميلادي، وإن كان البعض يرى أن جذورها تمتد إلى ما قبل ذلك باعتبار باطنية جميع الديانات. ففي لُبّ الفكر الباطني الاعتقاد بأن باطن الديانات واحد، ولذا فإن لغالبية الباطنيين نزعة مشتركة إلى محو الحدود التي تفصل بين العقائد والأديان، لاعتقادهم أن جميع العقائد لها ذات القيمة في الباطن، وأن الاتحاد والإخاء بين البشر هو الأصل، ولكنّ ظاهر الشرائع والأديان أدى إلى إثارة التفرقة، والانقسام فيما بينهم[١].

وتُعتبر الغنوصية من المذاهب (التلفيقية ـ Syncretism)؛ لكونها تجمع بين معتقدات وفلسفات وأفكار متباينة، وهي لا تحمل عقيدة ثابتة نهائية في ظاهرها، مما يؤدي إلى تنوع معتقداتها واختلافها بل وتناقضها في بعض الأحيان[٢]. وتدور عقائدها حول الاعتقاد بأن تحقيق الخلاص ومعرفة الحقائق يكون من خلال المعرفة الباطنية الكشفية، وليس من خلال الإيمان بمخلّص خارجي مبعوث[٣].

وتدور الغنوصية بجميع مدارسها في إطار الحلولية[٤] الكمونية[٥]، وتتسم

= فراس سواح، ص٦٦، ١٥٠، وأصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، ص١٤٦،
And The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 26.

(١) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولدتسيهر، ص١٧٠.

(٢) انظر: أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، ص١٤٧، والمعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص١٣٣، والمعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص٢٢٢، والوجه الآخر للمسيح، فراس سواح، ص١٤٩.

(٣) انظر: أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية، عزيز سباهي، ص١٤٢، ١٤٨،
And The American Heritage Dictionary of The English Language (Gnos.ti.cism), Anne H. Soukhanov, and The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 26, and The Cambridge dictionary of philosophy, Robert Audi, 346.

(٤) الحلولية: أي: حلول الإله في أجسام عباده، أو حلول اللاهوت في الناسوت.
انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص٧٦.

(٥) الكمونية: مذهب يأخذ مبدأ الكمون، وهو القول بأن كل شيء داخل في كل شيء؛ ويدل على أن جميع عناصر الوجود تتضمن بعضها بعضًا ولا تؤلف إلا حقيقة واحدة. وأن الكون عبارة عن خروج الأشياء بعضها من بعض. وهذا المذهب مقدمة من مقدمات عقيدة (وحدة الوجود) أو نتيجة من نتائجها. =

بالثنائية الظاهرة أو المستترة القائلة بوجود إلٰهين، أو إلٰه أعلى ينتشر بأشكال الفيوضات والأقانيم[١]. ومن أبرز مواضيع الغنوصية: القيمة الرمزية للحروف الأبجدية والأعداد التي يعتقدون أنها تنطوي على خصائص معينة، تكشف كثيرًا من الخبايا والمعارف الغيبية. وبناء عليها يقسمون تاريخ العالم إلى دورات متتابعة يكون فيها التناسخ والخلاص، وهي أساس تفسير النصوص رمزيًّا. ومن خلال التأويل الغنوصي الباطني للنصوص الدينية نفذت الغنوصية إلى العديد من الأديان وأثّرت عليها[٢]. «ولذا أصبحت كلمة غنوصية في اللغات الغربية عَلمًا على المذاهب الباطنية، وعلى الهرطقات الجوهرية التي تقف على الطرف النقيض من العقائد السماوية التوحيدية»[٣].

وقد ظهر في «الثيوصوفيا الحديثة الكثير من معالم الغنوصية، وتُعد معرفتها ضرورية لإدراك صحيح للثيوصوفيا. فإن كثيرًا من نظرية اللاهوت الثيوصوفية، مما يبدو جديدًا في الوقت الحاضر، ليس إلا إعادة إنتاج لعقائد قديمة تم بحثها، وهُجرت تدريجيًّا منذ قرون عديدة»[٤].

ثانيًا: (الكبالا ـ Kabbalah):

(الكبالا أو القبالاه) كلمة عبرية تعني: التقليد المتوارث[٥]، وهي: التقاليد الصوفية الباطنية في الديانة اليهودية القائمة على تفسير خفي باطني للكتاب

= انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/٢٤٤، والمعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص٥٥٩ ـ ٥٦٠.

(١) انظر: الغنوصية في الإسلام، هاينس هالم، ص٦، والوجه الآخر للمسيح، فراس سواح، ص١٥١، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الغنوصية)، عبد الوهاب المسيري، متاح على: .www.elmessiri.com

(٢) انظر: الغنوصية في الإسلام، هاينس هالم، ص٦، ٩ ـ ١٠، والوجه الآخر للمسيح، فراس سواح، ص٦٦ ـ ٧١، ١٤٩ وما يليها.

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الغنوصية)، عبد الوهاب المسيري، متاح على: www.elmessiri.com.

(٤) From Theosophy to Christian Faith, E. R. Mcneile, 16 (بتصرف يسير)، وانظر ص٦٠ في نفس المرجع.

(٥) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/١٨٣،
And An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 412.

المقدس. ويطلق عليها العقيدة السرية[١]، أو المذهب الباطني[٢]. ويعتقد أتباعها أنها تقليد بُلّغ به موسى ﷺ في سيناء[٣]. ويُعد كتاب (زوهار ـ Zohar) أهم نصوص الكبالا، وهو تفسير رمزي للتوراة كُتب باللغة الآرامية[٤].

والكبالا من أبرز الحركات الباطنية الكتابية الأصل؛ فهي صوفية اليهودية[٥]، أو غنوصية اليهودية، وتعتمد على مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود[٦]. فيرى الكباليون أن التفسير الغنوصي هو الذي يوصل إلى المعرفة الغنوصية الباطنية بأسرار الكون، وبالمعنى الباطني للكتب المقدسة، فجميع الحروف والأرقام والكلمات التي حوتها الكتب اليهودية المقدسة تمثّل لهم رموزًا تشير إلى أسرار داخلية، ومعان خفية لا تنكشف إلا بالأساليب الباطنية الموصلة إلى النور الإلٰهي الكامن، وإلى أسرار الوجود الإلٰهي، ومصير الإنسان[٧]، بل وتكشف الصفات الجوهرية للإلٰه، والكُنه الداخلي لوحدة كل الوجود. ولهذا السبب توصف الكبالا أيضًا بـ(الحكمة الخفية)[٨].

---

(١) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 412, and The American Heritage Dictionary of The English Language (cab.a.la), Anne H. Soukhanov.
تشترك الثيوصوفيا مع الكبالا في إطلاق هذا اللقب على مذهبها، واستخدمته (بلافاتسكي ـ Blavatsky) كعنوان لأهم كتبها (The Secret Doctrine).

(٢) انظر: Webster's New Illustrated Dictionary, (Cabala), Edward T. Roe, LL.B. and Charles Leonard-Stuart, B.A.

(٣) انظر: The Cambridge dictionary of philosophy, Robert Audi, 111.

(٤) انظر: تراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٤٤١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص٤٤٠، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الموجزة)، عبد الوهاب المسيري، ٢/ ٣٩.

(٦) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي نشار، ١/ ١٨٧، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الموجزة)، عبد الوهاب المسيري، ٢/ ٣٩ ـ ٤٠، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (القبَّالاه: تاريخ)، عبد الوهاب المسيري، متاح على: .www.elmessiri.com

(٧) انظر: تراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٤٤٠، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (القبَّالاه: تاريخ)، عبد الوهاب المسيري، متاح على: ,www.elmessiri.com
And The Cambridge dictionary of philosophy, Robert Audi, 111.

(٨) انظر: تراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٤٤٠.
وهذا اللقب من السمات الأساسية التي وُصفت بها الثيوصوفيا الحديثة والقديمة كذلك.

وقد اتخذت الكبالا طريقين في منهجها: الكبالا العملية: وهي تعليم السحر والشعوذة. والكبالا النظرية: وهي المذهب الغنوصي النظري. غير أنَّ هذين القسمين يسيران سويًا وقلَّما ينفصلان[١]، فالاتجاه الحلولي الغنوصي قوي في الكبالا، يذهب إلى أن الوصول إلى فَهْم طبيعة الإله يكون من خلال التأمل والإشراق، أو الغنوص والعرفان، ويهدف إلى التأثير في الإله والتحكم في العالم، ومن هنا كان ارتباط الكبالا بالسحر. و«وُصفت الكبالا بأنها ثيوصوفية، باعتبار أنها طريقة لمعرفة الإله من خلال التأمل والمعرفة الإشراقية الكونية (الغنوص أو العرفان)، وسعيها بالتالي إلى الاتحاد بالإله المفضي إلى وحدة الوجود التي تؤدي إلى الكشف الصوفي لطبيعة الإله، وإمكانية التواصل معه، ثم التحكم فيه»[٢]! وترتبط الكبالا في وجهها العملي بعدد من العلوم السحرية، مثل: التنجيم، وقراءة الكف، وعمل الأحجبة، وتحضير الأرواح[٣].

أما موضوعات الكبالا الرئيسية فلا تخرج عن موضوعات الغنوصية وهي: سرية التعاليم، وإمكان فك رموز التوراة، وطبيعة الإله اللامحدود، وصدور الموجودات عنه، والأسرار الإلهية، وقوى الأرواح المدبرة للكون التي يستطيع الإنسان بواسطتها أن يسيطر على قوى الطبيعة، ورمزية الأعداد والحروف، والتطابق بين العوالم المختلفة. وأهم نتائجها: القول بأن الإنسان، وهو العالم الأصغر، صورة مطابقة للعالم الأكبر[٤].

وهكذا يظهر جليًّا اعتماد الثيوصوفيا الحديثة على الغنوصية والكبالا كأصول مهمة يُستمد منها الفكر، ويُبنى عليها الاعتقاد في القضايا المختلفة، ومن أهمها قضية الألوهية. إضافة إلى تأثرها بهما وبعموم المنهج الباطني في النظر

---

(١) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي نشار، ١/١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الصوفية اليهودية «القبَّالاه»)، عبد الوهاب المسيري، متاح على www.elmessiri.com، وانظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الموجزة)، عبد الوهاب المسيري، ٢/٣٩.

(٣) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (القبَّالاه: تاريخ)، عبد الوهاب المسيري، متاح على: www.elmessiri.com، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي نشار، ١/١٨٧ ـ ١٨٨.

(٤) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 412.
والمعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/١٨٣.

إلى مصادر استمداد المعرفة الغيبية والوصول إلى حقائقها، والذي يعتمد بشكل كبير على السمات العامة للمنهج الباطني قديمًا وحديثًا، وفي المبحث التالي عرض لمصادر المعرفة لدى الثيوصوفيا، والمعتمدة على هذه الأصول والقائمة على أسسها.

المبحث الثاني

مصادر المعرفة الغيبية في الفكر الثيوصوفي

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: المنقول الباطني (Mystical Tradition).

المطلب الثاني: الاستبصار الباطني (Clairvoyance).

المطلب الثالث: الحدس (Intuition).

المطلب الرابع: الاستسرار والتأهيل الباطني (Initiation).

توطئة

تتعدد طرق الباحثين عن الغيب وتتنوع مصادرهم، والغيب الحق ـ كما هو معلوم ـ لا يُعْرف بحواس الإنسان وعقله، ولا طريق يوصل إلى تمام معرفة الحق فيه سوى الوحي المعصوم، وأما محاولات العقل البشري في معرفة حقيقته فليست إلا جهودًا قد توصل إلى تخوم الحقيقة في بعض القضايا، ولا تتجاوزها إلا بظنون وأوهام.

والفكر الباطني ـ كما سبق بيانه ـ يعتمد على أصول متنوعة، هي منبع العقائد الباطنية بتلوناتها المختلفة، وجمعية الثيوصوفي لا تخرج عن سياق الباطنية بعامة، وتسير على طريقها في مصادر وطرق معرفة الغيب[١]، وإن تميزت بعض صورها أو تطبيقاتها لتناسب الغرب الذي نشأت فيه.

وفي مطالب هذا المبحث عرض موجز لأبرز مصادر المعرفة عند جمعية الثيوصوفي.

---

(١) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 14-15.

المطلب الأول

المنقول الباطني (Mystical Tradition)

المعرفة المنقولة المتوارثة في جميع الحضارات والمذاهب تُعد مصدرًا من مصادر المعرفة، ومما لا شك فيه أن القيمة المعرفية في هذا المنقول تختلف باختلاف ثبوت صدق المخبر، والتحقق من سلامة النقل، وغير ذلك. ويمثّل (المنقول الباطني ـ Mystical Tradition) أو (تراث الحكمة) مصدرًا مهمًّا في الفكر الباطني بعامة، ومنه الفكر الثيوصوفي الحديث، حيث يُعتمد على كتابات يُظن أنها تحتوي على أسرار عُرفت في الحضارات الوثنية القديمة[١]. ومنها «الكتابات الوثنية القديمة وخاصة الكتب الدينية الهندوسية»[٢]، التي تُعتبر أقدم الكتابات الدينية الحية في العالم[٣].

ومن أهم الكتب الهندوسية التي يعتمد تعاليمها الباطنيون في العالم داخل الديانات الشرقية وخارجها كتب (الفيدا)، و(الفيدا) كلمة سنسكريتية تعني:

(١) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 37.

(٢) انظر: Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 41.

(٣) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ص١١٠.

«الحكمة، أو المعرفة، أو النصوص القديمة في المعرفة المقدسة»[١]، ويعتقد المؤمنون بها أنها كشف من الألوهية[٢]. لذا كانت مصدر إلهام للفلاسفة الهندوس على امتداد العصور، الذين كتبوا إلهاماتهم شروحًا على متونها[٣].

وتحوي أسفار (الفيدا) الحديث عن المعتقدات، والآلهة، والأناشيد، والصلوات، والأعراف وغيرها. ويمتزج فيها «السحر والتجارب البشرية بالآراء الدينية والتراتيل، والسرد بالتحاليل، والمعارف العامة بالحكمة الشعبية والآداب الاجتماعية»[٤]. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «الفيدا: الكشف... أصلها: معرفة، أو معرفة إلٰهية. وهي أقدم وأقدس عمل سنسكريتي... وتُصنَّف جميع الكتابات الفيدية إلى قسمين: الظاهر والباطن»[٥].

وللفيدا أسفار أربعة تُمثّل «الخزينة المتراكمة من القوانين الروحية المُكتشفة من قِبَل أشخاص مختلفين بأوقات مختلفة»[٦]، وهي[٧]:

١ ـ (الريج فيدا ـ Rig-Veda): أشعار الحكمة والأناشيد المعرفية، التي هي المصدر الأدبي الأكثر أهمية في الثقافة الهندية، وتعتمد عليها باقي الأنواع بشكل كبير. ويُعتقد أن الريج فيدا أقدم الكتابات الدينية الحية في العالم. ويحوي تقنيات العبادة، وطرق تقديم الأضاحي، والتنظيمات الطقوسية، ويشتمل على فلسفة عمومية، أو نوع من الرؤية الغامضة والسحرية لقوى الطبيعة ومظاهر الكون[٨].

٢ ـ (ياجور فيدا ـ Yajur-Veda): وهو مجموعة من الأدعية والتلاوات الصلاتية، التي تُرفع في التعبد وعند التضحيات والقرابين.

---

(١) الفلسفة في الهند، علي زيعور، ص١١٢.

(٢) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 810, and Webster's New Illustrated Dictionary (Veda), Edward T. Roe, LL.B. and Charles Leonard-Stuart, B.A.

(٣) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٤١.

(٤) الفلسفة في الهند، علي زيعور، ص١١٢ (بتصرف يسير).

(٥) The Theosophical Glossary, Blavatsky, 334- 335.

(٦) A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 153.

(٧) انظر: الفلسفة في الهند، علي زيعور، ص١١٣ ـ ١١٥.

(٨) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 810, والفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٤١، والمعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ص١١٠.

٣ ـ (أتهارفا فيدا ـ Atharva-Veda): ويشتمل على ترانيم يختلط فيها السحر بالحِكَم، وشعوذات مختلفة، وممارسات غامضة بدائية لحماية النفس، وأدعية لرجم النفوس الخبيثة والتغلب على الأعداء.

٤ ـ (ساما فيدا ـ Sama-Veda): ويشتمل على صلوات شعرية بعضها مأخوذ من (الريج فيدا) وبعض النصوص الطقوسية.

ومن الكتابات المقدسة أيضًا المشتملة على التراث الباطني المنقول (كتب **الأوبانيشاد ـ Upanishads**): وهي التعليم السري، أو الحكمة الباطنية في العقيدة الفيداوية، وهي حافلة بالفكر التأملي فيما يتعلق بطبيعة الإنسان والعالم والآلهة، وتتميز أبحاثها بكونها منصبّة على الباطن؛ فتبحث عن الأمور الخفية والأسرار، وما هو كامن وراء الطقوس والعبادات الشكلية، ومواضيع الاتحاد مع المطلق. ومع سريتها إلا أنها ليست حكرًا على أحد[١]، لا سيما بعد نشر الفكر الباطني وخروجه عن إطار أرضه الأولى في الهند، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «الأوبانيشاد يشرح المعنى الباطني للفيدا»[٢]، «ويُترجَم معناه بأنه العقيدة الباطنية، أو تفسير الفيدا عبر طرق (الفيدانتا ـ Vedanta)[٣]... ويُعتبر جزء من الكلمة التي تم الكشف عنها»[٤].

وتعد الثيوصوفيا هذه الكتب وغيرها نتاج معرفة عميقة لحكماء عبر التاريخ، وصلوا إليها بتجليات واستبصار كَشْفَ الحقائق المغيبة وأبرزها برموز ودلالات؛ لتكون هادية لمن بعدهم. وتدعو الثيوصوفيا إلى ولوج التجربة الباطنية للوصول إلى معارف متجددة، ولفهم أسرار التراث المنقول. والمطلب التالي يبين هذا المصدر وأهميته.

---

(١) انظر: الفلسفة في الهند، علي زيعور، ص١٢٧ ـ ١٢٨، والفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٤١.

(٢) The Key To Theosophy, Blavatsky, 244.

(٣) الفيدانتا: نهاية الفيدا، وهي إحدى المدارس الهندوسية. تدعي تقديم تفسير صحيح للفيدا والأوبانيشاد. انظر: The Cambridge dictionary of philosophy, Robert Audi, 952.

(٤) The Theosophical Glossary, Blavatsky, 326.

المطلب الثاني

الاستبصار الباطني (Clairvoyance)

للتجربة الباطنية في طرق المعرفة عند الثيوصوفيا الحديثة مكانة كبيرة، فهي مصدر المعرفة الأهم للحقيقة، لذا لا تهتم الثيوصوفيا بتعريف كثير من الأمور التي تدّعي أنها حقائق مطلقة، وإنما تؤكد على أن سبيل معرفة ذلك هو النفس، وتدعو إلى ممارسة الاستبصار الموصل إلى ما يُسمى (النور النجمي - Astral Light)[١]. والاستبصار هو أحد أهم مصادر المعرفة الباطنية، ويُفسر بأنه «قدرة على الرؤية بالعين الداخلية، أو بالبصيرة الروحية»[٢].

---

(١) النور النجمي: هو أحد العوالم الغيبية بحسب الثيوصوفيين، ويُسمى كذلك بـ(الحقل النجمي، أو المستوى النجمي - Astral Plane) أو (المادة النجمية - Astral Matter)، فالعالم - بحسب الثيوصوفيا - ينقسم إلى سبعة حقول أو مستويات (Planes) هي عبارة عن تجليات لـ(الوجود الواحد). وكل حقل من الحقول يشمل سبعة حقول، وهكذا. انظر:

A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 101, and An Outline of Theosophy, C. W. Leadbeater, 37, and The Astral Light, (Meaning of the Term), Henry T. Edge, from: www.theosociety.org.

(٢) The Key to Theosophy, Blavatsky, 212-213.

والاستبصار كما يعتقد الثيوصوفيون: استشعار ـ يتعدّى البصر العادي ـ إلى ذبذبات عوالم تتجاوز العالم المادي أو الأرضي، وقدرة تُمكن صاحبها من رؤية الماضي والمستقبل، أو مشاهدة أحداث بعيدة، أو رصد كائنات خفية. فهو توسيع للبصر يُمكّن صاحبه من رؤية العوالم الأخرى[١]، ومنها ما يسمونه (النور النجمي ـ Astral Light)، وهو ـ كما تشرحه كتب الثيوصوفيا ـ مادة أثيرية تغلّف الطبيعة الظاهرة وتُعد أساسًا لها؛ لوجودها داخل وأسفل وحول كل شيء[٢]. ويسمى النور النجمي بـ(ذاكرة العالم، أو ذاكرة الكون)؛ فبحسب اعتقادهم أن كل ما هو موجود في العالم المادي يوجد سابقًا في النور النجمي في شكل صورة أو نموذج، ويحتفظ بانطباعات الكائنات والأحداث الموجودة في العالم المادي، وهكذا فإن كل ما يفعله الإنسان، أو يعتقده، أو يفكر به، يُسجل ويُخزن في النور النجمي على شكل سجلات تسمى (السجلات النجمية ـ Astral Records). فأفكار الإنسان لا تُهلك حين يموت، بل تنتقل إلى النور النجمي؛ حيث تبقى سجلاتها. فلا شيء يضيع بلا إمكانية استعادته[٣]. يقول صاحب كتاب(حكمة الشيطان كُشفت في الثيوصوفيا الحديثة): «ويمكن لأي أحد مهتم بأسرار الحيوات الأخرى أن يطلع عليها، بشرط أن يتيح (للمهاتما ـ Mahatmas) تطوير قواه الغيبية للاستبصار»[٤].

وتعتقد الثيوصوفيا أن هذه المساحة من العالم أو النور تشتمل على أسرار العالم وحقائق الكون التي لا تصلها الحواس المادية؛ لمحدودية نطاقها وإعطائها رؤية جزئية للكون، فهي كالنوافذ تسمح للإنسان برؤية جزء صغير من الكون وتمنعه من الدخول إلى باقي الأجزاء. أما الإنسان الذي يطوّر حواسه ويضاعف قدراته، فإنه يصل إلى مرحلة الاستبصار الذي يجعله يتعدّى حدود الكون الظاهر أو العالم المادي المتعلق بالحواس المادية، ويترفع عن المألوف الذي يراه جميع

---

(١) انظر: A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 34.

(٢) انظر: Modern Theosophy- An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

(٣) انظر: Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 42.

(٤) Ibid.

البشر، ويتمكن من رؤية الحقائق الكونية ومعرفتها[١].

ويفصّل (ليدبيتر ـ Leadbeater) طريقة الحصول على المعارف بقوله: «هي مسألة ذبذبات... إن استطاع المرء أن يجعل نفسه حساسًا لذبذبات إضافية، فسيحصل على المزيد من المعارف، وسيصبح ما يُعرف بـ(المستبصر ـ Clairvoyant)، هذه الكلمة تعني امتدادًا طفيفًا للرؤية العادية. ويمكن للإنسان أن يصبح أكثر حساسية لذبذبات أكثر دقة، حتى يصل وعيه إلى قدرات أكثر تطورًا، ويعمل بحرية بطرق جديدة أكثر سموًا. وحينها ستتفتح أمامه عوالم جديدة... مع أنها في الحقيقة ليست سوى أجزاء من العالم الذي يعرفه مسبقًا». ثم يقول: «رؤية هذا الجزء من العالم غير المرئي تضيف لمعرفتنا وقائع جديدة وواسعة، وتحلّ العديد من مشاكل الحياة، وتوضح العديد من الأسرار»[٢].

وهذه الطريقة في المعرفة لا يعدها الثيوصوفيون أمرًا خارقًا للعادة، بل هي جزء أساسي من الكون يصل إليها الثيوصوفيون عبر المعرفة الباطنية أو التنوير الباطني أو الداخلي[٣]. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «في باطن نفسك النور الذي ينير كل إنسان جاء إلى هنا»[٤]. وتعبر عن التنوير الباطني في كتاباتها أحيانًا بـ(الوَجْد ـ Estacy)[٥] الموصل إلى الحكمة السرية[٦]، حيث تتكشف للمستبصر الحقائق الغائبة، ويصل إلى الحكمة الإلهية، التي هي حالة وعي

---

(١) انظر: An Outline of Theosophy, C. W. Leadbeater, 9- 10, and The Astral Light, (Meaning of the Term), Henry T. Edge, from: www.theosociety.org, and DemonosophyUnmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 42, and Modern Theosophy- An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From:www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

(٢) An Outline of Theosophy, C. W. Leadbeater, 10- 12.

(٣) انظر: Theosophy, Annie Besant, 12, and The Astral Light, (Meaning of the Term), Henry T.Edge, from: www.theosociety.org.

(٤) Collected Writings, Blavatsky, Vol. 9, 400-F, from: www.blavatskyarchives.com.

(٥) الوجد: حالة يشعر فيها المرء بانقطاع أوصافه البشرية واتحاد نفسه بالإله وهي عقيدة باطلة.

انظر: قاموس العقيدة ألف مصطلح في العقائد، محمد أحمد الحاج، ص١٩٩.

(٦) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 8.

يتجاوز فيها الصوفي عقله وكل ما يتعلق بعالم الشهادة، ويحصل على تصور مباشر للحقيقة، يأتي من الجزء الإلٰهي فيه[1].

ومن هنا تتضح حقيقة المعرفة بالألوهية، التي يدّعي الثيوصوفيون تكشفها لهم في حالات استبصارهم ووجدهم!

(١) انظر: About Theosophy, From: www.theosophical.org, والحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

المطلب الثالث

الحَدْس (Intuition)

أصل الحدس في اللغة: الرمي، ومنه حدس الظن وهو الرجم بالغيب، وهو: الظنّ والتخمين والتوهم[١]، وفي الاصطلاح: سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب[٢]. والمقصود بسرعة الانتقال تمثُّل المعنى في النفس دفعة واحدة، في وقت واحد، كأنّه وحيٌ مفاجئ؛ لذا يفسِّره بعض الإشراقـيِّين بأنَّه ارتقاء النفس الإنسانيَّة حتى تصبح مرآة مجلوَّة، فتمتلئ من النور الإلٰهيّ الذي يغشاها. وعلى هذا فهم يعدّونه مرحلة عالية من العرفان، لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ.

ومن أنواع الحدس: الحدس الفلسفي، أو الصوفي الإشراقي الذي يتجاوز فيه الإنسان مشاهدة الصور والأمثال، إلى إدراك الحقائق المطلقة[٣].

وفي أدبيات الثيوصوفيا يُعرّف الحدس بأنه معرفة مباشرة من الذات

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٦/٤٨.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ص٨٣.

(٣) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/٤٥٢ ـ ٤٥٤.

العليا[١]، أو عملية عقلية تُمكِّن الإنسان من الوصول إلى طبيعته الباطنية الأبدية، وتحقيق المعارف الموجودة في القدم منذ عصور طويلة[٢]. فهو قوة كامنة أو قدرة في عقل الإنسان، يُمكن من خلال تطويرها تحقيق اتحاد مع (العقول المتفوقة ـ Superior Intelligence)؛ والترفُّع على مشاهد الحياة الأرضية، ومشاركة الوجود الأسمى والقوى فوق البشرية لسكان العالم السماوي. وهو القدرة الوحيدة التي تكشف للإنسان حقائق الأشياء والمعارف الحقيقية؛ لأنه قوة نفاذ بصيرة للحقيقة[٣]. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «العالم الباطني لم يحجب عن الجميع بظلمة لا تخترق، فبواسطة ذلك الحدس العالي المكتسب من الثيوصوفي أو (المعرفة الإلٰهية ـ God-Knowledge)، والذي حمل العقل من العالم الشكلي إلى العالم الروحي، تَمكّن الإنسان أحيانًا في كل زمان ومكان من إدراك بعض الأمور في العالم الغيبي أو الباطني»[٤].

وتخلط الأدبيات الثيوصوفية بين الحدس الباطني والوحي الإلٰهي، وتؤول وحي الأنبياء بالحدس والبصيرة الباطنية. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «إن لم توجد البصيرة الباطنية أو الحدس، لما حصل اليهود على كتابهم المقدس، ولا النصارى على عيسى. إنَّ ما قدَّمه موسى وعيسى للعالم كان ثمرة حدسهم أو (استنارتهم ـ Illumination)»[٥]. فليس الوحي حكرًا على الأنبياء ﷺ؛ لأن ما أوحي إليهم من الله ﷻ ليس إلا نتيجة حدسهم الباطني بناء على مزاعم الثيوصوفيا، فيمكن لأي إنسان أن يصل إلى ما وصلوا إليه بجهده وتطوير قدراته الحدسية؛ حيث أن أساس الباطنية يقوم على اعتقاد «وجود قدرة كامنة في كلٍّ

(١) انظر: A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 59.

(٢) انظر: The Perfect Way or The Finding of Christ, Anna Kingsford and Edward Maitland, 20.

(٣) انظر: Collected Writings, Blavatsky, Vol. 11, 253, from: www.blavatskyarchives.com, and Isis Unveiled, Blavatsky, Vol.1, 388-389, and The Path of Knowing: H.P Blavatsky on Theosophy, Barry Thomson, from: www.theosophy.org, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org, and Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org.

(٤) What is Theosophy, Blavatsky, from: www.blavatsky.net.

(٥) Isis Unveiled, Blavatsky, Vol.1, 390.

إنسان، بوسعها أن تمنحه إدراك المعرفة الحقة»[١].

ويرتفع إدراك الإنسان وتُطوّر قواه الحدسية في الاعتقاد الثيوصوفي من خلال الممارسات والرياضات الروحية؛ كالصلاة والتأمل والتفكر[٢]؛ لأن الممارسة تُصَفّي النفس، وتُنقّي أحجبة الروح، وتسمح للنور بالسطوع في العقل، فتتفتح البصيرة الروحية للإنسان ويحدث الوجد[٣]. وللوصول إلى المعرفة الحدسية تؤكد (بلافاتسكي ـ Blavatsky) أن على الإنسان أن يهتم بالغريزة الموجدة للحدس، ويهمل حواسه الأخرى وأولها العقل والتفكير المنطقي، فكثيرًا ما تُقلل من قيمتهما في مقابل الغريزة. تقول: «إن ما يُسمى بالحس والمنطق يمكّننا من رؤية مظاهر الأشياء، والتي هي واضحة للجميع. أما الغريزة التي أتكلم عنها، والتي تمثل إسقاطًا لوعينا الإدراكي... فهي توقظ الحواس الروحية فينا والقوى للعمل؛... نبدأ بالغريزة وننتهي بالمعرفة اللا محدودة»[٤]. فالحدس هو غريزة الروح التي تنمو في الإنسان على قدر استعماله لها، والتي تساعده على إدراك وفهم الحقائق المطلقة بيقين أكبر مما يقدر عليه استخدام المنطق والحواس البسيطة[٥]، تقول: «العقل الذي هو علامة سيادة الرجل المادي على جميع الكائنات الحسية الأخرى، غالبًا ما يُخزى مقارنة بغريزة الحيوان... العقل يفيد فقط في النظر في الأمور المادية، فهو غير قادر على مساعدة صاحبه للوصول إلى معرفة روحية. وحين تُفقد الغريزة، يفقد الإنسان قواه الحدسية التي هي ذروة الغريزة. العقل هو السلاح الأخرق للعلماء، أما الحدس فهو المرشد المعصوم للعرّاف...»[٦]، وكلما أغلق الإنسان نفسه عن

(١) الحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٢) انظر: Isis Unveiled, Blavatsky, Vol.1, 389, and The Path of Knowing: H.P Blavatsky on Theosophy, Barry Thomson, from: www.theosophy.org.

(٣) انظر: Collected Writings, Blavatsky, Vol. 9, 400-G, from: www.blavatskyarchives.com, and Isis Unveiled, Blavatsky, Vol.1, 389.

(٤) Collected Writings, Blavatsky, Vol. 11, 253, from: www.blavatskyarchives.com.

(٥) انظر: Ibid.

(٦) Isis Unveiled, Blavatsky, Vol.1, 388.

النور الإلٰهي للحدس، فإن طبيعته الإلٰهية كثيرًا ما تنغمر تمامًا[١].

إن مفتاح الحكمة عند (بلافاتسكي ـ Blavatsky) هو الإنسان، تقول: «إن معرفة الإنسان لذاته هي الحكمة»[٢]؛ لأنه هو مصدرها، حيث أن النور الذي يحقق الاستنارة يكمن في باطن نفس الإنسان[٣]، و«كل عقيدة سامية هي نوع من المزاوجة بين (العرفان ـ Gnosis) وبين مستوى قدرة الإنسان على استيعابه، لذا لا بدَّ أن يبلغ الإنسان شوطًا يتخطى فيه (حرف) العقيدة وظاهرها، ويصل إلى الهدف الأوحد منها، وهو معرفة النفس. على هذا الأساس، ربما انطوت العقيدة على حقائق نفسية وروحية قد تُيسِّر للمرء حدس هذه المعرفة الكلِّية، وتحقيقها في باطنه»[٤]. و(المعرفة الذاتية ـ Self-knowledge) بزعم (بلافاتسكي ـ Blavatsky) لا تتحقق عبر التفكير والعمليات العقلية؛ لأنها إيقاظ للوعي بالطبيعة الإلٰهية في الإنسان، وهي تتحقق من خلال أمور أساسية كالتالي[٥]:

١ ـ أن يصبح المرء واعيًا بالجهل بعمق؛ ليشعر بكل عروق قلبه أنه يخدع نفسه.

٢ ـ الاعتقاد العميق بأن هذه المعارف ـ المعرفة الحدسية وغيرها ـ يمكن الحصول عليها بالجهد.

٣ ـ العزم الذي لا يُقهر على تحصيل تلك المعرفة ومواجهتها.

وزعمت (بلافاتسكي ـ Blavatsky) أن هناك شروطًا يجب على طالب الحكمة امتثالها وتنفيذها بدقة خلال سنوات دراسته، حتى يصبح مؤهلًا لتلقي التعاليم. من هذه الشروط: التخلي عن تفاهات الحياة والعالم، وتفريغ العقل من كل شيء سوى الحقائق الكونية في الطبيعة، والابتعاد عن الغذاء الحيواني، والخمر والأفيون والمشروبات الروحية، إضافة إلى التأمل والتقشف في كل

(١) انظر: Isis Unveiled, Blavatsky, Vol.1, 389.

(٢) Collected Writings, Blavatsky, Vol. 9, 162 (Practical Occultism), from: www.blavatskyarchives.com.

(٣) انظر: Collected Writings, Blavatsky, Vol. 9, 400-G, from: www.blavatskyarchives.com.

(٤) الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org (بتصرف).

(٥) انظر: Collected Writings, Blavatsky,Vol. 8, 108 (Self Knowledge), from: www.blavatskyarchives.com.

شيء، ومراقبة الواجبات الأخلاقية، والأفكار النبيلة، والأعمال الصالحة، والكلمات الودية، والنوايا الحسنة للجميع، والإلغاء الكامل للذات. وتجعل هذه الوسائل هي الأكثر فعالية للحصول على المعرفة، والاستعداد لتلقي (الحكمة الأسمى ـ Higher Wisdom). كما أنها تعتبر الشروط السابقة معينة على دراسة (الحكمة الإلٰهية) بأمان، بعيدًا عن خطر إمكانية تحول الحكمة الإلٰهية إلى سحر أسود(١).

كما ادَّعت (بلافاتسكي ـ Blavatsky) أن المريد يأمل من خلال حصوله على المعرفة الباطنية أن يكتسب (القوى الغيبية ـ Shiddhis)، وهي قوى تفوق الطبيعة، يحققها ممارس اليوجا؛ كالقدرة على الجذب، وقوى السحر، والمزمرية، وغيرها(٢). ويأمل من خلال التزامه بالشروط السابقة أن يحصل على أسمى أنواع القوى، وهي (قوى الأرهات ـ Siddhis of the Arhats)، والأرهات: لفظ يُستخدم من قبل البوذيين للدلالة على تحقيق إدراك روحي، وإخضاع للجسد وتدريبه حتى يصبح مجرد تعبير مادي لصاحبه. وفي الأدب الثيوصوفي يدل اللفظ على الوصول إلى أعلى مراحل التطور والتأهيل الباطني(٣)، وهي مرحلة (المهاتما ـ Mahatmas) التي يتحرر فيها الإنسان ويتحد تدريجيًا بالعالم، كما أنها تدل على إحدى الطرق الموصلة إلى النِرفانا(٤).

وتحاول (بلافاتسكي ـ Blavatsky) أن تشرح ماهية المعرفة الباطنية السرية التي تدّعيها، من خلال التعريف بأنواع هذه المعرفة وطرق تحقيقها، التي لا يزيدها تعريفها إلا غموضًا، ومنها(٥):

---

(١) انظر: Collected Writings, Blavatsky, Vol. 9, 157-160 (Practical Occultism), from: www.blavatskyarchives.com.

(٢) انظر: A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 130.

(٣) يأتي التعريف به في المطلب التالي.

(٤) انظر: Collected Writings, Blavatsky, Vol. 9, 157-160 (Practical Occultism), from: www.blavatskyarchives.com, and A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 13, 130.

(٥) انظر: Collected Writings, Blavatsky, Vol. 9, 251- 252 (Occultism Versus The Occult Arts), from: www.blavatskyarchives.com.

١ ـ (ياجنا فِديا ـ Yajna Vidya): وهي معرفة القوى الغيبية في الكون، من خلال أداء بعض الطقوس والشعائر الدينية.

٢ ـ (ماها فِديا ـ Maha Vidya): وهي السحر والمعارف الغامضة، وهي سحر الكباليين، وعبادة (التانتريكا ـ Tantrika). وتدل على مراسم ترتبط بعبادة (التانترا ـ Tantra) التي هي ممارسات باطنية سحرية محددة، تتميز بعبادة القوى الأنثوية المتعلقة بالطاقة المرتبطة بالطقوس الجنسية والقوى السحرية. وهي أسوأ أنواع السحر الأسود والشعوذة.

٣ ـ (قُهيا فِديا ـ Guhya Vidya): وهي المعرفة الاستسرارية، وبشكل خاص معرفة القوى الصوفية الكامنة في (المانترا ـ Mantra) التي هي طلاسم وتعويذات أو مقاطع صوتية، تعتمد على إيقاع ولحن معين يُستخدم في السحر. وهي تقوم على محاولة معرفة قوى الطبيعة والعلاقة بينها.

٤ ـ (أتما فِديا ـ Atma Vidya): وهو معرفة الروح، وتذهب (بلافاتسكي ـ Blavatsky) إلى أنها أسمى أشكال المعرفة الروحية، وأنها الحكمة الحقيقية التي أخذَتها من الشرقيين.

وتزعم (بلافاتسكي ـ Blavatsky) أن الـ(أتما فِديا) هو النوع الوحيد من المعرفة الباطنية الذي يجب أن يسعى إليه الثيوصوفي الذي يتوق إلى طريق النور والحكمة بغير أنانية. والواقع أن الـ(أتما فِديا) يشمل باقي أنواع المعرفة ويجعل لها قيمة، ويستخدمها أحيانًا بعد تنقيتها من خبثها وتجريدها من أي دافع أناني ـ بالزعم الثيوصوفي ـ[(١)].

وبهذا يتضّح مضمون المعرفة الباطنية، التي هي الغاية التي يسعى إليها الثيوصوفيون والباطنيون جميعًا؛ «فالباطنيُّون من جميع الملل يؤمنون أن المعرفة الباطنية هي الغاية المنشودة، ويُسمون الوصول إلى (الغنوص) إشراقًا، وهو حالة من التحرر من الماديات تنكشف فيها المغيبات وتتجلى الحقيقة المطلقة. وليس الوصول إلى هذه الحالة مقصورًا على أحد كالوحي للأنبياء، وإنما يمكن لأي

---

(١) انظر: Collected Writings, Blavatsky, Vol. 9, 252 (Occultism Versus The Occult Arts), from: www.blavatskyarchives.com, and Theosophical Glossary, Blavatsky, 190, 294, and A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 53, 78, 81.

أحد تحصيل هذا (العرفان) عن طريق ذوق خاص ومجاهدات، وتتبّع لباطن وأسرار نصوص الكتب المقدَّسة، واستخلاص الحكمة السريَّة المحجوبة فيها، وكذلك أسرار التعاليم والتقاليد الخاصة المتوارثة من الحكماء الأوائل العارفين»[١].

فالمعرفة الباطنية تُعدُّ ـ عند معتقديها ـ طريقًا للوصول إلى الحقائق الغيبية، وهي تتجاوز جميع الطرق الأخرى، فتتناول حقائق لا يتوصل إليها بالعقل ولا بالنقل، ويمكن تحصيلها لأي أحد بشرط التحرر من تأثير الحس والعقل اللذين يحجبان الإنسان عن السمو إليها. ويتم ذلك عن طريق رياضات معينة وجوع وتصفية، وعندها تحدث التجليات النورانية كما يزعمون بناء على أصلهم الفاسد وهو: أن النفوس إذا صفت اتصلت بالمطلق ووصلت إلى المعارف[٢]، فـ«وحدها الروح المنعتقة تستطيع أن تدرِك طبيعة المصدر الذي عنه انبثقت وإليه تعود»[٣].

---

(١) حركة العصر الجديد، فوز كردي، ص٨.

(٢) انظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية، ص٥٠٩ ـ ٥١٠.

(٣) الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: .www.maaber.org

المطلب الرابع

الاستسرار والتأهيل الباطني (Initiation)

(الاستسرار ـ Esoteric) هو العلم الباطني الذي خفي على عامة الناس، وكُشف لخواص من المؤهَلين[١]، الذين ساروا في درب التأهيل واتصلوا بالمعلمين الباطنيين الذين يؤهلونهم لتلقي الأسرار الباطنية.

ويطلق الثيوصوفيون على هؤلاء المعلمين عدة ألقاب، منها[٢]: (السادة ـ Masters) باعتبارهم المعلمين الذين استمد منهم الثيوصوفيون الحقائق الثيوصوفية كلها، و(المهاتما ـ Mahatmas) وهو لفظ هندي قديم جدًّا معناه (الروح العظيمة)، ويُستخدم في الثيوصوفيا للدلالة على الشخص الذي حقق النِرفانا والتحرر[٣]، و(غورو ـ Guru) وهو لفظ يُطلق في الهندوسية على المعلم أو المرشد الروحاني، ويُعتبر أحيانًا تجسيدًا للألوهية، ولا يُمكن تحقيق الخلاص

---

(١) A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 48.

(٢) انظر: Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from www.CatholicCulture.org, and An Introduction to Esoteric Principles, William Doss McDavid, 65.

(٣) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 185- 186, and A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 78.

إلا من خلاله[١]، و(المؤهلين ـ Initiates) باعتبارهم بلغوا أعلى مراحل التأهيل الباطني، و(الخبراء ـ Adepts) باعتبارهم المؤهلين الذين يوجهون التطور الإنساني، و(الأرواح العظيمة ـ Great Souls) للاعتقاد بعظم أرواحهم وسموها على غيرها، و(الإخوة الأكبر ـ Elder Brothers) باعتبارهم أخوة الإنسانية الذين يساعدون أخوانهم البشر على السمو والتطور، و(المجوس ـ Magi) وهي كلمة يونانية الأصل أُطلقت على الكهنة الخبراء في علم التنجيم[٢]، و(الهَيْرَفَنت ـ Hierophants)، ومعناه: كاهن إغريقي قديم، أو مفسّر[٣].

ويُعتقد أن هؤلاء المهاتما أرواح بشر فائقة، متجسدة أو غير متجسدة، لهم علم وقداسة كبيرة، تجاوزوا دورة الإنسانية كلها وعالم الكارما، ويستطيعون المساعدة في التأثير على قانون الكارما. كما يُعتقد أنهم أخوة واحدة، مقرُّهم الرئيسي في التبت، وتمتد فروعهم في أنحاء الشرق، وأنَّ عددَهم هائل، ويساعدون إخوانهم الأقل تطورًا. كما يُعتقد أن على الإنسانية كلّها أن تصل إلى هذه الدرجة من التطور يومًا ما[٤].

وينتمي هؤلاء السادة إلى ما يُسمى (الأخوّة البيضاء العظيمة ـ The Great White Brotherhood)، الذين يزعمون أنه ناد يضم عددًا من نُخبة البشر عبر التاريخ، من الأنبياء ومن يعدونهم حكماء ومتنورين[٥]، يأتي منهم الإلهام

---

(١) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 317, and A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 53.

(٢) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 461.

(٣) انظر: قاموس المورد، روحي ومنير بعلبكي، ص٤٢٦.

(٤) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 186, and The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 37, and Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J, from: www.CatholicCulture.org, and Anti-Christians Cults, A. H. Barrington, 71-72.

(٥) فيجمعون موسى وعيسى ﷺ مع بوذا، وكونفوشيوس، ومسمر، وكاغليسترو، وفيثاغورس، والقسيس بول، وكرِشنا، وألكسندر الأكبر وغيرهم. انظر: Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org, and Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 41.

والحدس، والحركات الروحية وغيرها[١]. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky) أن لفظ (الأصل الإلٰهي) «لا يعني الوحي من إله (مجسّم)... ولكنه بفهمنا، نظام علمي منقول إلى أوائل الجنس البشري، من قِبل رجال متطورين جدًّا لدرجة أنهم عُدّوا (آلهة) في نظر أولئك البشر»[٢]. ويُعدّ أخذ المعارف من هؤلاء السادة شديد الأهمية في الثيوصوفيا؛ ففي زعمهم أن الإنسان إن لم يأخذ علمه الغيبي عن سادة حقيقيين للحكمة الباطنية، فهو يعرّض نفسه للوقوع في السحر الأسود، وللفشل والخطر[٣].

فالتأهيل (Initiation) في الأدب الثيوصوفي هو البوابة لاستقبال المعارف العليا والقوى المصاحبة لها، وهو متعلق بالطقوس السرية المدخرة لمن هو مهيأ لذلك. ويكون التأهيل على مراحل متتالية، توصل في نهايتها طلاب المعرفة إلى النِرفانا أو التحرر من التناسخ[٤]. و(درب التأهيل ـ The Path of Initiation) هو عملية تعلم الإنسان أن يشقَّ طريق تطوره، ويمضي بوعي إلى مراحل عليا تؤهله إلى التفتح الروحاني[٥].

وفي الثيوصوفيا، ينبغي على مريد الحقيقة قبل التحاقه بدرب التأهيل أن يتخلص من رغباته المادية المتعلقة بالحواس الفانية، التي تربط الأنا بالوجود الفاني، كما ينبغي عليه تطهير قلبه وعقله؛ ليعكس إلهه الباطني. والوسيلة إلى فهم الدرب وتطهير المريد هي مراعاة الحقائق البوذية[٦] التي تحرره تدريجيًا من

---

(١) انظر: Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

(٢) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 265.

(٣) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 15- 16.

(٤) انظر: A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 58.

(٥) An Introduction to Esoteric Principles, William Doss McDavid, 63.

(٦) الحقائق البوذية: هي الرسالة الأساسية للبوذية، التي يُزعم أنها انكشفت لبوذا أثناء تأمله الشهير، وهي أهم تعاليمه التي توصل البوذي إلى الحكمة والاستنارة والنرفانا وهي: حقيقة إدراك مظاهر العذاب والمعاناة، وحقيقة معرفة أسبابها، وحقيقة القضاء عليها من خلال إبطال الرغبات والتحرر منها عبر (النرفانا)، وحقيقة السبيل المؤدي إلى القضاء على المعاناة: وهي المنهج العملي والممارسة الروحانية لإنهاء المعاناة والوصول إلى نرفانا. ويتكون هذا السبيل من ثماني شعب تُتبع ويسلكها المريد في حياته.
انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص١٨٣ ـ ١٨٤، ١٨٨، ودراسات في اليهودية =

القيود التي تعيق تنوره[١].

هذا؛ وإن «التقدم في الدرب يؤدي في النهاية إلى الاتصال بالمعلّم الذي يؤهل المريد لاستقبال أسرار النفس الباطنية». و«عادة ما يُشار إلى المعلم باعتباره الأب الذي يعطي الولادة الجديدة للشخص الذي تمت إعادة إحيائه». «وبينما يتقدم المريدون في رحلتهم على طول الدرب، يمرّون عبر سلسله من (السادة ـ Masters) يرمزون إلى مراحل حجّهم»[٢]، وفي مراحل عليا يتصل المريد في رحلته بسادة أكثر علوًّا. وعلاقة المريد بالسيد علاقة مقدسة تفوق إمكانية التعبير عنها[٣]. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky) عن علاقتها بسيدها: «أنا أبجل السادة، وأعبد (Worship) سيدي الخالق الوحيد (لذاتي الباطنية ـ Inner Self)؛ لأنه يستدعيها ويوقظها من سباتها»[٤].

ويُعلق أحد نقاد الثيوصوفيا على اعتماد الثيوصوفيين على (المهاتما) بعد رفضهم للوحي والتلقي من الإله، بأن ذلك يُعد دليلًا على أن ما يتبعونه حقيقة ينبغي أن يُسمى (حكمة الشيطان ـ Demonosophy) بدلًا من (ثيوصوفي ـ حكمة الآلهة)، فالإله الحقيقي للثيوصوفيا هو الشيطان[٥].

= والمسيحية وأديان الهند، محمد الأعظمي، ص٦٤٣ ـ ٦٤٤، وتراثنا الروحي، سهيل بشروني ومرداد مسعودي، ص٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(١) انظر: An Introduction to Esoteric Principles, William Doss McDavid, 63, 64- 65.

(٢) كل النصوص الثلاثة من: Ibid, 65- 66.

(٣) انظر: Ibid, 65.

(٤) The Letters of H. P. Blavatsky to A. P. Sinnett, Blavatsky, Letter No. 45, from: www.theosociety.org.

(٥) انظر: Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 42-44.

الفصل الثالث

مفهوم (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: العقائد المتعلقة بمفهوم (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي.

المبحث الثاني: حقيقة (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي.

توطئة

الألوهية في العقيدة الإسلامية هي مدار توحيد الله، الذي هو حقه ﷻ على العبيد، وتتضمن إثبات تفرده بالخلق، والرزق، والملك، والإحياء، والإماتة، وكل صفات ربوبيته، كما تتضمن إفراده بالعبادة؛ كالدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والتوكل، وغيرها وحده دون سواه. ووصف غير الله بـ(الألوهية) في العقيدة الإسلامية ونصوصها المحكّمة إما أن يكون من باب مجاراة المشركين في تعبيرهم عن معبوداتهم، وتسميتهم لها (آلهة)، أو من باب وصف حقيقة ما يفعلونه عندما يصرفون لشيء ما لا يستحقه إلا الله ﷻ، وإن لم يعترفوا بتأليههم له[١].

والفرق بين المشركين الذين وضّح القرآن حقيقة معتقدهم وبين الباطنيين الملاحدة كبير جدًّا؛ فالمشركون يعترفون بإله حق في السماء وإن ضلوا عن بعض صفاته، وهم يفردونه بالربوبية، ولغفلتهم يتخذون معه شركاء؛ فاحتج عليهم القرآن باستلزام الربوبية للألوهية، أما الباطنيون فهم لا يعترفون بإله حق في السماء، وإنما يطلقون لعقولهم وخيالاتهم العنان في تصورات شتى؛ فمنهم من يقف في تصوراته عند الكون وعظمته ويعتقد قِدَمه وبقاءه من أسلاف (الدهريين ـ Atheists)، ومنهم من يؤمن بقوى وراء المادة ويختلفون في تصوراتهم لها، وما يعطونه لها من الأسماء والصفات، وما يتوجهون لها من أنواع من الأفعال

---

(١) سبق توضيح هذا وأدلته: في تمهيد هذا البحث (الآلهة الباطلة).

والإرادات. وفي هؤلاء تفشو المعتقدات الباطنية المختلفة، وعليها يقوم الفكر الثيوصوفي بتصوراته ومعتقداته، وهذا الفصل بمبحثيه يبين حقيقة تصورهم في قضية (الألوهية).

المبحث الأول

العقائد المتعلقة بمفهوم (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الاعتقاد بوجود مطلق (Absolute).

المطلب الثاني: الاعتقاد بالفيض (Emanation).

المطلب الثالث: الاعتقاد بوَحدة الوجود (Pantheism).

المطلب الرابع: الاعتقاد بالاتحاد (Union) والحلول (Incarnation).

المطلب الأول

الاعتقاد بوجود (مطلق ـ Absolute)

إن القول بوجود (مطلق ـ Absolute) سابق لجميع الكائنات، متجاوز في صفاته لما يُعرف من الصفات هو المبدأ الأساسي الأول في جمعية الثيوصوفي(١). ويُستخدم للدلالة عليه عدد من المصطلحات من أهمها ما يلي:

١ ـ (المطلق الواحد ـ One Absolute)(٢)، أو (المبدأ المطلق الواحد ـ The One Absolut Principle) باعتبار أنه خالٍ من أي حدود، وأنه «وحده الذي ليس له بداية، ولا نهاية، ولا تغيير، الباقي إلى الأبد»(٣).

٢ ـ (الجوهر المطلق ـ Absolute Essence)(٤)، أو (الجوهر الكوني ـ Universal Essence)، أو (الجوهر الواحد ـ One Essence)، أو (الجوهر الإلهي

---

(١) انظر: The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 35,
والحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaberÛorg.

(٢) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 36.

(٣) Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 43.

(٤) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 238.

أو المتجاوز ـ Divine Essence)[١] باعتبار أنه الجوهر الداخلي الذي يكمن في باطن كل شيء، بمعنى أن الكون بما فيه عبارة عن مظاهر للجوهر، فالأشياء تختلف في ظاهرها وتتحد في جوهرها، حيث الجوهر الذي يوحد بينها، وقد يوصف بـ(الألوهية) فيسمى (الجوهر الإلٰهي) ـ كما تبين ـ؛ لأن هذا الجوهر يقابل المفهوم للإلٰه في نظرة الثيوصوفي. وكثيرًا ما يوصف بأنه (مجهول) بسبب الاعتقاد بأن لا سبيل إلى معرفة واحدة له، ولا قدرة على استيعابه. وكلمة (Divine) والتي تُترجم بـ(الإلٰهي) في ثنايا البحث ينبغي أن تُفهم من السياق الثيوصوفي، فلا يُقصد بها الألوهية الحقة، وإنما هي اعتقاد بوجود مطلق، متجاوز للإنسان وباقي المخلوقات إلى كينونة أعلى، يتجلى ويظهر في الكائنات المتعددة. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «لفظ (ثيوس) في اليونانية يعني: إلٰه؛ أي: أحد الكائنات السامية، وليس بالضرورة (إلٰه) بالمعنى المرتبط باللفظ هذه الأيام»[٢]. فتنفي (بلافاتسكي ـ Blavatsky) أن يكون هو (الإلٰه) المقصود في الديانات السماوية، وأقصى ما تقبله من ذلك لا يتعدى التصور الذهني الموافق لمعتقدهم في المطلق.

٣ ـ (الحقيقة المطلقة ـ Absoluteness)[٣]، أو (الحقيقة المطلقة الواحدة ـ One Absolute Reality)[٤]، أو (الوحدة المطلقة ـ Absolute Unity)[٥] أو (الحقيقة كلية الوجود ـ Omnipresent Reality)[٦]، باعتبار أن هناك حقيقة مطلقة واحدة، أو وجودًا حقيقيًا واحدًا هو (المطلق) وأن لا حقيقة سواه، وأن كل ما سواه وهم، أو مظهر ووجه له. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «الحقيقة المطلقة الواحدة التي تسبق كل الكائنات المتجلية والمشروطة... والعلة اللانهائية والأبدية... هي الأصل الذي لا أصل له لكل ما كان وما هو كائن

(١) The Key To Theosophy, Blavatsky, 8, 48, 78, 117.

(٢) The Key to theosophy, Blavatsky, 1.

(٣) Ibid, 22, 199.

(٤) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 35.

(٥) The Key to Theosophy, Blavatsky, 57.

(٦) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 238.

وما سوف يكون»[١]، ويقول الثيوصوفي (جفري فارذنق ـ Geoffrey Farthing)[٢] [١٩٠٩ ـ ٢٠٠٤م]: «الحقيقة المطلقة، أو الحقيقة الواحدة الأبدية لا تتجلى أبدًا، وهي أساس جميع التجليات»[٣]، كما أنها «خالية من الصفات، وتتعدى قدرة العقل البشري على تصورها، وتتجاوز اللغة البشرية على وصفها»[٤].

٤ ـ (الكينونة ـ Be-ness)[٥]، أو (الكينونة الواحدة)، وهو لفظ أوجده الثيوصوفيون لمحاولة شرح كلمة (سات ـ Sat) السنسكريتية، التي لا يمكن إطلاقها إلا على المبدأ المطلق المجهول، فـ(الكينونة) تدل على أنه (وجود ـ Being) و(لاوجود ـ Non-Being) في آن واحد. فهو (الكينونة) الكائنة في البدء، في حالة سكون وتناغم وتوازن أبدي[٦]؛ لأنه «الأصل الذي لا أصل له لكلِّ ما كان، وما هو كائن، وما سيكون أبدًا»[٧]. وتستخدم (بلافاتسكي ـ Blavatsky) هذا اللفظ كثيرًا، كما تستخدم أصله السنسكريتي (سَات ـ Sat) في كتاباتها[٨]، تقول: «هو (الكينونة ـ Be-ness) وفي السنسكريتية (سات ـ Sat) بدلًا من أن يطلق عليه (وجود ـ Being)، وهو يتجاوز كل فكر وتأمل». و«يُرمز إلى هذه الكينونة في العقيدة السرية بطريقتين: الفراغ المجرد المطلق، الذي يعجز أيُّ فكر بشري عن سبره أو تكوين أيِّ تصور عنه أو تذهُّنه مجرَّدًا؛ ومن جهة أخرى هو الحركة المجرَّدة المطلقة، التي تمثل الوعي الطليق غير المحدود... والتي يُرمز

(١) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 35- 36.

(٢) جفري فارذنق (Geoffrey Farthing): هو كاتب ومحاضر بريطاني، انضم إلى جمعية الثيوصوفي في نهاية عام ١٩٢٠م وأصبح من أعضائها النشطين، ثم أصبح أحد قادتها. انظر: Life and Work of Geoffrey Farthing, Carlos Cardoso Aveline, From: www.esoteric-philosophy.com .

(٣) Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 144.

(٤) Ibid, 28.

(٥) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 30, 36, 118, And The Key to Theosophy, Blavatsky, 44, 207.

(٦) انظر: The Theosophical Glossary, Blavatsky, 50, 269.
ودراسات ثيوصوفية، جهاد إلياس الشيخ، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٧) الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٨) انظر: المرجع السابق.

لها بـ«(النَفَس العظيم ـ The Great Breath)»[١].

٥ ـ (الكامن ـ Dweller)، تقول (بيلي ـ Bailey): «الإله، العقل العالمي، الطاقة، القوة، المطلق، المجهول، هذه الألفاظ وغيرها كثيرة، يستخدمها الذين يلتمسون الوصول إلى الكامن الذي يكمن داخل الشكل الخارجي، ولم يجدوه بعد؛ لأنهم يستعملون الوسائل الظاهرية. هذا الفشل في العثور عليه يعود إلى محدودية العقل المادي، وإلى انعدام التنمية في الآلية التي يمكن من خلالها معرفة الروحية والاتصال به في النهاية»[٢].

والاعتقاد بهذا المطلق هو اعتقاد مقتبس من الأصول الباطنية، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «المطلق؛ يُدعى في الفيدانتا (بارابراهم ـ Parabrahm) أو (الحقيقة الواحدة ـ The One Reality)، أو (سات ـ Sat)»[٣]، وتقول: «الكبالا العبرية... تجعل من المبدأ الواحد والمطلق وحدة لا نهائية تُدعى (أين صوف ـ Ain Suph)»[٤]. ويقول (فارذِنق ـ Farthing): «هذا المبدأ المجهول العظيم هو (المطلق ـ Absolute) في الباطنية، (بارابراهم ـ Parabrahm) في الهندوسية، وهو العلة التي لا علة لها، الذي يكمن وراء نطاق هذه العوالم وخلفها، هو وراء الحركة الأولى التي تعتبر الأصل لجميع التجليات، هو الواحد»[٥].

وهو مبدأ غامض تحاول (بلافاتسكي ـ Blavatsky) إيضاحه في كتاباتها، وهي التي أخذت على عاتقها نشر هذه العقائد الباطنية، بعد أن كانت تنحصر في خواص من الناس يتناقلونها بالاستسرار فتقول: «إذا كان لا بدَّ لنا أن نؤمن (بمبدأ متجاوز «إلٰهي» ـ Divine Principle) أصلًا، فيجب أن يكون إيماننا بمبدأ هو تناغم ومنطق، وعدل مطلق، بمقدار ما هو محبة وحكمة، وعدم تحيُّز مطلق». وتقول: «المبدأ الواحد في حقيقته المطلقة... لا جنس له، ولا شروط، وهو لا نهائي»، فهو «مبدأ كلِّي الوجود، أبدي، غير محدود، ولا

---

(١) كلا النصين من: The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 35- 36.

(٢) A Treatise on Cosmic Fire, Alice A. Bailey, 124- 125.

(٣) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 36- 37.

(٤) The Key To Theosophy, Blavatsky, 42.

(٥) Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 75.

يتغير، ويستحيل تصوره لأنه يتجاوز الإدراك البشري، وليس من شأن أيِّ تعبير أو تشبيه بشري إلا أن يقزّمه، إذ أنه يتخطى نطاق الفكر ومداه»[١]. ثم تؤكد أنه: «تجريد محض»[٢]، فـ«هو مُجرد من جميع الصفات، وفي جوهره لا علاقة له بالوجود المتجلي المتناهي»[٣]. وجميع تعريفات الثيوصوفيين من بعد (بلافاتسكي ـ Blavatsky) لا تخرج عن هذه الحدود فلا توضح حقيقته، ولا تزيل الغموض عنه، فيعرّفه (أفيرينوس ـ Avghérinos) بأنه «مبدأ أصلي إلٰهي متجانس في ذاته، يصدر عنه العالم المنظور في فيض أبدي. وهذا المبدأ تطلق عليه الثيوصوفيا اسم (الكينونة ـ Be-ness)»[٤].

والخلاصة أن: المطلق: مبدأ غامض ليس له ذات، أو صفات، أو وجود في الخارج عند التحقيق، لذلك لا نجد له مفهومًا واضحًا واحدًا عند معتقديه، وبعضهم يُعرفه بالسلب، أو بسلب النقيضين، أو ببعض الألفاظ العامة التي لا تدل على شيء، ونجد التناقض يلازم التعاريف المختلفة له في الثيوصوفيا، وفي الأصول التي نبعت منها كذلك، فـ(براهمان) الذي يعتقد به الهندوس كذلك غامض في طبيعته، ولا يعطي حكماء الهندوس تعريفًا محددًا له؛ وحاولوا وصفه بالسلب، فقالوا: لا سبيل إلى تصوره، أو رؤيته، أو سماعه، أو إدراكه، فهو خال من الصفات والأشكال[٥]. ووُصف في الأوبانيشادات بأنه «حقيقة عامة في كل شيء، ولا يمكن تعيينها ولا تشبيهها بأي شيء آخر، والتعريف الوحيد الذي يمكن أن يُعرف به هو: ما ليس هذا ولا ذاك. أو هو: العام الأزلي الأبدي في ثباته»[٦].

---

(١) كل النصوص الثلاثة من: .The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 35, 39, 75

(٢) .The Key to Theosophy, Blavatsky, 45

(٣) .The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 35-36

(٤) الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: .www.maaber.org

(٥) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٥٠ ـ ٥١، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٠٢.

(٦) الفلسفة الشرقية، محمد غلاب، ص١٠٦.

والمطلق في الفلسفة اليونانية هو كذلك غامض، وصفه أفلوطين[١] [٢٠٥ ـ ٢٧٠م] بأنه مطلق بسيط، لا صفة له ولا صورة، وليس كائنًا ذا حجم وحيز ما، وهو لا متغير، وأزلي، لا يدركه الوصف لأنه فوق أي وكل إدراك بشري[٢]، ويقول: «إنه واحد عظيم، أعظم الأشياء... لا نهاية له... فوق وهم المتوهم، ثابت، قائم بذاته، ليس فيه شيء من الصفات... وليس له حركة»[٣].

وهكذا نجد أن التعريف بالمطلق الذي يعتقد به أهل الباطن كافٍ في بيان فساد عقيدتهم وإلحادهم وتخبطهم، فإن كان المطلق ليس ذاتًا وليس له صفات، ولا يسمع ولا يُمكن التواصل معه، فما الطائل وراء الاعتقاد به؟ وما الدليل على وجوده؟ ولا يهتم الثيوصوفيون بالإجابة على مثل هذه الأسئلة، وإنما يدعون أتباعهم إلى الكف عن السؤال وخوض تجربة روحية، ومحاولة استكشاف هذا المطلق بأنفسهم، الذي يؤكدون أنه ليس الإلٰه الذي تدل عليه المعتقدات السماوية، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «نحن نرفض فكرة إلٰه شخصي، أو مفارق للكون، أو مجسّم (موصوف في شكل بشري)»[٤]، وتقول: إن الفلسفة الباطنية «لا ترفض الإلٰه بوصفه الكينونة المطلقة والمجردة، ولكنها ترفض قبول أي من آلهة الأديان التوحيدية، الآلهة التي أنشأها الإنسان على صورته وشكله»[٥].

---

(١) أفلوطين: مؤسس الأفلاطونية المحدثة، ولد في مصر، وتأثر بالمعرفة الإشراقية، والفلسفة الشرقية الهندية، وفلسفة الفرس، وفلسفة أفلاطون. تقوم فلسفته على وحدة الوجود والفيض المتسلسل لمراتب للوجود.
انظر: في سبيل موسوعة فلسفية، مصطفى غالب، ١٧/ ١٥ ـ ١٦، ٢٢، ٢٨، ومدرسة الإسكندرية في الفلسفة والعلم مع ترجمة التساعية الرابعة لأفلوطين، فؤاد زكريا، ص١١، ١٧، ٢٥، ٢٦.

(٢) انظر: أفلوطين عند العرب، تحقيق: عبد الرحمٰن بدوي، (نصوص مُفرَّقة لأفلوطين)، ص١٨٨، وتراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص١٧٠.

(٣) أفلوطين عند العرب، تحقيق: عبد الرحمٰن بدوي (نصوص مُفرَّقة لأفلوطين)، ص١٧٦، ١٨٦، ١٨٧.

(٤) The Key to Theosophy, Blavatsky, 42.

(٥) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 3.

المطلب الثاني

الاعتقاد بـ(الفيض ـ Emanation)

لما كان المطلق في الفكر الثيوصوفي ـ كما سبق بيانه ـ كامنًا لا إرادة له ولا فعل، وهو مع ذلك المصدر والأصل والعلة لوجود العالم، كان لا بد من تفسير ذلك، فلا يعني كونه مصدرًا أنه خالق الموجودات من العدم، وإنما معنى كونه علة؛ أي: أنّ جميع ما في الكون فاض أو انبثق عنه، أو يُعد تجليًا له ـ بحسب المصطلحات الباطنية المتنوعة عند أهل كل مذهب باطني ـ. ومن هنا فإن الاعتقاد بالفيض في الثيوصوفيا جزء مهم يوضح جانبًا مهمًّا من تصوراتهم عن (الألوهية) وعن فعلها في الكون والحياة.

والفيض في اللغة: يدل على جريان الشيء بسهولة، يقال: أفاض إناءه إذا ملأه حتى فاض[1]، و«فاض الماء: كَثُرَ حتى سالَ كالوادي»[2].

والفيض في الفلسفة، هو صدور جميع الموجودات عن مبدأ واحد أو جوهر واحد، على مراتب متدرجة بغير تراخٍ أو انقطاع. فيفيض العالم عن

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٤٦٥.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٦٥١.

المطلق كما يفيض النور عن الشمس، أو الحرارة عن النار فيضًا متدرجًا. والقول بفيض العالم عن المطلق مقابل للقول بخلق الله العالم من العدم[١]. ويرادف الفيض: الصدور والانبثاق، الذي يعني: اشتقاق أو تولد العناصر أو العالم من الجوهر الأصلي أو الوحدة الأولى، أو هو إشعاع أتاح لبعض الممكنات أن توجد وتستمر في الوجود[٢].

و(الفيض) في الأدبيات الباطنية يطلق على معنيين: فيض الموجودات عن المطلق. بمعنى الصدور والانبثاق[٣]، وهذا هو المعنى المقصود هنا. والثاني: فيض المعارف على عقل المريد من المطلق بمعنى الاستنارة والإشراق[٤]، وتم الحديث عنه في مصادر المعرفة الباطنية الغنوصية. والمعنيان متلازمان، فكما أن الكائنات فاضت عن الوجود الأول، فإنه يمكنها عبر تطوير قدراتها تحقيق الإشراق الموصل إليه.

وبالنظر إلى أصول الثيوصوفيا، يتبين أن عقيدة الفيض ملازمة لاعتقادهم بالمطلق، ففي الهندوسية يُعتقد أن الكائنات تولدت من (براهمان) كما ينطلق الشرر من النار المتأججة[٥]. وفي الفلسفة اليونانية يقول أفلوطين: «الخير المحض هو الأول الذي يفيض الخير على الأشياء، فيلبسها الخير مثلما تُلبِس الشمس الأجسام نورًا تشرق به»[٦]، و«كل ما كان بعد الأول فهو من الأول اضطرارًا. إلا أنه إما أن يكون منه سواء بلا توسُّط، وإما أن يكون منه بتوسُّط أشياء أُخر هي بينه وبين الأول»[٧].

وهو قول سرى عند فلاسفة الباطنية المنتسبين للإسلام، مع إضافة لفظ (إلٰهي) تلفيقًا بين العقيدة الصحيحة في الإسلام والفلسفة الباطنية التي اعتنقوها،

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١/ ١٤٣.

(٣) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 146.

(٤) انظر: A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 59.

(٥) انظر: الفلسفة في الهند، علي زيعور، ص١٣٠.

(٦) أفلوطين عند العرب، تحقيق: عبد الرحمٰن بدوي (نصوص متفرقة لأفلوطين)، ص١٩٤.

(٧) المرجع السابق، (رسالة في العلم الإلٰهي، وهي تلخيص للتساع الخاص من تساعات أفلوطين)، ص١٧٨.

فقال (الفارابي)[١] [٢٦٠ ـ ٣٣٩هـ] و(ابن سينا)[٢] [٣٧٠ ـ ٤٢٨هـ] بفلسفة الفيض الإلٰهي[٣]، واعتنق إخوان الصفا[٤] نظرية الفيض كذلك في تفسيرهم لنشوء العالم[٥]، وأخذ بها الإسماعيلية وغلاة الصوفية[٦] مع اختلاف طفيف في كل مذهب في العبارات والمصطلحات ومراتب الوجود.

وقد حاول الباطنيون التوفيق بين التناقض الواضح في صدور الكون المتحرك، المتغير، المتعدد، المتصف بالصفات، من مطلق غير محدود، ولا متحرك، ولا متغير، ولا يتصف بشيء فقالوا بفكرة مراتب الفيض؛ بمعنى أن الكون يفيض عن المطلق من خلال مراتب متتالية. فالمطلق فاض منه كائن ثان، قد يُسمى (العقل) أو (المبدع الأول) أو غيره، ومنه انبثق كائن ثالث هو (النفس) أو (العقل الثالث)، ومنه انبثقت النفوس البشرية[٧]. وتتعدد المراتب وتتغير أسماؤها بحسب المعتقد والفلسفة ولغة أهلها. وتستند نظرة أفلوطين الماورائية

---

(١) هو: الفيلسوف محمد بن محمد بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، وهو من كبار فلاسفة المسلمين، تركي الأصل. وألف أكثر كتبه في بغداد، يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. عُرف بالمعلم الثاني لشرحه لمؤلفات أرسطو (المعلم الأول).
انظر: الأعلام، الزركلي، ٧/ ٢٠.

(٢) هو: الفيلسوف الطبيب الحسين بن عبد الله بن سينا، عُرف باسم الفيلسوف الرئيس، وهو من الباطنيين. أصله من بلخ وولد في إحدى قرى بخارى، وصنف الكثير من الكتب في مجالات مختلفة؛ في الطب والفلسفة والطبيعيات والرياضيات.
انظر: الأعلام، الزركلي، ٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٣) انظر: في سبيل موسوعة فلسفية، مصطفى غالب، ١/ ٣، ٦٢/ ١٠٣.

(٤) إخوان الصفا: هي جماعة باطنية سرّيّة فلسفية، ظهرت في البصرة في القرن الرابع الهجري. تتصف فلسفتهم بالتلفيق من العلوم والأديان والفلسفات المختلفة. ألفوا ما يقارب من اثنتين وخمسين رسالة أطلق عليها (رسائل إخوان الصفا).
انظر: تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون، عمر فرّوخ، ص٣٧٧ وما بعدها، وموسوعة الفِرَق والمذاهب في العالم الإسلامي، مجموعة من المؤلفين، ص٧٩٩.

(٥) انظر: إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية، محمد حسن مهدي، ص١٤٥.

(٦) انظر: شرح حكمة الإشراق، شمس الدين شهرزوري، ٢/ ٦٣ وما بعدها، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، أحمد جلي، ص٣١٤.

(٧) انظر: إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية، محمد حسن مهدي، ص١٤٢ ـ ١٤٣.

الغيبية إلى ما يوصف بالثالوث الأقنومي (أو طبقات الوجود الثلاث)، حيث ينبعث كل شيء وينشأ من (الواحد) باعتباره الحقيقة المطلقة، ويعرف بأنه الأقنوم الأول أو المبدأ الأول (أو الحقيقة الكامنة في الأساس). والأقنوم الثاني هو العقل أو الفكر، والثالث هو الروح أو النفس. فالواحد يطوي نفسه على داخل ذاته وينبعث منه العقل أو الفكر، ومن العقل تنبعث النفس (الروح الكونية) والتي تُعد القوة الخلاقة التي تُشكل العالم المحسوس، وتمد الأشياء كلها بطاقة الحياة. كما تعمل النفس على شخصنة ذاتها بطريقة غامضة وتصبح أرواحًا بشرية[١]. والعلاقة بين هذه الموجودات وبين المبدأ الأول ليست علاقة خلق وإيجاد، بل علاقة فيض وصدور، بمعنى أن المبدأ الأول فاض منه العقل الكلي، ومن العقل الكلي صدرت النفس الكلية، ثم العالم المادي من النفس الكلية[٢].

وقد صرّح الثيوصوفيون بعقيدة الفيض، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «تعتبر الثيوصوفيا البشرية فيضًا من اللاهوت على درب عودتها إلى منبعها». وتقول: «جذر الطبيعة كلها، موضوعية وذاتية، وكل شيء آخر في الكون، مرئيًّا كان أو غير مرئي، كائن وكان وسيكون أبدًا (جوهرًا مطلقًا واحدًا ـ One Absolute Essence)، يبدأ منه كل شيء وإليه يعود». وتوضح الكيفية فتقول: «سواء بالإشعاع أو بالفيض ـ لن نختلف على المصطلحات ـ يخرج الكون من ذاتيَّته المتجانسة ليبلغ المرتبة الأولى للتجلي، وهو يشتمل على حدِّ ما تم تعليمنا، على سبع مرتبات. ومع كلِّ مرتبة يصير أكثف، وأكثر ماديَّة حتى يبلغ مرتبتنا هذه»[٣].

وتؤكد (بلافاتسكي ـ Blavatsky) أن عقيدة الفيض مختلفة عن عقيدة الخلق التي يؤمن بها أتباع الديانات فتقول: «ما هو ليس شخصًا لا يقدر على الخلق والتدبير والتفكير»، فـ«على الخالق لكي يخلق أن يصبح فعَّالًا، ولمّا كان هذا

---

(١) انظر: تراثنا الروحي، سهيل بشروني ومرداد مسعودي، ص١٧٠.

(٢) انظر: فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ص٤٤، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، أحمد جلي، ص٣١٤.

(٣) كل النصوص الثلاثة من: The Key To Theosophy, Blavatsky, 31, 58, 146.

مستحيلًا على المطلق؛ كان لا بدَّ من تمثيل المبدأ اللانهائي بوصفه علَّة التطور وليس علَّة الخلق»[1]، فباعتقادهم أنه من خلال المطلق يتجلى الكون والإنسان؛ فـ«بدفق إلٰهي ذاتي من المطلق... تحدث موجات واهتزازات، تبدأ بالتكاثف شيئًا فشيئًا، وبذلك تبدأ التعيُّنات والتجلِّيات الكونية»[2].

فالاعتقاد بالفيض بحسب الفكر الباطني عامة والفكر الثيوصوفي خاصة هو سلب لصفات الربوبية عمن يضعونه في موضع الألوهية، مما يوضح لنا مدى تخبط الثيوصوفيين وغموض قضية (الألوهية) في فكرهم وضلالهم عن حقيقتها.

---

(١) كلا النصين من: The Key To Theosophy, Blavatsky, 42-43, 75.

(٢) دراسات ثيوصوفية، جهاد إلياس الشيخ، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

المطلب الثالث

الاعتقاد بـ(وَحدة الوجود ـ Pantheism)

الاعتقاد بوحدة الوجود من أبرز معالم الفكر الباطني قديمه وحديثه، في كثير من صوره وأشكاله. ومصطلح (وحدة الوجود) مكون من لفظي (الوحدة) و(الوجود). والوَحْدَة في اللغة أصلها: وَحَدَ وهو يدل على الانفراد[١]، «ومتوحد؛ أي: منفرد»[٢]، والواحد: المنفرد الذي لا نظير له ولا مِثل[٣].

والوجود ضد العدم، وهو مصدر أصله: وَجَدَ[٤]، و«وُجِدُ الشيء عن عدم، فهو موجود»[٥]. أما تصور الوجود فهو «أمر يُدرك بالبديهة، ولا تزيده التعريفات الموضوعة له إلا غموضًا؛ لأن معناه أعرف عند الناس من جميع تعريفاته»[٦].

و(وحدة الوجود) في الفكر الباطني وفلسفاته يدل على الاعتقاد بأن الوجود

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ٩٠.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٣/٤٤٨.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ٩١، والمرجع السابق، ٣/ ٤٤٨.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص٢، ١٠١٣.

(٥) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ٤٤٦.

(٦) عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، أحمد القصَيِّر، ص٢٨.

شيء واحد، باختلاف تصوراته وتسمياته، فهو (مطلق)، أو (كلي واحد)، أو (عقل كلي)، أو (وعي كامل)، أو (طاقة كونية)[١]، أو (قوة عظمى)، وأن كل ما سواه يعد مظهر من مظاهره، أو تجل له وفيض صادر عنه، فليس في الوجود غيره. فهو اعتقاد يوحد بين المطلق والعالم، ويجعلهما شيئًا واحدًا ووجودًا واحدًا، فكل شيء هو هذا المطلق، والمطلق هو الموجود الحق ولا موجود سواه[٢]. وهذه العقيدة هي أصل أديان الشرق بتلوناتها الكثيرة وبأسمائها المتنوعة؛ الهندوسية والطاوية والبوذية وغيرها، وهي ذات الفكر الذي تبناه كثير من فلاسفة اليونان والغنوصية. وهذه العقيدة معروفة بضلالها عند علماء المسلمين، إلا أن من يتبناها من المسلمين يجعل (الله) هو عين الوجود، وكل ما سواه ليس إلا هو، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا[٣].

ويتفرع عن القول بوحدة الوجود عدة صور يمكن تلخيصها في صورتين أساسيتين:

الأولى: إنّ الموجود الحق هو المُطلق (أو الإله عند من يؤمن بإله)، وأن العالم ليس إلا مظهرًا لذلك الوجود.

والثانية: إنّ العالم هو الموجود الحق، وأن المُطلق (أو الإله عند من يؤمن بإله) ليس سوى مجموع الأشياء الموجودة في العالم[٤]، وليس هناك وجود سواه.

ويترتب على هذه الفلسفة كثير من التصورات والاعتقادات الفلسفية الباطلة، ومنها:

١ ـ نفي الوجود الحقيقي للكائنات والعالم:

حيث يرى المنتسبون لهذا الرأي أن الكائنات وكل ما في العالم ليس له وجود حقيقي منفصل قائم بذاته، بل ليس وجوده إلا وهمًا وخيالًا يتصوره العقل ويتشكل في الوعي، وأن الموجود على الحقيقة هو المطلق الأبدي أو (الإله عند

---

(١) يأتي التعريف بها في الفصل الرابع، صرف الناس عن التوجه لله ﷻ وإفراده بالعبودية.
(٢) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/٥٦٩.
(٣) انظر: المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة، فوز كردي، ص١٥ ـ ١٦.
(٤) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/٥٦٩.

من يؤمن بوجود الإلٰه)، وأن هذا المطلق يستوعب الكون كله، بمعنى أنه هو الكل في الكل، وأن العالم كله واحد[١]. ويظهر هذا التصور جليًا في الاعتقاد الثيوصوفي، الذي يعتمد على أن كل ما سوى (الحقيقة الواحدة) يُعد وهمًا وزيفًا عابرًا[٢]، وهو مبني على أصول الثيوصوفيا الهندوسية، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «في الفلسفة الهندية وحده اللانهائي والأبدي يُسمى حقيقيًا، أما كل ما هو عرضة للتغير والتمايز، وله بداية ونهاية يُعتبر وهمًا»[٣]. وبناء على ذلك «يسمى الكون بكل ما فيه (وهمًا ـ Maya)[٤]؛ لأن كل ما فيه مؤقت...»[٥]، ويكون العالم الحق هو «العالم الذي نجد فيه جذر الوعي، ذلك الجذر الذي يتخطى الوهم ويقيم في الأبدية»[٦].

٢ ـ اعتقاد أن العالم هو عين وجود (الوجود الأول):

فالعالم بناء على هذا الرأي موجود على الحقيقة لا الخيال، ولكن ليس له حقيقة بذاته، بل يكوّن مع المطلق أو الإلٰه حقيقة واحدة[٧]، بمعنى أن وجود الكائنات هو عين وجود المطلق، ليس وجودها غيره ولا شيئًا سواه ألبتة[٨]. وفي أقوال الثيوصوفيين تصريح بهذا الاعتقاد، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «تعلِّم العقيدة السرية وحدة كلِّ (النفوس ـ Souls) مع (النفس الكلِّية ـ Universal Over-Soul)»[٩].

---

(١) انظر: فلسفة وحدة الوجود، حسن الفاتح قريب الله، ص١٦، وعقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، أحمد القصَيِّر، ص٢٩.

(٢) انظر: The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1,100, 120.

(٣) The Key To Theosophy, Blavatsky, 230.

(٤) (مايا ـ Maya): كلمة سنسكريتية تعبر عن حالة وهم، بمعنى الغطاء الذي يحجب الحقيقة، والمظاهر والظواهر التي تقابلها. انظر:
The Dictionary of Philosophy, Dagobert D. Runes, 191.

(٥) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 238.

(٦) The Key To Theosophy, Blavatsky, 122.

(٧) انظر: فلسفة وحدة الوجود، حسن الفاتح قريب الله، ص١٧، وعقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، أحمد القصَيِّر، ص٣٠.

(٨) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢/ ١٤٠.

(٩) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 38.

٣ ـ اعتقاد أن الكائنات هي مظاهر وتجليات لـ(الوجود الأول):

فالعالم ليس إلا مظهرًا من مظاهر المطلق الذي يتجلى ويظهر بصور الموجودات وأشكالها المختلفة. فهو عندهم الظاهر في جميع المظاهر، لا على معنى أنه يتحد أو يحل في المخلوق، بل على معنى أن هذه الكائنات هي نفسه، ولكن بما أنّه مطلق لا اسم له ولا صفة، فهو يظهر في صور الكائنات المختلفة[١]. وفي أدبيات الثيوصوفي تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «المؤمن بوحدة الوجود هو: من يعرّف (الإله ـ God) بالطبيعة والطبيعة بالإله. فإن اعتبرنا (الإله ـ Deity) مبدأ لا نهائيًا وكلي الوجود... بالتالي تكون الطبيعة ببساطة الجانب المادي للإله، أو جسد الإله»[٢]. ويقول (أفيرينوس ـ Avghérinos) «ليس في الكون إلا علم مطلق واحد بكلّ شيء، وعقل مطلق واحد لا يتجزأ، ويسطع في كلّ ذرة أو نقطة لا متناهية الصغر من نقاط الكون، ويدعوه الناس فراغًا باعتباره بمعزل عن كلّ ما يحتوي. وقد يكون هذا سرًّا مستعصيًا على الفهم الظاهري للأشياء، لكنه في الواقع حقيقة اختبارية في الفلسفة الباطنية»[٣].

٤ ـ اعتقاد أن العالم والكائنات جزء من الوجود الأول (Panentheism):

بمعنى: أن المطلق أو الإله أكبر من الكون ويتجاوزه، وأن الكون فيه. وهي محاولة للجمع بين الاعتقاد بوجود إله وبين وحدة الوجود[٤].

وبغض النظر عن صور وتنوع هذه الاعتقادات فنتيجتها واحدة وهي: إنكار كون الله تعالى بائنًا عن خلقه.

وبالنظر إلى أصول الثيوصوفي التي استمدت منها الثيوصوفيا عقيدتها، نجد أن عقيدة وحدة الوجود من أبرز العقائد فيها، ففي الهندوسية تظهر عقيدة وحدة الوجود جلية؛ في الرؤية التي توحد بين الإنسان والمطلق (أو بين أتمان

---

(١) انظر: عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، أحمد القصَيِّر، ص٣١.

(٢) The Key To Theosophy, Blavatsky, 237.

(٣) الحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org (بتصرف).

(٤) انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 557.

وبراهمان)[١]، فـ«بحسب الأوبانيشاد فإن القوة العظمى (براهمان) التي تمنح الكون طاقته، والطاقة الروحية (أتمان)[٢] هما شيء واحد، في نهاية المطاف»[٣]. ويمكن أن يندرج هذا القول تحت الاعتقاد بأن العالم هو عين الوجود الأول. وتميل نصوص أخرى في الأوبانيشاد إلى القول بنفي العالم ونبذ الواقع[٤]، حيث تذهب إلى أن البراهمان هو الحقيقة التي تحقق لكل حقيقة وجودها. وقد «نجم عن هذه الفكرة أن لا يكون في الوجود حقيقة أخرى غير هذا الجوهر الحال في كل جزئية من جزئيات الكون، وأن الطبيعة ليست إلا زيفًا حائلًا، وأن كل كائن تنمو أحقيته أو باطليته بقدر ما يشتمل على ذلك الجوهر الأزلي كثرة وقلة»[٥].

والاعتقاد بوحدة الوجود في الثيوصوفيا يقوم على فكرة رئيسة هي: أن الحقيقة واحدة والوجود الحق واحد، هو المطلق الذي يُعتبر كل الوجود، وأن كل ما سواه وهمٌ أو تجلٍ له. فيندرج اعتقاد الثيوصوفيا بالوحدة ضمن القول بأن العالم وهم أو مظاهر للمطلق، فـ«الوجود كله شيء واحد. وهذا الشيء الواحد يسمى بأسماء مختلفة؛ الحياة الواحدة، والحقيقة الواحدة. وهو مصدر الوجود وكل الموجودات، وفي الحقيقة هو في كل شيء وهو كل شيء، فلا شيء سواه»[٦]. ويندرج تارة أخرى تحت القول بأن العالم هو عين الوجود الأول، يقول (جهاد إلياس الشيخ)[٧]: «الإنسان (عالم صغير ـ Microcosm)، لا يختلف

---

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٥٦.

(٢) أتمان: كلمة سنسكريتية تدل على جوهر الفرد في مقابل جوهر الوجود (براهمان)، وهو الذات أو الأنا أو النفس الإنسانية، وهو مبدأ متعال يسكن في جميع الكائنات، وهو طاقة كونية يقيم في العقل والعقل لا يعرفه، ويوجد ما بعد عالم الحواس. ولا يصل إلى الأتمان ويجده في داخله إلا الحكيم الذي يسعى للخلود.
انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٣١، الهامش، والفلسفة في الهند، علي زيعور، ص١٣٤، ١٣٥، ١٦١.

(٣) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ص٢٨.

(٤) انظر: الفلسفة في الهند، علي زيعور، ص١٣٦.

(٥) الفلسفة الشرقية، محمد غلاب، ص١٠٦.

(٦) Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, 13.

(٧) هو كاتب باطني، له عدة كتابات حول الدراسات الثيوصوفية في موقع معابر: www.maaber.org.

في جوهره عن (العالم الأكبر ـ Macrocosm)؛ فكل ما هو موجود في (الكون ـ Cosmos) موجود في الإنسان»[١]. كما يندرج في بعض الأحيان ضمن الاعتقاد بأن الكائنات تعد مظاهر وتجليات للمصدر الأول كما سبق بيانه.

والحقيقة «أن تصور مذهب هؤلاء كاف في بيان فساده ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة، بل وهم أيضًا لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه، ولهذا يتناقضون كثيرًا في قولهم، وإنما يتخيلون شيئًا ويقولونه أو يتبعونه، ولهذا قد افترقوا بينهم على فِرَق، ولا يهتدون إلى التمييز بين فرقهم، مع استشعارهم أنهم مفترقون»[٢].

(١) دراسات ثيوصوفية، جهاد إلياس الشيخ، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢/ ١٣٨.

المطلب الرابع

الاعتقاد بـ(الاتحاد ـ Union) و(الحلول ـ Incarnation)

الاتحاد في اللغة: مصدر وحد، ومعناه: أن يصير المتعدد واحدًا، يقال: اتُّحد الشيئان أو الأشياء: صارت شيئًا واحدًا[1].

والحلول في اللغة: النزول، وأصلها حلَّ يحلُّ أي: نزل بالمكان[2]. «وأحَلَّهُ: أنزَلَهُ»[3].

والاتحاد في الفلسفة هو: «تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعدًا»[4]، وقيل: «الاتحاد امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا»[5].

ويقوم الاعتقاد في الفكر الباطني على عقيدة الخلاص الذاتي القائمة على

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٢/١٠١٦.
(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١١/١٦٣، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٩٨٦.
(٣) مختار الصحاح، الرازي، ص٧٩.
(٤) التعريفات، الجرجاني، ص٨.
(٥) المرجع السابق، ص٩، وانظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/٣٤.

تحرير الروح الحبيسة في الجسد المادي والعالم المادي، لتعود إلى العالم النوراني الذي صدرت عنه وتتحد بالألوهية اتحادًا جوهريًا. ويُعد هذا بلوغ الإنسان للكمال[١]. وبحسب هذه العقيدة يُعتبر سبب العذاب هو تكرار التناسخ المؤدي إلى انحباس الروح في الجسد والمادة، وغاية النفس التحرر منه. ويتحقق الخلاص الذاتي عبر الوصول إلى الحكمة أو المعارف العليا عوضًا عن انتظار مخلص من الخارج[٢].

أما الحلول فيُطلق على معنيين:

أولها: الحلول السرياني: وهو «عبارة عن اتحاد الجسمين، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر؛ كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالًا والمسري فيه محلًا».

وثانيها: الحلول الجواري: وهو «عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفًا للآخر، كحلول الماء في الكوز»[٣].

و(الحلول ـ Incarnation) في الفلسفة يقوم على الاعتقاد بأن «كائنًا إلٰهيًا يتلبس جسمًا ماديًا ويظهر من خلاله»[٤].

ويختلف الاتحاد والحلول عن وحدة الوجود في المقدمة من حيث الاعتراف بوجود ثنائية، هي: العالم والكائنات من جانب، والمطلق أو الإلٰه من جانب آخر، إلا أنهما يتفقان معها في النتيجة وهي: أن نتيجة التعدد في الحلول والاتحاد تصبح واحدة، فـ«الكثرة صارت وحدة»[٥]، وكأنهما شكل أو صورة أخرى لوحدة الوجود. فتتفق المعتقدات الثلاثة في القول بالوحدة والمزج

---

(١) انظر: الوجه الآخر للمسيح، فراس سواح، ص٦٦، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الغنوصية)، عبد الوهاب المسيري، متاح على: www.elmessiri.com.

(٢) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 37.

(٣) كلا المعنيين الأول والثاني: التعريفات، الجرجاني، ص٩٢.

(٤) A Dictionary of Religion and Ethics, Shailer Mathews and Gerald Birney Smith, 219, وانظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص٧٦.

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، ٤/ ١٠.
وقد أُطلق على القائلين بعقيدة وحدة الوجود لفظا (الاتحادية) و(الحلولية). انظر: المرجع السابق، ٤/ ٩، ١٦.

والتسوية بين المطلق (أو الإلٰه عند من يؤمن به) والعالم، كما أنها كلها مفضية إلى القول بنفي الإلٰه وتأليه البشر.

والقول بالاتحاد والحلول (النظرة الثنائية) ـ برغم خطورته ـ إلا أنه أقل كفرًا من القول بوحدة الوجود؛ فهو يعترف بوجودين أحدهما الخالق أو المطلق، والآخر هو المخلوق أو الكائن[١].

والاتحاد عقيدة ظاهرة في أصول الفكر الثيوصوفي، فما يُطلق عليه (موكشا) في الهندوسية و(نِرفانا) في البوذية ما هو إلا حقيقة الوصول إلى الاتحاد. وتصوّر نصوص الأوبانيشاد الهندوسية الإنسان الحقيقي على أنه ذاك الذي يعمل للاتحاد أو الذوبان في اللانهائي، وأن الغاية القصوى للفيلسوف الهندي هي اجتثاث رغباته وقتل شهواته، للاتحاد مع براهمان أو فناء الذات الفردية في الأنا الشاملة. بمعنى تحقيق الاتحاد بين الجوهرين: جوهر الفرد (الأتمان) وجوهر الوجود (براهمان) عبر ممارسة الرياضات والتأمل والمعرفة والتخلي[٢].

ولا تخرج الثيوصوفيا عن أصولها في العقائد الأساسية؛ فالاتحاد هو الغاية النهائية والهدف الأسمى الذي يصبو إليه الثيوصوفي، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «على الإنسان والروح أن يفوزا بخلودهما بالارتقاء نحو الوحدة التي سيبلغانها ويستغرقان فيها». وتقول: «النفس الظامئة إلى الاجتماع من جديد مع روحها، التي وحدها تهبها الخلود، ينبغي أن تتطهَّر عبر ارتحالات دورية صعودًا نحو أرض النعيم والراحة الأبدية الوحيدة المسماة في الزوهار (قصر العشق)، وفي ديانة الهندوس (موكشا)، وبين أهل الغنوص (استغراق النور الأبدي)، وعند البوذيين (نِرفانا). وكل هذه الحالات وقتية وليست أبدية»[٣].

وتؤكد على أن المراد دمج الإثنين في الواحد[٤]. وتشرح الحالة التي يتحقق فيها الاتحاد بقولها: «بوسع الذات الروحانية العليا أن تتصل بالجوهر الإلٰهي في

(١) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، ٤/٩.
(٢) انظر: الفلسفة في الهند، علي زيعور، ص٤٩، ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٣) كلا النصين من: The Key To Theosophy, Blavatsky, 70, 76.
(٤) انظر: The Voice of The Silence, Blavatsky, fragment 3, from: www.theosociety.org.

حالة (وَجْد ـ Ecstacy)، وهو تحرر العقل من وعيه المحدود، ليصبح واحدًا مع (اللامتناهي ـ Infinite) ومتحدًا معه. وهذه هي أسمى الأحوال لكنها ليست دائمة، ولا يبلغها إلا قلة قليلة. وهي تتماثل مع الحالة التي تُعرف في الهند باسم (سمادهي ـ Samadhi)، التي يزاولها ممارسو اليوجا بدنيًا عن طريق التقشف في الطعام والشراب، وعقليًا عن طريق السعي المتواصل لتنقية العقل والسمو به، من خلال التأمل الذي يُعد الصلاة الصامتة غير المنطوقة»[١]. و(سمادهي ـ Samadhi): كلمة سنسكريتية تُطلق في الهند على الوجد الروحي، وهي حالة من الغيبة الكاملة للوعي، تنجم عن وسائل التركيز الصوفي، وتوصل ممارسها إلى المعارف العقلية العليا[٢]. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «إننا نعتقد بالوصال مع أبينا الذي في السر...، وفي لحظات نادرة من النعيم الوجدي بمزج روحنا العليا ـ المنجذبة نحو أصلها ومركزها ـ بالجوهر الكوني في حالة تدعى إبان الحياة بـ(سمادهي ـ Samadhi)، وبعد الموت بـ(نِرفانا ـ Nirvana)»[٣].

وعن الحلول ومكانه في أصول الفكر الثيوصوفي، فهو يتمثل في عقيدة (الأفتار) الهندوسية[٤]، التي تعبر عنها (بلافاتسكي ـ Blavatsky) بقولها: «يوجد نوعان من الأفتار: أحدهما وُلد من امرأة، والآخر ليس لديه أبوان»[٥]. وتتمثل عقيدة الحلول في الثيوصوفيا في الاعتقاد بالمعلم العالمي (كرِشنامرتي) الذي اعتُبر تجسيدًا للكينونة[٦]. كما تتمثل في الاعتقاد بالألوهية بشكل عام، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «إلٰهنا ليس في فردوس، ولا في شجرة، أو بناء، أو جبل معيَّن: إنه في كل مكان، في كل ذرة من ذرات الكون المرئي وغير المرئي على حدٍّ سواء، في، وفوق، وحول كل ذرة غير مرئية وكل جزيء قابل للانقسام...»[٧].

---

(١) The Key To Theosophy, Blavatsky, 8.

(٢) انظر: Ibid, 241, And A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 117.

(٣) The Key To Theosophy, Blavatsky, 48.

(٤) راجع: الفصل الثاني، الهندوسية.

(٥) Ibid, 207.

(٦) راجع: الفصل الأول، نشأة الفكر الثيوصوفي وتاريخه.

(٧) Ibid, 44.

هذا؛ وإن القول بالحلول والسعي إلى الاتحاد مع اعتقاد أن الوحدة قائمة بالأصل هو من تخبط الباطنيين وتناقضهم، فالأصل أنّ القائلين بوحدة الوجود يرفضون عقيدتي الاتحاد والحلول المعتمدة على ثنائية الوجود، «ولهذا من سماهم حلولية ـ أو قال: هم قائلون بالحلول ـ رأوه محجوبًا عن معرفة قولهم، خارجًا عن الدخول إلى باطن أمرهم؛ لأن من قال: إن الله يحل في المخلوقات فقد قال بأن المحل غير الحال، وهذا تثنية عندهم، وإثبات لموجودين؛ أحدهما وجود الحق الحال، والثاني وجود المخلوق المحل. وهم لا يقرون بإثبات وجودين البتة»[1]. ولكن المنهج الباطني الذي يتميز بالتلفيق بين المتناقضات جمع بين عقيدة وحدة الوجود وعقيدتي الاتحاد والحلول، فجزأ الوحدة إلى عدة كائنات تتحد وتنفصل[2]، وركز على اعتبار نسبية الحقيقة، وجعل السبيل إلى معرفتها هو التجربة الباطنية الخاصة.

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، ٤/٩.

(٢) انظر: المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة، فوز كردي، ص١٦.

المبحث الثاني

حقيقة (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: (ألوهية الثيوصوفيا) غامضة مجهولة.

المطلب الثاني: (ألوهية الثيوصوفيا) عدمية سلبية.

المطلب الأول

(ألوهية الثيوصوفيا) غامضة مجهولة

المعرفة اليقينية عن الغيب وعما وراء الشهادة من أهم ما ينشده الإنسان ويسعى إليه في رحلة بحثه عن الحقيقة، ومن أهمها معرفة الإله الحقّ الذي تدل عليه بدايه العقول، وتنادي به الفطرة التي فطر الله الناس عليه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]، وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النمل: ٦٠، ٦١]. ولكن المعرفة الفطرية والدلالات العقلية لا توصل في هذه القضية (الألوهية) إلا إلى معرفة مجملة، قد تؤدي إلى طيش العقول وانحراف الفطر وغياب الحقيقة، قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ

صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

فالوحي - كما هو معلوم - هو الطريق الوحيد الموصل إلى معرفة حقيقة مقام الألوهية، بعيدًا عن النظرة التجريديَّة المحضة التي تجعل الإلٰه مفهومًا معنويًّا مجرّدًا أو فكرة مطلقة، لا يدلّ عليها وصف، ولا يدرك لها واقع، وبعيدًا أيضًا عن النظرة الماديّة التي تُجسّد الإلٰه وتشبهه بالمخلوقات. وقد ساق الله المعرفة الصحيحة بالإلٰه الحق إلى الناس مع وجود أول البشر، نبي الله آدم عليه السلام، وتتابعت من بعده قرون على الإيمان، ولم يتخبط الناس إلا عندما كفروا بالوحي، فتخبطوا في درك الاعتقاد الباطل الذي تقودهم إليه عقولهم وخيالاتهم ويزينه لهم الشيطان؛ فعبدوا الأشجار والأحجار والحيوانات وما سمّوه قوى الطبيعة، ظنًّا منهم أنها آلهة مؤثّرة فيهم[١]! وانبرى الفلاسفة عبر التاريخ للوصول إلى الحقيقة في هذه القضية المهمة؛ فمنهم من عجز وحار، وكابر وعاند، وارتكس في إلحاد تام[٢]، ومنهم من وقف حائرًا لم يستطع تجاهل فطرته وعقله، ولكنه لم يهتد إلى الحق بوسائله وطرقه في المعرفة، ومن هؤلاء من سمّوا أنفسهم مؤمنين أو تأليهيين[٣]! ولا يخرج عن هؤلاء فلاسفة الباطنية عبر التاريخ،

---

(١) انظر: دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، ص٧٩، وأصول الإيمان بالغيب وآثاره، فوز كردي، ص٢٣٠.

(٢) لتفصيل أنواع ذلك وأمثلته انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمٰن بدوي، ١/ ٢١٩، والإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص١١٥.

(٣) المذهب التأليهي (Deism) مشتق من لفظة (Deus) اللاتينية بمعنى إله، وأصحابه باطنيون يؤمنون بوجود كائن كلي هو سبب هذا الكون، مع إنكارهم للإلٰه الذي تخبر به الديانات السماوية.

انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١/ ٢٣١، والإلحاد في الغرب، رمسيس عوض، ص١١٦،

And Encyclopedia Britannica (Deism), from: www.global.Britannica.com.

الذين يؤمنون بغيب يفسرونه بخيالاتهم وظنونهم، ثم يحاولون التلفيق بينه وبين ما وُجد في النصوص التي يؤمنون بها.

وضمن هذا السياق الفلسفي تندرج عقائد الثيوصوفيا التي تتصف بالغموض والجهل، ابتداء من افتقارها إلى المصطلحات الثابتة والمحددة للدلالة على عقائدها الغيبية، وانتهاء إلى استعصاء فهم حقيقتها[١]. فهناك اختلاف وخلط وتناقض في تسمية المبادئ وبيان حقيقتها بين الثيوصوفيين أنفسهم. وقد بينت (بلافاتسكي ـ Blavatsky) أن سبب الخلط هو استخدام الثيوصوفيين للألفاظ السنسكريتية للدلالة على الغيبيات دون ترجمتها إلى الإنجليزية، وحاولت بالتالي أن تترجم بعض المصطلحات ترجمة حرفية إلى الإنجليزية لتفادي اللبس، ولم تصل إلى وضوح وبيان فعادت إلى استعمال الألفاظ الشرقية[٢]، ويُبرر ذلك بأنه ظاهر لا يهم، وأن الحقيقة تكمن في باطن كل إنسان، يقول (الشيخ): «لا تهم هنا الأسماء؛ لأن بعض الثيوصوفيين يستعملون أسماء بوذية أو هندوسية، وحتى صوفية مسيحية أو إسلامية»[٣]. والحق أنَّ غموض حقيقة (الألوهية) عند الثيوصوفيا، واستخدام مصطلحات دينية مختلفة للدلالة عليها، ثم تأويل معانيها لتوافق معتقدات أهل كل دين ألبس على القوم أنفسهم، وجعلهم يُلبسون على الناس أديانهم، وقد يكون هذا مقصودًا في الفكر الباطني ومنهجه، فـ(بلافاتسكي ـ Blavatsky) تصف الإله بـ(المطلق المجهول) بقولها: «الكون هو المظهر الدوري للجوهر المطلق المجهول»[٤].

والمتبع للعقائد الباطنية، يجد أن الغموض والتناقض والخلاف أصل فيها، وهو أمر لا يقلقهم كثيرًا لما يبررونه لأنفسهم من نسبية الحقائق.

والعجب أن تحاول (بلافاتسكي ـ Blavatsky) إنكار وجود خلاف حقيقي في تسمية العقائد الغيبية بعد اعترافها بوجوده، وتفسر التناقض الذي يعتريها بأنه خلاف نظري، وأن الحقيقة الخالدة المطلقة الواحدة تكمن في باطن كل

---

(١) راجع: صفات الوجود المطلق الغامضة الذي يعتقد الثيوصوفيون بأنه أصل الكون: الفصل الثالث، الاعتقاد بوجود مطلق.

(٢) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 115- 118.

(٣) دراسات ثيوصوفية، جهاد إلياس الشيخ، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٤) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 238.

إنسان[١]. ويعترف (أفيبيرينوس ـ Avghérinos) بالغموض الذي يكتنف العقائد الثيوصوفية بقوله: «يعلِّمنا المنقول الباطني بأن العلَّة الحقيقية للوجود ككل، تبقى مستترة أبدًا، وعصيَّة على العاقلة البشرية»، و«الإنسان في قصوره عن تكوين أيِّ مفهوم بغير لغة الظواهر المحسوسة، عاجز عن رفع النقاب الذي يحجب عنه سرَّ الألوهة في سذاجته المطلقة، وحدها الروح المنعتقة تستطيع أن تدرِك طبيعة المصدر الذي عنه انبثقت، وإليه تعود»، ويقول: «يتعذر تذهُّن شيء لا علَّة له، ومحاولة القيام بذلك تبلغ بالفكر أقصى تخومه الممكنة حتى فراغه التام من كلِّ الموضوعات. تلكم هي الحال التي يبلغها الذهن أخيرًا عندما يحاول أن يقتفي إلى الوراء سلسلة العلل والمعلولات»[٢]. ولو عقِل الثيوصوفيون و(أفيبيرينوس ـ Avghérinos) نفسه مبدأ (تعذّر تذهن أو تعقّل ما لا علّة له)، لأراحوا عقولهم من عناء هذا البحث والفلسفة التي لا طائل وراءها إلا التخبط والتناقض والحيرة التي بلغوها، ولكنهم بعد أن أنكروا وجود الله ﷻ، ورفضوا الوحي المعصوم، لجؤوا إلى محاولة معرفة الغيب بعقلهم أو حدسهم، فتخيلوا وجود إلٰه آخر أو مطلق، وعظّموا أمره وهم لم يعرفوه! فأين هذا الغموض والجهل من الوضوح والبيان الذي يميز قضية (الألوهية) في العقيدة الإسلامية الصحيحة؟

وهكذا نجد أن (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي غامضة مجهولة، لم تزدها محاولات الإيضاح والبيان من قبل أصحابه إلا غموضًا وتناقضًا، ولا عجب فـ«المعرفة صفة العبد وفعله، والتعريف فعل الرب وتوفيقه»[٣] ومن لم يتبع نور الوحي تخبط في أنواع الضلالات.

وكما أن (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي مجهولة لا حقيقة لها، وغامضة ملتبسة، فهي كذلك في حقيقتها سلبية عدمية تعود إلى كفر وإلحاد، لا توحيد وإيمان. والمطلب الثاني يوضح هذا الجانب ويبينه.

---

(١) انظر: The Key To Theosophy, Blavatsky, 115- 116.

(٢) كل النصوص الثلاثة من: الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيبيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ٣/ ٣٤١.

المطلب الثاني

(ألوهية الثيوصوفيا) عدمية سلبية

من أهمّ المعارف المتعلّقة بالألوهيّة العلم بأنّ الله ﷻ واحد، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ۝١٩﴾ [محمد: ١٩] ولهذا كانت دعوة الرسل جميعهم متوجهة إلى هذا ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

ووحدانيّة الله ﷻ صفة ذاتيّة له، ليست بجعل جاعل[1]، وإثباتها له على الحقيقة يتطلّب معرفة صحيحة بصفات ربوبيّته، وما تستلزمه من إفراده بالعبادة، وقد فصّل الله ﷻ لعباده المؤمنين هذه المعرفة بما أرسل به رسله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

وكثير من الفلاسفة وغيرهم عبر التاريخ آمنوا بالإلٰه الواحد بدلالة الفطرة

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد السفاريني الحنبلي، ١/٥٧.

والعقل، إلّا أنّ أكثر هؤلاء ما عرفوا حقيقة معنى (الألوهية) ومقتضيات التوحيد، وتخبطوا بعقولهم بين الاعتقاد بالمطلق الغامض، والقول بوحدة الوجود، وفلسفات الحلول والاتحاد كما سبق بيانه. وفلاسفة الباطنية ومنهم الثيوصوفيين من أضلّ البشر في هذا الباب؛ لرفضهم الوحي مصدرًا للمعرفة، وطريقًا أوحدَ لكشف حقيقة الغيب، ولهذا تظهر عقيدة (الألوهية) في الأدبيات الثيوصوفية عقيدة عدمية تُنكِر وجود الله تعالى، أو تعتبره وجودًا ذهنيًا أوجده عقل الإنسان المحدود بتصوراته القاصرة. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «نحن نرفض فكرة إلٰه شخصي أو مفارق للكون أو مجسّم موصوف»[١]، وتوضح حقيقة الألوهية في الثيوصوفيا بأنها «لا ترفض الإلٰه بوصفه الكينونة المطلقة والمجردة، ولكنها ترفض قبول أيٍّ من آلهة الأديان التوحيدية، الآلهة التي أنشأها الإنسان على صورته وشكله»[٢]. يقول (أفيرينوس ـ Avghérinos): يذهب الثيوصوفيون إلى أن «الله ليس موجودًا لأنه عدم محض، (لا شيء؛ أي: No-thing)»[٣].

فالإلٰه في الثيوصوفيا مُعطّل عن صفات الربوبية؛ فلا ملك، ولا غنى، ولا خلق، ولا رزق، فالموجود الأول الذي يفيض منه كل شيء لا ذات له ولا صفات، ولا وجود له إلا في أذهانهم، وهو ـ بتعبيرهم ـ كل الوجود، ولا علاقة له بأي شيء موجود. كما أنه غير مستحق للعبادة، فما الإنسان إلا إلٰه متجسد! فما حاجته إلى دعاء غيره أو الصلاة إليه؟ فهو مستغنٍ عن الإلٰه الخارجي. ولذلك يعلن الثيوصوفي أن غايته السعي إلى التناغم والاتحاد بالمطلق الموجود في أعماق الإنسان، وليس الخضوع له ونيل رضاه. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «الإلٰه الوحيد الذي علينا أن نعترف به ونصلي إليه، أو بالأحرى نعمل للانسجام معه، هو روح الإلٰه الذي يشكل جسدنا هيكلًا لها، والتي تقيم فيه». ولا عجب من عدم تعبدهم له، فتصورهم له عدم وسلب، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): إنه «تجريد محض»[٤]، فـ«هو مُجرد من جميع

---

(١) The Key To Theosophy, Blavatsky, 42.

(٢) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 3.

(٣) الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٤) كلا النصين من: The Key To Theosophy, Blavatsky, 45, 48.

الصفات بكل تأكيد، وفي جوهره لا علاقة له بالوجود المتجلي المتناهي»[1].

وقد كان لهذا المفهوم المشوّه للألوهية آثار ونتائج كثيرة على المعرفة الإنسانية بعامة، عبر كتابات الباطنيين أنفسهم، وعبر ما تسلل من تطبيقات هذا الفكر لغيرهم تحت ستار التأويل الباطني للنصوص وغيره، والفصل الرابع يعرض هذه الآثار وينقد هذه العقائد في ضوء العقيدة الإسلامية.

(١) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 35- 36.

الفصل الرابع

آثار الفكر الثيوصوفي وموقف الإسلام منه

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: آثار الفكر الثيوصوفي.

المبحث الثاني: موقف الإسلام من الفكر الثيوصوفي.

المبحث الأول

آثار الفكر الثيوصوفي

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: دعم الفكر الباطني الحديث.

المطلب الثاني: الإسهام في نشر أنواع الإلحاد.

المطلب الثالث: إعطاء معرفة مغلوطة عن الإنسان والكون.

المطلب الرابع: صرف الناس عن التوجه لله ﷻ وإفراده بالعبودية.

المطلب الخامس: القول بنسبية الحقيقة.

توطئة

كان لجمعية الثيوصوفي منذ ظهورها في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي أثر كبير في المجتمع الأمريكي، فقد أسهمت في التمكين للفكر الباطني، وتأصيل وجوده في البنية الثقافية الغربية، وهدم بقايا الهوية الدينية هناك. وما لبثت أن امتدت آثار الفكر الثيوصوفي وتجاوزت موطن الجمعية الأصلي ليصل إلى أوروبا والهند. إلا أن صيت الجمعية ومؤسسيها خفت بعد ذلك ـ كما سبق بيانه ـ ولم يعد لها أثر حركي مشهود على المجتمع، مع بقاء كيانها المؤسسي في مقرها الرئيس في كاليفورنيا، ومقرها في أديار بالهند[١].

واحتضن الفكر الثيوصوفي حركات روحانية باطنية جديدة، ومنظمات فكرية جديدة[٢]، عكفَت على دراسته من المصادر الكثيرة التي أنتجتها الجمعية، التي تشرح الفلسفة وتروج لمضامينها الباطنية، وتقرّب المفاهيم الهندوسية والبوذية للثقافة الغربية، وتبينها باللغة الإنجليزية. فانتشر الفكر الثيوصوفي عبر برامج هذه الحركات الجديدة إلى العالم أجمع، ومنه العالم الإسلامي، حتى تسلل إلى بلادنا ونشر سمومه بين صفوفنا بأشكال خفية متلونة.

وفيما يلي عرض لأبرز الآثار التي خلفها هذا الفكر، والتي لا تزال تزداد بيننا إذا لم ينتبه إليها أهل العقيدة والدعوة، وإذا لم يقوموا بدورهم في مواجهتها.

(١) انظر: History of The Theosophical Soceity, From: www.theosociety.org.

(٢) انظر: Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 81- 83.

المطلب الأول

دعم الفكر الباطني الحديث

جمعية الثيوصوفي قامت وتأسست على أساس الفلسفة والمعرفة الباطنية؛ فقد تبنت الفكر الباطني، وانتهجت للوصول إلى المعرفة المناهج الباطنية، إلا أن مجاهرة روادها الصريحة بالعداء للدين، والتعبير الواضح عن ذلك والدعوة إلى نبذه، وهو التعبير الذي مارسته مؤسِستها الأولى (هِلنا بلافاتسكي ـ Helena Blavatsky) كان له أثر كبير في تصدي الكنيسة الكاثوليكية، ومجابهتها للحركة وفكرها، وصدود عامة الناس عن الاستماع لها؛ فاقتصرت مناشطها على فئات محدودة. لكن جهود مؤسسيها، ونتاجها الباطني الغزير باللغة الإنجليزية كان له أثر كبير في دعم الفكر الباطني في العصر الحديث بعد ذلك، وتمثل ذلك فيما يلي:

أولًا: دعم الحركات الروحانية الباطنية في العالم:

تشكّلت في الغرب حركات روحانية جديدة، تأسست على الفكر الثيوصوفي، وأسهم كبار الثيوصوفيين في إنشائها ودعمها، وتولت مهمة نشر الفكر الباطني وتعاليمه[1]. ولكنها تتّبع منهج الباطنية في نشر الفكر عبر تطبيقات

(١) انظر: New Age and Neopagan Religions in America, Sarah M. Pike, 53, 59.

وممارسات حياتية، تُجاري الناس في اعتقاداتهم ومصطلحاتهم، فلا تصرّح بالعقائد الباطنية، ولا تعتمد المصطلحات الهندوسية والبوذية في بدايات دعوتها. وإنما تُزاحم العقائد الموجودة، وتُلفّق بينها وبين الفلسفة الجديدة. وكان لمنهج المزاحمة والتلفيق أثره في نجاح نشر الفكر، حتى بين أهل الديانات السماوية؛ افتتانًا بظاهره التطويري وأسمائه البراقة وغفلة عن حقيقته الباطنية. وكان من أبرز الحركات الروحانية الباطنية الجديدة (**حركة العصر الجديد - New Age Movement**)[١]، التي نشأت في ستينات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وأحدثت نموًّا مفاجئًا في الفكر الباطني، والترويج للغيبيات السحرية، وممارسات الفلسفات الشرقية[٢].

ويمكن اعتبار الحركة صورة جديدة لجمعية الثيوصوفي؛ تأسست على أصولها ومبادئها، وأكملت مشوارها، ومثّلت المعبر العالمي للفكر الثيوصوفي الباطني الانتقائي الملفق إلى العالم أجمع، والذي كان هدف (بلافاتسكي - Blavatsky) الأول.

وتُعد الحركة اليوم مظلّة ضخمة لعدد من الأفراد والجماعات، بل ولحركات يشترك أفرادها في الأهداف والقيم القائمة على عقائد الفلسفات الباطنية الشرقية؛ كعقيدة وحدة الوجود، وتأليه طبيعة الإنسان الداخلية، وغيرها من الفلسفات الباطنية[٣].

---

(١) لمعرفة تفاصيل مهمة عن الحركة وتطبيقاتها انظر: كتاب «حركة العصر الجديد، دراسة لجذور الحركة وفكرها العقدي ومخاطرها على الأمة» للدكتورة فوز عبد اللطيف كردي، التي كانت أول من تنبه إلى غزو هذا الفكر للعالم الإسلامي، وكتبت فيه مقالات عدة ومؤلفات طُبع بعضها، ونُشر الآخر على موقعها الإلكتروني: الفكر العقدي الوافد ومنهجية التعامل معه www.alfowz.com، وكتاب: «حركة العصر الجديد، مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها» للدكتورة هيفاء ناصر الرشيد، الذي يعد مرجعًا مهمًّا شاملًا عن الحركة وتطبيقاتها باللغة العربية.

(٢) انظر: Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 70,
والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، هيفاء الرشيد، ص٢٨٢.

(٣) انظر: Mystics and Messiahs, Philip Jenkins, 71, and New Age and Neopagan Religions in America, Sarah M. Pike, 24, 68,
وحركة العصر الجديد، هيفاء الرشيد، ص٥٥، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، هيفاء الرشيد، ص٢٨٦ ـ ٢٨٨.

وقد أثرت تطبيقات الحركة في دعم التوجهات الباطنية في العالم الإسلامي، فاستبشرت بها الفرق الصوفية، والشيعية، وأصحاب الفكر الباطني المتنسبون للإسلام، حيث أمدّتهم بتطبيقات جديدة، تسعى لتقرّب بين معتقداتهم وبين الدين والعلم؛ عبر التأويل الباطني وأساليب من الخداع والتلبيس لم تكن معروفة لدى الفرق الباطنية في العالم الإسلامي[١].

ثانيًا: إعلاء شأن الفلاسفة الباطنيين وإبرازهم كمعلمين للبشرية:

إن النتاج الفكري الثيوصوفي باللغة الإنجليزية الذي أنتجته الجمعية من كتب ومقالات ومواقع إلكترونية يزخر بشرح العقائد السرية، ويدعو إليها ملبَّسة بظاهر الألفاظ الدينية وباطن العقيدة الإلحادية، ويبرز مكانة السادة والمعلمين الروحانيين من الثيوصوفيين خاصة، والباطنيين عامة الذين لهم القدرة على كشف الأسرار، وتذليلها للناس، وقيادة البشرية التي نضجت إلى لب الأديان بعيدًا عن قشورها المتمثلة في معتقدات الديانات التقليدية (السماوية). ومن أبرز (المعلمين الروحانيين) المعاصرين: (أوشو ـ Osho) [١٩٣١ ـ ١٩٩٠م]، وهو فيلسوف هندي، ومعلم روحاني باطني، يحارب الأديان السماوية، ويُعد أحد كبار الملحدين الروحانيين في العصر الحديث[٢]، و(ديباك شوبرا ـ Deepak Chopra)، وهو طبيب أمريكي من أصل هندي، يذهب إلى أن منشأ الشفاء والمرض هو الفكر.

وقد أصبح لهؤلاء (المعلمين) وغيرهم شهرتهم الذائعة، ليس فقط في

(١) وهو أمر ملحوظ لمتابع تطبيقات الحركة في المجتمع المسلم وانتماءات كثير من مدربيها، وإن كان الأمر بحاجة إلى دراسة استقصائية إحصائية تتبعه وتكشف أبعاده.
انظر: حركة العصر الجديد، هيفاء الرشيد، ص٨ ـ ٩.

(٢) له عدد من الأسماء، كان (أوشو) آخرها وأشهرها، روجت لمعتقداته الكفرية عبر العديد من وسائل الإعلام واحدة من أبرز دعاة الباطنية في العالم العربي: (مريم نور)، وهي لبنانية أسست في لبنان مؤسسة (بيت السلام) التي تخصصت في نشر الفكر الباطني، والترويج لتطبيقات العصر الجديد وتعاليم (أوشو).
انظر: الموقع الرسمي لأوشو: www.osho.com، والموقع الرسمي لمريم نور: www.mariamnour.com، وحكمة أوشو، فرج المطري، متاح على معابر: www.maaber.org.

العالم الغربي وإنما في العالم الإسلامي كذلك، فلهم شعبية عريضة تنادي بأفكارهم، وتترجم نتاجهم، وتستضيفهم كمعلمين روحانيين للبشرية بزعم أنهم يقدمون نتاجًا فكريًا إنسانيًا عامًا[١].

ثالثًا: التقليل من دور العقل في المعرفة:

لما كانت الثيوصوفيا ترى أن المعرفة الحقيقية هي التي يصل إليها الإنسان في حالات التأمل الباطني، فقد دعت كذلك إلى إلغاء العقل وعدم الاحتكام إليه، وتغييب دوره في المنع والتفكر الذي هو نعمة الله على الإنسان. والحقائق التي يدّعيها الباطنيون الجدد على اختلاف أشكالهم ومذاهبهم، لا وسيلة إلى بلوغها إلا بتغييب العقل، يقول (أوشو ـ Osho): «اللاعقل حكمة بسيطة، لكنها تعني التنور والتحرر من كل الشوائب والعيوب، اللا عقل هي تجربة اللا موت، تجربة الخلود الأبدي». ويقول: «حين يكون العقل غير مرتبط بمهمة ما، غير فعّال، تصبح أنت جزءًا من (العقل الكوني)، من عقل الوجود الشامل، ومتى تصبح واحدًا من العقل الشمولي للكون، يتحول عقلك إلى خادم مطيع لك. لقد تعرّف إلى السيد ـ أنت ـ وتعلّم شيئًا جديدًا من خلال اتصاله بالعقل الشمولي»[٢].

رابعًا: نشر المصطلحات الدينية الشرقية والطقوس على أنها تراث إنساني محايد:

دأب الثيوصوفيون في نتاجهم الفكري على استخدام المصطلحات الدينية الشرقية، حتى أصبحت ألفاظ (الكارما، النِرفانا، البوذا، اليوجا، الغورو. . . .) وغيرها ألفاظًا شائعة الاستخدام، معروفة لدى عامة الناس في المجتمع الغربي ابتداء، ثم في العالم الإسلامي، ولم تُنشر على أنها عقائد شرقية، وإنما بالشكل الذي أراد له الثيوصوفيون أن ينتشر، فاعتُبرت الكارما حقيقة كونية، والنِرفانا حالة روحية، واليوجا رياضة بدنية، والغورو مرشدًا روحيًا، وهكذا دخلت العقائد الباطنية، وتسللت إلى حياة الناس تدريجيًا لإلفهم للفلسفة الشرقية،

(١) انظر: حركة العصر الجديد، هيفاء الرشيد، ص٥٨.

(٢) كلا النصين من: أسرار الحياة، أوشو، ص١٩٤ ـ ١٥٠.

وانجذابهم لممارسة تطبيقاتها التي هي أصل الثيوصوفيا ومنبعها[١].

خامسًا: الدعوة إلى التنوير والخلاص:

المعرفة الجديدة التي تدعو إليها الثيوصوفيا وأتباعها هي معرفة التنوير والخلاص من إسار المعتقدات (الدينية)، يقول (أوشو ـ Osho): «إذا استمريت متعلقًا بالماضي، فهذا يعني أنه لن تكون قادرًا على رؤية ما هو جديد؛ لأن غشاوة سميكة تغطي عينيك وتمنعك من رؤية ما يستجد أمامك. إنها الصورة ذاتها، فيما هناك آلاف الصور الجديدة. استمرارنا هكذا يعني افتقادنا للحياة»[٢]. وقد كانت المعرفة الباطنية طريقًا من طرق الإلحاد في التيارات الباطنية فيما قبل نشأة جمعية الثيوصوفي، وإنما كان دور الثيوصوفي بارزًا في تعميمها، ودعوة الجميع لممارستها، وتبني التدريب عليها فيما بعد، عبر تطبيقات حركة العصر الجديد الباطنية.

---

(١) انظر على سبيل المثال: كتاب «الكارما في الإسلام»، لنايف الجهني.

(٢) أسرار الحياة، أوشو، ص٢٧.

المطلب الثاني

الإسهام في نشر أنواع الإلحاد

الإلحاد توجه فكري عقدي خطير، تتنوع أشكاله بين: إلحاد مادّي، يتمثّل في إنكار كل غيب، والقول بأنّ الوجود مادة. وإلحاد روحاني، ينكر وجود الله تعالى كما أخبرت به الرسل، مع الإيمان بغيب باطل لم يُثبت بالوحي؛ كالاعتقاد بوجود مطلق أو قوىٰ غيبية أو غير ذلك مما تم تفصيله في ثنايا البحث. فكل إنكار لوجود الله تعالى الحقيقي، أو إنكار لصفة من صفاته كما عرّف بنفسه وعرفه نبيه ﷺ فهو إلحاد على الحقيقة، ولا يخرج عن مسمى الإلحاد من يؤمن بأي قوة غيبية يعتقدها أو طاغوت يعبده من دون الله[1].

---

(١) تكررت في بعض الكتابات الباطنية تسمية من يعتقد بالغيب ـ وإن كان باطلاً ـ مؤمنًا، باعتبار مقابلته للماديين المنكرين لكل غيب، وهو مما ينبغي التنبه له عند دراسة المذاهب المعاصرة من منطلقات العقيدة الصحيحة.

انظر مثلًا: The Key to Theosophy, Blavatsky, 43, 182. وانظر إلى كلام أوشو في: كتابه «أسرار الحياة»، فهو يدعو إلى تعليم الناس أن لا يكونوا ملحدين، بناء على اختزاله الإلحاد بالمعنى المادي فقط، وهو في المقابل من أوائل الملحدين بالله تعالى، والداعين إلى عقيدة وحدة الوجود. انظر:

Lifes's Mysteries - Is there such a thing as right or wrong?, Osho, From: oshofriendsinternational.com.

وترجمته: أسرار الحياة، أوشو، ص١٦٠. والترجمة تشمل الكثير من الأخطاء المضللة، واستبدال الألفاظ الكفرية بألفاظ توافق المعتقد الإسلامي.

وبسبب الخلط بين نوعي الإلحاد ظنّ البعض إيمان كثير من الملحدين، وأخذوا بكثير من أقوالهم، وحملوها على ما لا تحتملها تصريحاتهم عند من يعرف حقيقة مقولتهم. والفلاسفة الرّوحانيون يستخدمون المنهج الباطنيّ المضلل الملبس في عرض أفكارهم، وكذا مترجمو فكرهم إلى العربية، فهم يستخدمون اسم الجلالة (الله) للدلالة على الوجود المطلق أو غيره، فيلتبس الأمر على كثير من الناس، وقد يحذّرون في كلامهم من (الإلحاد) وينفونه عن أنفسهم، لكونهم يطلقونه فقط على الإلحاد المادي. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «نحن، في جمعيتنا، نفضّل اللاأدريين، وحتى فاسدي الملاحدة، على المتزمّتين، من أيِّ دين كانوا. فذهن اللاأدري مفتوح أبدًا للحقيقة.... إن خيرة أعضائنا ـ أي: أكثرهم حبًّا بالحقيقة، وأكثرهم إحسانًا، وأصدقهم ـ كانوا، وهم الآن، لاأدريين وملحدين (غير مؤمنين بإله شخصي)»[1]. وقد أسهم الفكر الثيوصوفي في نشر الإلحاد بطرق عدة؛ مباشرة وغير مباشرة، أما المباشرة منها فهي: إنكار وجود الله تعالى صراحة، أو إنكار شيء من أسمائه وصفاته، أو نفي حقيقتها. وأما غير المباشرة فهي: ترويج فكرة الاعتقاد بغيب مغاير لما تدل عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة، وترويج التأويل الباطني للنصوص، لنشر معتقدات الإيمان بالوجود المطلق، ووحدة الوجود، وتأليه الإنسان. وتجمع الثيوصوفيا بين الطريقين وتدمجهما في نشرها لأهم العقائد الملحدة التي تتبناها:

أولًا: عقيدة وحدة الوجود وتلوناتها:

إنكار الوجود الخارجي للإله واعتبار أنه مجرد تصور ذهني، أو قوة غيبية مطلقة، تصور سابق للثيوصوفيا عليه اعتمدت، وعلى أساسه قامت. وقد أسهمت بشكل كبير في نشر هذا الفكر وترويجه لعامة الناس، فكثر الاعتقاد بأن داخل الإنسان كائنًا مقدّسًا، هو الذي يصنع حياة الإنسان وقدَره، وهو ما ينبغي أن يُتوجه إليه؛ مما يفضي إلى الاستغناء عن الخالق وعدم الحاجة إلى التضرّع إليه. وهو ما تصرّح به كتابات (بلافاتسكي ـ Blavatsky) وروّاد حركة العصر الجديد من بعدها. ومن أمثلة ذلك ما تضمنه (كتاب السر ـ The Secret) الذي ينطلق من عقيدة إنكار الإله الحق، والاعتقاد بقِدَم العالم (العقيدة الدهرية)، ولكنه بالترجمة

(١) The Key to Theosophy, Blavatsky, 182.

المضللة أصبح ذائع الصيت في بلاد المسلمين، ولبّس عليهم كثيرًا من المفاهيم الكفرية الدينية.

ويدعو (أوشو ـ Osho) إلى استكشاف الحقيقة بعيدًا عن التدين التقليدي (السماوي) عن طريق المعرفة الباطنية فيقول: «التجربة ستحوّلك كليًّا بحيث أنك لن تحتاج إلى الذهاب إلى الكنيسة، فالوجود كله سيصبح كنيستك، لن تحتاج إلى قراءة الإنجيل، فتغريد الطيور وعبير الزهور وصوت جريان الماء ستمنحك كل الأناجيل التي تحتاجها. وستكون حيّة، لن تكون كلمات ميتة مطبوعة في كتاب، ستكون حية كما أنك حي. وإذا بدأ قلبك بالرقص مع الحياة التي تحيط بك، فما الداعي لأن تكون مسيحيًّا؟ ما الداعي لأن تكون محمديًّا؟ هذه للناس النيام، الذين لم يتذوقوا طعم شيء من الحياة، هذه مجرد ألعاب تُعطى للأطفال ليلعبوا بها، حتى يظلوا مرتبطين ومشغولين، أديانكم ليست للناضجين، إنها طفولية». وهي دعوة واضحة لترك الدين والعقائد، والاعتماد على تأليه الإنسان واستكشاف الحقيقة في داخله يوضحها قوله: «لا وجود للشياطين، مع الإلٰه اختفت جميع الشياطين؛ لأنها كانت ظلالًا لإلهك. بدون الإلٰه لا يمكن للشيطان أن يوجد... في الحقيقة، الشيطان والإلٰه وجهان لعملة واحدة. ولا يوجد إلٰه ولا شيطان، الموجود هو أنت»[١].

ثانيًا: الدعوة إلى وحدة الأديان أو توحيدها:

من الأهداف الرئيسة للثيوصوفيا العمل على وحدة الأديان ـ كما سبق بيانه ـ، وهي تسعى لذلك من خلال القول بأن جميع الأديان تستوي في الباطن، من حيث الاعتقاد بوجود مطلق[٢]، ثم تختلف في تفسير الظاهر لأتباعها لتناسب العامة زمنًا، ففهم الأديان المختلفة تُعد استجابات ظاهرية متنوعة للحقيقة السامية الواحدة[٣]. ويؤكد رواد الثيوصوفيا أنهم أخذوا على عاتقهم كسر الحاجز بين

---

(١) كلا النصين من الحساب الرسمي لأوشو على اليوتيوب:
Osho: There Are No Devils, from: OshoInternational Channel on youtube.

(٢) انظر: Modern Theosophy- An Outline of Its Principles, Claude F. Wright, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.

(٣) انظر: تراثنا الروحي، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص٢٥، ٢٦ (الهامش).

العامة والخاصة، ذلك الحاجز الذي حرم عموم الناس من معرفة الحقيقة عصورًا كثيرة، وأنهم سينشرون الأسرار الكامنة بشكل واسع وسهل لعموم الناس، وإن استمر الاستسرار منهجًا متدرجًا[١]. وحقيقة الفكر الذي تدعو إليه الجمعية ليس هو فقط وحدة الأديان، وإنما توحيدها وصهرها في دين واحد هو الصورة الشرقية وبالأخص الهندوسية، التي يراها الثيوصوفيون أصل دين الحكمة ومنبع جميع الأديان.

ثالثًا: تعزيز النزعة التشكيكية وتهميش الدين:

هذا الأثر ينطلق من فلسفة الثيوصوفي في التطور الكوني الذي يحدث في العالم، وفي وعي الإنسان خصوصًا، فالإنسان في زعمهم قد نضج وعيه في العصر الحديث بشكل كبير، وينبغي له أن يفهم حقيقة الأمور بالمنهج الذي لا يقوم على التلقي، فيبدأ بالشك في كل المعتقدات (غير العقلانية) الموروثة، ليتحرر عقله منها بداية، ويكون مستعدًا للاعتقاد بما قد يضادها أو يناقضها.

وقد ظهرت هذه النزعات التشكيكية في كل شيء: في الوجود والكون والإله والإنسان نفسه، وانتشرت فلسفة أنّ كل ما يراه الإنسان بحواسه إنما هو توهم من وعيه؛ فالوعي الإنساني هو الذي يُظهر الأمور على ما هي عليه، ولكنها غير موجودة في الواقع كما يظنها. وأنّ وعي الإنسان إن تطور إلى مراحل عليا فسيتجلى له عالم آخر، مغاير لما يراه البشر بحواسهم، هو عالم الحقائق في زعمهم. ويتزعم (شوبرا ـ Chopra) من رواد هذا الفكر في العصر الحديث نشر هذه الفلسفة عبر كتاباته ومواقعه التواصلية؛ التي يقرر فيها بأنه لا وجود في الحقيقة سوى للمطلق أو للطاقة، وأن كل ما سوى ذلك وهم، يقول: «الطاقة والمعلومات موجودة في كلّ مكان في الطبيعة. فلا يوجد في الحقيقة أيّ شيء في الكون، سوى الطاقة والمعلومات»، «والكون بمجمله، وفي طبيعته الأساسية، هو تحرّك وتنقّل للطاقة والمعلومات. الفرق الوحيد بين الشجرة وبينك هو محتوى جسد كل منكما من الطاقة والمعلومات»[٢].

---

(١) انظر: حركة العصر الجديد، فوز كردي، ص٢٦.

(٢) كلا النصين من: القوانين الروحانية السبعة للنجاح، ديباك شوبرا، ص٨١ ـ ٨٢ (بتصرف يسير).

ويصرّح (شوبرا ـ Chopra) بأن الشك هو السبيل إلى الإبداع وتحقيق الأماني، وأن حالة الشك هي موطن الإبداع اللامحدود[١]. ويدعو إلى الشك فيقول: «اليوم سأعتبر الشك المادة الأساسية في ممارساتي، وفي عزمي على قبول الشك ستنبثق الحلول تلقائيًا من المشاكل، ومن التشوّش والارتباك، والخلط والبلبلة وعدم التنظيم والفوضى. فكلما ازدادت رؤية الأشياء المشكوك فيها كما تبدو، ازداد شعوري بالأمان؛ لأن الشك هو الممر الذي أعبر منه إلى الحرية. ومن خلال حكمة الشك سأجد الأمان»[٢].

وقد شكك أهل الباطن على مدار العصور بثوابت الدين، ومعجزات الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم، وهو ما تسير الثيوصوفيا والباطنية الحديثة على خطاه، فتُنكر المعجزات وخوارق العادات، وتنكر اختصاص الأنبياء بها؛ لأنها ـ في زعمهم ـ مستوى عالٍ من القدرات الفائقة والقوى التي يمكن لأي بشر تطويرها، وبالتالي الحصول عليها. فالأنبياء ـ بزعمهم ـ ليسوا بشرًا مصطفين، وإنما هم بشر متنورون فائقو التطور، قاموا بتطوير آلاتهم وقواهم. وبالتالي ينكرون على من يقلّد الأنبياء ويتبعهم في طريقتهم أو دينهم؛ لأن على الإنسان ـ في نظرهم ـ أن يصل إلى التنور بنفسه. يقول (أوشو ـ Osho): «إياك والسماح لأحد أن يفرض عليك قواعد ومفاهيم؛ لأن هذه القواعد هي من اختراع أناس، كل همهم السيطرة عليك، وإخضاعك لإرادتهم. لا أنكر أن هناك أناسًا متنورين؛ بوذا، المسيح، كرِشنا[٣]، ومحمد. غير أن هؤلاء ما جاؤوا ليفرضوا مفاهيمهم على الناس، بل لمنح الناس حبًا وعطفًا، وإرشادهم حيث النور الإلٰهي. إنما عاجلًا أم آجلًا، سيخرج مدّعون أنهم أتباع واحد من هؤلاء المتنورين، ويبدؤون برسم طرق يفرضون على الناس سلوكها. في حين أن المتنور الأساسي لم يرسم لك طريقًا، أما من ادّعى أنّه متنور، فيرسم لك طريقًا». «بوذا هو بوذا، وكرِشنا هو كرِشنا، وأنت هو أنت. ولا أحد أفضل

---

(١) انظر: Deepak Chopra on How We Manifest the Universe, from: www.oprah.com.

(٢) القوانين الروحانية السبعة للنجاح، ديباك شوبرا، ص١٠٧.

(٣) هو أحد الآلهة الهندوسية، ويُعتبر تجسيدًا للإله (فيشنو). ويتمثل بأشكال أسطورية عديدة، مثل: محارب، وقاتل تنين، وراعي بقر. انظر:
An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 423.

منك، فاحترم نفسك، احترم الصوت المنبعث من داخلك واتبعه، هذا لا يعني أنه سيأخذك في الاتجاه الصحيح، ولكن معرفة أنّ الوصول إلى المكان الصحيح قد يتطلب تجارب كثيرة تسبقه»[١].

رابعًا: تشويه المعرفة الصحيحة عن الله:

مرّ في الفصل الثالث أن الغموض يكتنف عقائد الثيوصوفيا في الوجود المطلق، ويدل على تناقضهم في فهم العقيدة التي ترتكز عليها فلسفتهم (عقيدة وحدة الوجود)، وقد ازداد (المطلق) غموضًا وتمييعًا لدى الباطنيين الروحانيين الجدد الذين زادوا في أسمائه، وحاولوا أن يلبسوها لبوسًا علمية ونفسية ودينية، فالتبس أمر هذا (المطلق) أكثر. وهم يصرّحون أحيانًا بتناقضهم، يقول أحدهم: «ليس هناك أي فرق فيما نستعمل من أسماء، أو عبارات عندما نشير إلى مصدر المساعدة العجيب، الكلمة ليست الشيء. يمكننا استعمال الأسماء: الله، القوة العليا، الذكاء المطلق، الحقيقة، أو أي اسم ترغب»[٢].

وقد حاول الثيوصوفيون المتأثرون بالديانات السماوية، أو المنتسبون إليها ظاهرًا التقريب بين الاعتقاد (بالإله) الذي جاء وصفه في الأديان السماوية، وبين الاعتقاد بالمطلق، ربما ليقنعوا أنفسهم أو تدليسًا لتجد فلسفتهم قبولًا لدى أصحاب الأديان، فجعلوا (الإله) تجليًا للمطلق منبثقًا عنه، وفسروا ذلك بأن (الإله الذي في السماء) هو الإله الشخصي المناسب لعقلية البشر المحدودة، أما المطلق فهو متجاوز للإدراك البشري. يقول (ليدبيتر ـ Leadbeater): «نحن نميز بين (الإله ـ God) الذي يُعدّ وجودًا نهائيًا وتجليًا لـ(الوجود الأسمى ـ Supreme Existence) باعتباره إلهًا ظاهرًا، يُطوّر ويُوجه الكون. إلى هذا التجلي المحدود ينبغي إطلاق لفظ (الإله الشخصي). أما الإله نفسه فهو يتجاوز حدود الشخصية، هو (في الكل وخلال الكل)، وهو كل شيء بالتأكيد، هو اللانهائي، والمطلق، والكل. يمكننا فقط أن نطلق عليه (هو)»[٣].

وقد مارس الباطنيون الجدد نفس المنهج، فمن عظيم التدليس الذي

---

(١) كلا النصين من: أسرار الحياة، أوشو، ص١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) الإيسوترك، أحمد توفيق حجازي، ص٩٦.

(٣) An Outline of Theosophy, C. W. Leadbeater, 23- 24.

يمارسونه إدخال اسم (الله) ومحاولة دمج العقيدة الإسلامية الصحيحة في سياقهم الباطل؛ كالتعبير عن (الله) تعالى وتعريفه بصفات المطلق السلبية، يقول أحدهم: «(الله) ليس فردًا، أو كيانًا شخصيًا، أو رجلًا يؤلّه، وهو ليس متكاملًا إنسانيًا، ضعيفًا، ولديه عواطف. . .(الله) لا يمكن أن يوصف بمصطلحات شخصية، إنه فوق الشكل. .»، ويقول: «إن الله في طبيعته كائن فوق الوجود المادي، وهو واقع وراء الخبرة والمعرفة، وهو مبهم وغامض تمامًا بالنسبة للإنسان إلى درجة أن الأخير لن يمكنه أبدًا أن يحصل على مفهوم مؤكد للكيان الإلٰهي»[١]. ويوصف الله ـ تعالى الله ـ بأنه «الروح الأعظم وأنه كل شيء؛ وأنه الحقيقة المطلقة، والوجود كله، والسبب الأول غير المخلوق لكل الأشياء، والمصدر الأبدي لكل حياة، والطاقة الإلٰهية الخالقة، التي تنساب خلال الكون»، وأنه «العقل الأسمى، والوعي الكوني العظيم، والذكاء الموجه خلف الكون، والأبدي، والأقوى، والأعظم، والمنتشر، والمتجلي في كل شيء وكل الأشياء هي جزء منه»[٢].

وهكذا يتضح كيف يخلط هؤلاء ويدلسون على الناس بإطلاق صفات المطلق الباطني على الله تعالى، ويخلطون بين الخلق والانبثاق. وبملاحظة ساحات الفكر في عالمنا المعاصر، نجد انتشار ألفاظ الثيوصوفيا الدالة على عقيدة وحدة الوجود بسياقاتها الباطنية، على اختلاف مرجعيات الناس الدينية، فيُستخدم مصطلح (الكينونة)[٣] في مقالات وكتابات تشرحه كفلسفة إسلامية، وكذا مصطلحات (طاقة)[٤]، و(حقل الطاقة الكامنة)، و(الوعي)، نُشرت بمفاهيم تنبع من الفكر الباطني وفلسفاته، وتدعو إلى تطبيقاته في سياقات علمية مدلَّسة. يقول (شوبرا ـ Chopra): «القانون الروحاني الأول للنجاح هو قانون الطاقة الكامنة المحضة. يرتكز هذا القانون على حقيقة وجودنا في حالتنا الأساسيّة،

---

(١) كلا النصين من: الفلسفة الروحية الحديثة، السيد نصار، ص٤٠ ـ ٤١.

(٢) كلا النصين من: المرجع السابق، ص٣٩ (بتصرف يسير).

(٣) انظر: الكينونة المتناغمة، عبد الله حميد الدين، ص١٦٤ ـ ١٦٥.

(٤) انظر: المذاهب الفلسفية الالحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة، فوز كردي، ص٢٥ الهامش، وقد كان مصطلح (طاقة) من أول المصطلحات التي استُخدمت لتسريب الفلسفة الباطنية الحديثة تحت غطاء علمي.

حالة الوعي الخالص الصافي المحض. والوعي الخالص الصافي المحض هو الطاقة الكامنة المحضة؛ فهو حقل جميع الإمكانات والإبداع اللامتناهي. وهو أيضًا جوهر روحانيّتنا»[١]. فيُشير إلى أن (الوعي المحض) هو مصدر الوجود وجوهر روحانية الإنسان، وأنّ الوصول إليه واكتشافه هو النجاح. وهنا يظهر الاعتقاد بتأليه الإنسان؛ لأن جوهره وطبيعته الأساسية (طاقة كامنة محضة) بزعمهم.

ويقول (أوشو ـ Osho): «لا هدف للحياة سوى ذاتها، الحياة هي الاسم الآخر للإلٰه. لكل ما في هذا الكون هدف، وكل ما في هذا الكون إلى زوال، إنما يبقى شيء واحد لا بداية له ولا نهاية، شيء واحد لا هدف له إلا ذاته: سمّه الوجود إن شئت، أو الإلٰه، أو الحياة. ثلاثة أسماء، هي أسماء لحقيقة واحدة، حقيقة وجودك على هذه الأرض، وحقيقة عيشك للحياة. (الإلٰه) هو الاسم الذي أطلقه اللاهوتيون على الحياة، وهو لفظ غير آمن لإمكانية دحضه ومخالفته. وكثيرون هم الذين لا يؤمنون بأي إلٰه، كالشيوعيين[٢]، والبوذيين، والجينيين[٣]، وآلاف المفكرين الملحدين. ولفظ (الإلٰه) لا يمكن الدفاع عنه؛ لأنه كلمة اخترعها الإنسان، ولا دليل أو حجة عليها. وتُعد كلمة فارغة، وتعني جميع ما تريد لها أن تعني»[٤]. أما «الموجود على الحقيقة فهو الكينونة، نحن لدينا أسماء وهويات وأنا، ولكن كلما تعمقنا في داخل ذواتنا، كلما اختفت

---

(١) القوانين الروحانية السبعة للنجاح، ديباك شوبرا، ص١٧ ـ ١٨.

(٢) الشيوعية: مذهب فكري إلحادي، ظهر على يد كارل ماركس اليهودي في القرن التاسع عشر الميلادي، بمساعدة فردريك إنجلز، وهو يعتبر المادة أساس كل شيء، شعاره (لا إلٰه، والحياة مادة)، فيحاول تفسير التاريخ تفسيرًا ماديًا باعتبار أزلية المادة، ويدعو إلى مذهب اقتصادي قائم على شيوع المال وإلغاء الملكية الفردية.
انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٢٥٩، ٢٨١، والمذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب عواجي، ٢/١٠٦٢ ـ ١٠٦٤، ١٠٧٦ ـ ١٠٧٧).

(٣) (الجينية ـ Jainism): إحدى الديانات المحلية في الهند، ظهرت كردة فعل على الهندوسية ومفهومها للألوهية، وقامت على محاولة تحقيق الخلاص بغير حاجة لمساعدة الإلٰه.
انظر: An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, 384-38.

(٤) Life's Mysteries - What is The Aim of Life?, Osho, From: www.oshofriendsinternational.com.

الأسماء، والهويات، والأنا، وبقيت الكينونة»[١].

وهكذا نجد نصوص الباطنيين الملحدين صريحة في إنكار الوجود الخارجي للإله، أما الباطنيون في العالم العربي أو المنتسبون إلى الأديان السماوية فيحف عباراتهم غموض ولبس، لمحاولتهم التلفيق بين هذا الباطل والألوهية الحقة، يقول (أفييرينوس ـ Avghérinos): «يعلِّمنا المنقول الباطني بأن العلَّة الحقيقية للوجود ككل تبقى مستترة أبدًا وعصيَّة على العاقلة البشرية، وبأن أول تجلِّياتها هو أكمل تجريد يستطيع الإنسان أن يتذهَّنه. لذا نفترض أن هذه التجلِّيات هي علَّة الكون المادي؛ منها تتفرع القدرات الثانوية التي تعبَّد الإنسانُ لها، وأسْلَسَ قياده بوصفها (الإله) أو (الآلهة)، بما يتوافق مع روح كلِّ عصر، بعد أن خلع عليها صورة شخصية هي خلاصة مكثفة لاختباره»[٢].

وهكذا تجد منهم من يساويه ـ تعالى عن ذلك ـ بآلهة الوثنيات، أو يقولون أنه ﷻ أحد المراتب الإلٰهية المُنبثقة عن المطلق، فيقول (الشيخ): «لم يكن الناس العاديون يتصورون وجود إلٰه (أعلى) مرتبة من هذا الإله المتجلِّي الذي يدعوه الناس (الله)، ويقدمون له الصلوات والأضاحي! ولم يكونوا يدركون أنه لا توجد في الكون إلا حقيقة واحدة وحيدة، وأنه لا يوجد إلٰه (الله) إلا المطلق... إننا مضطرون لترسيخ فكرة (الله) اللامعروف، اللامتجلِّي، في أذهاننا على الدوام، هذا الإله اللامعروف واللامتجلِّي، الذي فيه يتجذَّر (الله) المتجلِّي بحسب مفهومنا الفكري المحدود»[٣].

وفي كتاب «الفلسفة الروحية الحديثة» ذُكر أن «الإنسان هو جزء من الله، ولكنه ليس كل الله. فالله موجود في كل مخلوقاته، ولكنه أكبر من مجموع أجزائها، ويوجد غير معتمد عليها. إنه موجود في كل أشكال الحياة التي لا تُعد ولا تُحصى في كل مكان في الكون وفي كيانه الواحد في نفس الوقت»[٤].

---

(١) Lifes's Mysteries - What is ego?, Osho, From: oshofriendsinternational.com,
وانظر: أسرار الحياة، أوشو، ص١١٩.

(٢) الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٣) دراسات ثيوصوفية، جهاد إلياس الشيخ، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٤) الفلسفة الروحية الحديثة، السيد نصار، ص٤٠.

ولو أعمل هؤلاء عقولهم لدلتهم على أن الوحي خبر صادق، ومصدر معرفة حق يكشف عن الحقائق الغيبية، وأن عقولهم المجردة لم ولن توصلهم إلى الحقيقة الغيبية، وإنما غاية ما توصلهم إليه هو هذا التخبط والتناقض والحيرة، التي اعتبروها أمرًا إيجابيًا ودليلًا على نسبية الحقيقة التي يعتقدونها! وشتّان بين حقيقة مقام الألوهية لله سبحانه التي يدل عليها الرسل صلوات الله عليهم، وبين القول بوجود مطلق لا وجود له في الحقيقة. فـ(الإله) الحق له صفات الربوبية واستحقاق الألوهية ما لا ينطبق على (المطلق) في المعتقد الإلحادي بحال.

المطلب الثالث

إعطاء معرفة مغلوطة عن الإنسان والكون

الإنسان والكون مخلوقات يمتزج فيها الغيب بالشهادة، وقد وقف العلم التجريبي في موضوعهما على ما يُلحظ في عالم الشهادة، وأعطى الوحي الإنسان معرفة تتجاوز ذلك إلى غيبيات حقيقية كشفت للإنسان ما يعينه منها على تحقيق غايته[١]. والثيوصوفيا ـ كما سبق بيانه ـ لا تعتمد عقلًا صحيحًا، ولا تؤمن بوحي سماوي، وتدّعي أنها تمتلك منهجًا للمعرفة يلغيهما، فكان أن قدمت معارف مغلوطة، زعمت أنها نسبية وحقيقة[٢]، ودعت إلى استكشافها بالمعرفة الباطنية، وفيما يلي أبرز معالمها:

أولًا: القول بـ(الوعي الكلي) ووعي الكائنات:

القول بوعي الكائنات هو صورة تطبيقية لعقيدة وحدة الوجود، ينبثق من

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: أصول الإيمان بالغيب وآثاره، فوز كردي، ص٣٩٣ وما بعدها.

(٢) المقصود بنسبية المعارف هو اعتبارها ظاهرًا ووهمًا يحوي الباطن، الذي هو الحقيقة المطلقة في نظرهم. فحين توصف المعارف بالنسبية فيُقصد ظاهر المعرفة الذي لا ضير من اختلافه، وحين توصف بالحقيقة أو الحقيقة الواحدة فيُقصد بها الباطن الذي تحتضنه التعاليم الباطنية.

الاعتقاد بأن كل شيء في الكون يشتمل على وعي، أو طاقة، تتطور عبر دورات الحياة، بما في ذلك النبات والجماد. وأن مستوى وعي الإنسان ناتج عن تطورات متكررة مر بها، حيث كان في السابق مجرد كائن أثيري[١].

وقد انتشر هذا الاعتقاد في العصر الحديث بترويج الفيلسوف الياباني (مسارو إيموتو ـ Masaru Emoto)[٢] الذي قال بوعي الماء، ثم طرد ذلك على جميع الكائنات. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «كلٌّ ما في الكون... واعٍ؛ أي: أنه مزود بوعي من نوعه، وعلى مستوى إدراكه»[٣]، بل يُعتقد أنه توجد حتى «في حبة الرمل الصغيرة طاقة ووعي كامنان ينزعان للإفصاح عن ذاتهما»[٤]. وبمثله قال (أوشو ـ Osho) مُلبِسًا كلامه لبوس العلم: «اكتشفت الفيزياء الحديثة أهم اكتشاف، أن المادة عبارة عن طاقة. المادة شيء ظاهري فقط، وإلا فهي غير موجودة. ليس هناك شيء صلب، حتى الصخور الصلبة هي طاقة نابضة، وتمتلك من الطاقة ما يوازي طاقة موج المحيط. في الصخرة أمواج تتحرك لا يمكن رؤيتها لأنها دقيقة جدًّا، لكن هذا لا يعني أن الصخرة صلبة، بل هي تتحرك، وتنبض، وتتنفس، هي حية»[٥].

---

(١) الأثير في الرأي الثيوصوفي: هو ما يشكل المستويات العليا المتفرعة من العالم المادي. انظر: A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 48، ودراسات ثيوصوفية، جهاد إلياس الشيخ، متاح على موقع معابر: .www.maaber.org

(٢) (مسارو إيموتو ـ Masaru Emoto): هو كاتب ياباني ورمز من رموز حركة العصر الجديد، ولد عام ١٩٤٣م، اشتهر باهتمامه ببلورات الماء وتأثرها بالأفكار والكلمات، حيث زعم أن لوعي الإنسان وفكره أثرًا على تركيب جزيئات الماء، وقام بتجارب غير علمية لإثبات هذه المزاعم، وأطلق على هذه العملية اسم (هادو ـ Hado). ووُصفت تجاربه بأنها (علم زائف). انظر: Dr.Masaru Emoto, from: www.masaru-emoto.net,
وحركة العصر الجديد، هيفاء الرشيد، ص٣٤٩، ومسارو أوموتو والتلبيس باسم العلم، سامي حبيب، متاح على: .www.sabeily.com

(٣) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 238.

(٤) دراسات ثيوصوفية، جهاد إلياس الشيخ، متاح على موقع معابر: .www.maaber.org

(٥) Lifes's Mysteries - The relationship between consciousness and energy, Osho, From: www.oshofriendsinternational.com.

ثانيًا: تعظيم قدرات الإنسان، وتأليهه:

وهو قول مبناه على اعتبار نفس الإنسان شرارة إلٰهية فاضت من (المطلق ـ Absolute)، وتسعى إلى العودة إليه والاتحاد معه. وبالإمكان تطويرها والعمل على تنميتها حتى تبلغ مستوى عاليًا من الوعي والتطور يُلبسها صفاته، ويجعل لها ذاتًا قُدسية لا تُنسب للبشر.

يقول (أفييرينوس ـ Avghérinos): «على العقول الأولى، حتى تصير (آلهة) كُلِّية الوعي، إذا جاز التعبير، أن تمر بالمرحلة البشرية؛ ذلك أن على كلِّ كيان أن يفوز بحق الألوهية بنفسه عبر خبرته الذاتية»[١]؛ أي: أن البشرية ليست سوى مرحلة ستتطور في مراحل متقدمة لاحقًا لتصبح كائنات أكثر وعيًا. وكذلك الجمادات الحالية وغيرها من الكائنات، ستكون في مرحلة متقدمة أكثر تطورًا وقد تصل إلى مرحلة الإنسانية في يوم ما. وبحسب الفكر الثيوصوفي أن الإنسان عبر تطور وعيه تتكشف له الحِكَمة والمعارف التي لا يراها أصحاب الوعي الأقل مستوى. فـ«الحكمة الإلٰهية التي تكمن في الروح الإنسانية... تتكشف تدريجيًا عبر عملية التطور. إنها (الحكمة الإلٰهية) في داخلنا، التي تثير رغبتنا في اكتشاف من نحن، وفي الإجابة عن الأسئلة الكبرى الأخرى»[٢]. لذلك لا يعتقدون بعقيدة ثابتة مطردة يتم تلقيها من وحي خارجي؛ لأنها تكمن في باطن الإنسان.

ويوصي (أوشو ـ Osho) بأن يبذل كل إنسان جهده من أجل هذا التطور، فيقول: «الجهد الذي تبذله هو كيفية جعل جسدك وعقلك ووعيك يعملون معًا وفق إيقاع واحد، بتناغم عميق، وفي اللحظة التي يعمل فيها هؤلاء الثلاثة معًا، تتحول أنت إلى ثالوث مقدس، هو الإلٰه في تلك التجربة»[٣].

ويؤكد ذلك (شوبرا ـ Chopra) بقوله: «في الحقيقة، إننا القداسة متنكرة ومتخفية. والروحانية التي تتبرعم في داخلنا تصبو لأن تكتمل ماديًا بصورة كاملة.

---

(١) الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٢) Theosophy, John Algeo, 8.

(٣) Lifes's Mysteries - The relationship between consciousness and energy, Osho, From: www.oshofriendsinternational.com

النجاح إذن هو ممارسة المعجزات، وهو تفتح للقدسية داخل نفوسنا، وهو إدراك وفهم للقدسية في أيّ مكان نكون، وفي كل ما نعيه ونفهمه...»[١]. فالإنسان الذي يريدون تعريفه بنفسه هو عندهم ليس بشريًا في أصله، إنما هو صورة للجوهر المقدس، ويحمل صفاته. ويتم نشر وتأكيد هذه الفلسفة في العالم عن طريق تطبيقات الفكر الثيوصوفي ودوراته التي أنتجتها حركة العصر الجديد وروجتها تحت أسماء كثيرة، تحت مظلة التنمية البشرية، وتنمية الإنسان ليكون إلهًا بزعمهم عندما تنطلق قواه الخفية الكامنة.

(١) القوانين الروحانية السبعة للنجاح، ديباك شوبرا، ص١١ (بتصرف يسير).

المطلب الرابع

صرف الناس عن التوجه لله ﷻ وإفراده بالعبودية

من أعظم التدليس الذي تقوم به الحركات الباطنية المعاصرة، والمنبثقة عن فكر الثيوصوفي أو المتأثرة به، تشويش المقصد الخالص لله في العبادات، فأصبحت عبادات كثير من الناس التي يجب أن تكون خالصة لله، موجهة لغيره سبحانه، أو مشوبة بشرك من خلال معتقدات: الطاقة الكونية[1]، أو العقل اللاواعي، أو العقل الباطن[2]،

(١) (الطاقة الكونية ـ Energy of The Universe): مبدأ فلسفي عقدي يُعبر عن عقيدة وحدة الوجود الشرقية، حيث يُعتقد أن الطاقة باختلاف أسمائها وُجدت قبل العالم، وأن العالم ليس إلا مظاهر مختلفة لها، وأنها قوة ممتدة في الوجود. فهي منبثقة عن (الوجود المطلق) بمختلف أسمائه في الفلسفات الشرقية، أو هي الوجود المطلق.
انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، هيفاء الرشيد، ص٢١٩ وما بعدها.

(٢) (العقل اللاواعي أو العقل الباطن ـ Unconscious or Subconscious mind): هو مبدأ فلسفي عقدي، وجد في فلسفة (فرويد) النفسية القائلة بأن العقل اللاواعي هو جزء من العقل يقوم بتخزين الذكريات المكبوتة. ثم تطور مفهومه من خلال (كارل يانج) وغيره، فاعتُبر مخزن الحقائق الكونية والعلوم الغيبية، ومسكن الذات الحقيقية. حتى اعتُبر العقل الباطن: القوة المطلقة الكامنة الداخلية، التي تمد الإنسان بالحقائق الغيبية متى ما نمّاها وطورها، وتحقق له المعجزات، وتخلق واقعه وقدَرَه وشفاءه، وتمكنه من قدرات فوق بشرية. =

أو اللاوعي الجمعي[(١)]، أو العقل الكلي، أو قوة الفكر، أو قوى الكون وغيرها. فصُرفت العبادة لغير الله إما صرفًا كليًا أو جزئيًا، والله ﷻ أغنى الشركاء عن الشرك.

ومن صور هذا الصرف الترويج لما أسموه (قوانين كونية)، زعموا أن معرفتها والوعي بها والسير في منهجها يمكّن الإنسان من استجلاب ما يريد ودفع ما لا يريد، **ومن أبرز هذه القوانين (قانون الجذب)** الذي حقيقته دعوة إلى الاستغناء عن الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، إلى تطبيقات باطنية تتمحور حول الإنسان وقدراته، فتغنيه بنفسه عما سواه. تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky) في حديثها عن الصلاة الدينية: «الصلاة تقتل الاعتماد على النفس»، لما فيها من عبادة الله والتذلل إليه والتوكل عليه، ثم تدعو إلى نوع آخر من الصلاة، تتمحور حول الإنسان وتعظيمه، والاعتماد عليه، تقول عنها: «صلاة الإرادة، وهي أمرٌ داخلي أكثر منه توسلًا»[(٢)]. ويقول (أفييرينوس ـ Avghérinos): «لا تُصلِّ طلبًا، صلِّ وصلًا»[(٣)].

كما نشرت الثيوصوفيا ـ والباطنية الحديثة من بعدها ـ بظاهر دعوتها إلى الحب فقط، وهدم حقيقي لركيزة مهمة من ركائز العبودية وهي الخوف. واعتبرته طاقة سلبية يجب التخلص منها، وسببًا للبلاء والمرض والكارما والتناسخ، وأنه يصرف الإنسان عن معرفة الحقيقة التي لا يُتوصل إليها إلا بالحب الخالص، يقول (أوشو ـ Osho): «لا يُشترط أن يكون عصيان الإله خطيئة، بل يكون أحيانًا أحسن فضيلة. ما الجُرم الذي ارتكبه آدم وحواء بأكلهما من شجرة الخلد؟ إن

= انظر: The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, 388-389، وقوة عقلك الباطن، جوزيف ميرفي، ص١٧، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٦٠، ٦٦.

(١) (اللاوعي الجمعي ـ Collective Unconscious): هو الجزء المشترك بين عقول البشر اللاواعية. ووفقًا لـ(كارل يانج) يحتوي اللاوعي الجمعي على النماذج الأصلية؛ أي: الحقائق، والاستعدادات العقلية العالمية غير المستندة على التجارب. ولا تنشأ هذه النماذج في العالم المادي، بل وجودها مستقل عنه، وتُعرف مباشرة من خلال العقل بشكل عفوي، فتتكشف الحقائق العميقة التي خفيت عن الوعي العادي. انظر: The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, 186-187.

(٢) كلا النصين من: The Key to Theosophy, Blavatsky, 45, 49.

(٣) الحساب الرسمي لديمتري أفييرينوس في شبكة الفيس بوك: Dimitri Avghérinos.

ذلك لا يُعد معصية بل حكمة، إن آدم وحواء هما أول مؤسسَين للحركات الثورية في العالم، ولولا عصيانهما لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه من حضارة وتقدم علمي، بل من يدري فقد كنا ما نزال نسير عراة في جنة عدن، نمضغ الأعشاب لأننا لم نتمكن من التعرف إلى العلكة»[1]، فهو يصور المعصية بصورة الثورة المحمودة على قيد الطاعة دون خوف يشلّها! ولا عجب أن يكون هذا أثرًا للفلسفة الضالة التي لا تعرف مقام الألوهية، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

(١) Lifes's Mysteries - The art of being fully alive, Osho, From: www.oshofriendsinternational.com

المطلب الخامس

القول بنسبية الحقيقة

الدعوة إلى النسبية في الثيوصوفيا تظهر بداية من تعريفها في أدبياتهم؛ حيث يفخر الثيوصوفيون بعدم وجود تعريف محدد ثابت لفلسفتهم؛ لأنهم يرون أن كل شيء يتطور، بما في ذلك المفاهيم. فقد تظهر أشياء مستقبلية تغير من فهمها، وبالتالي في تعريفها. يقول (جدج ـ Judge): «التطور بتقدمه البطيء سيُظهر حقائق وجوانب جديدة عن حقائق قديمة، وبالتالي يُمنع وجود أي عقائد أو تعريفات مطلقة»[1].

ويقول (أوشو ـ Osho): «ليس هناك ما هو خطأ بقدر ما هو صح؛ لأن الذي يصلح لليوم قد لا يصلح غدًا، الصح والخطأ ليسا مفهومين ثابتين لا يتغيران، لذا لا يمكنك تحديد ما هو خطأ وما هو صواب، وكون الناس هم الذين يفعلون ذلك، لذا، فهم يخدعون البشرية بأجمعها»، ويقول: «كما يتغير الزمن، كذلك مفهوم الخطأ والصواب، ويمكنك معرفة ذلك من خلال تجربتك الحياتية. الأشياء تتغير يوميًا، ولا شيء يبقى ثابتًا، والإنسان الذي يعتقد أن

(١) Forum Answers, William Q. Judge, from: www.theosophy.org.

الأشياء ثابتة ولا تتغير هو إنسان ميت، ويفتقر إلى العلاقة مع الأوضاع التي تستجد». ونتيجة هذا القول: يذهبون إلى قبول جميع الآراء وعدم تخطئة أحد، يقول (أوشو ـ Osho): «لا شيء صح، ولا شيء خطأ. إياك والاعتماد على أحد ولا تكن متشبثًا برأيك»[١].

ومن أهم لوازم هذا القول: أن الحقيقة غير محصورة في دين خاص، بل هي توحد بين الأديان، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «لا يوجد دين يملك الحقيقة المطلقة كلها. بل إنها تتكامل، ولا توجد الحقيقة الكاملة إلا في الجمع بين وجهات نظر الجميع، بعد إزالة الزائف من كل منها»[٢]. فالحقيقة تكمن في ذهن الإنسان حسب إدراكه، وقد تتغير في المستقبل. واختلاف الأديان يعود إلى اختلاف نظرة الناس وطباعهم، واحتياجاتهم، ومراحل تطورهم!

---

(١) كل النصوص الثلاثة من: أسرار الحياة، أوشو، ص١٥٩ ـ ١٦٢.

(٢) The Key to Theosophy, Blavatsky, 32 (بتصرف).

المبحث الثاني

موقف الإسلام من الفكر الثيوصوفي

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف الإسلام من مصادر المعرفة الثيوصوفية.

المطلب الثاني: موقف الإسلام من (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي.

المطلب الثالث: محاولات التوفيق بين الفكر الثيوصوفي والإسلام.

توطئة

الثيوصوفيا حركة إلحادية، قامت على أصول الفكر الباطني، ذلك الفكر الذي لم يسلم العالم الإسلامي من خبثه وكيده على مرّ التاريخ. والتتبع التاريخي لامتداد الفكر الباطني في العصر الحديث من خلال نشر قوالبه الجديدة، يبين أن تأثير جمعية الثيوصوفي على العالم الإسلامي لم يكن مباشرًا، فهي نمط جديد من الحركات الباطنية لا تتوجه إلى دين بعينه، وإنما تواجه جميع الديانات السماوية، وقد كان تأثيرها المباشر في أمريكا وأوروبا، وما وصلت إلى العالم الإسلامي إلا متأخرة بعد الانفتاح المعرفي والاتصالاتي الكبير؛ فتكونت مواقع فكرية إلكترونية متخصصة تبث تعاليم الثيوصوفي وتنشر فلسفتها باللغة العربية[١]، وبسياقات تدليسية تستخدم المصطلحات الدينية في الإسلام.

والانتشار الأكبر والأخطر كان من خلال تطبيقات الفكر الثيوصوفي، التي أنتجتها حركة العصر الجديد بشكل تدريبات وعلاجات وممارسات حياتية، روجت لها الحركة عبر مؤسساتها وطوائفها المختلفة وسوقتها بمهارة، حتى وُجد

(١) من أشهرها موقع معابر، الذي أُسس عام ٢٠٠٠م، على يد (أكرم أنطاكي) و(ديمتري أفييرينوس) الذي مرّت نقولاته الثيوصوفية في مباحث هذه الدراسة. يقوم الموقع بعرض وترجمة المنقولات الروحانية والثيوصوفية إلى العربية باعتبار أنها (الحكمة الخالدة). ويسعى إلى نشر المفاهيم الباطنية، مثل الحدس والكشف مقابل العقلانية، والطب الروحاني البديل، وهو في نشره للفكر الباطني الروحاني إلى القارئ العربي يرغب في إيجاد وعي وثقافة جديدة بديلة في العالم العربي. يبرز الموقع شعار الثيوصوفي (لا عقيدة أسمى من الحقيقة) في رأس الموقع. انظر: www.maaber.org.

بين عامة المسلمين (ثيوصوفيون) بأسماء وظاهر ينتمي للإسلام[١]! ومسلمون يطبقون حقيقة الفكر الثيوصوفي وهم لا يدركون أنهم يفعلون هذا! ومن المعلوم أن أخطر غزو يواجه الأمة هو الغزو الفكري الذي يطال هويتها وعقيدتها، ويصرفها عن غايتها، وإذا كان هذا الغزو باطنيًا كان خطره أكبر. وهذه حقيقة الفكر الثيوصوفي؛ إذ أنه يقدّم للعالم: معارف ضالة وعقائد فاسدة ـ كما سبق بيانها ـ متلبسة بالنفع والدين.

ومن هنا كان من المهم ـ وقد عرضت في فصول هذا البحث الفكر الثيوصوفي وعقائده ـ أن يكون ختام البحث وقفة ناقدة تجمع ما تفرق في ثنايا البحث من موقف الإسلام تجاه هذا الفكر ومصادره، وتلخصه وتبرزه ليكون ختامه مسكًا، ويكون عونًا على كشف الحقيقة وبيان الضلالة.

---

(١) فاسم (جهاد الشيخ) وغيره من أسماء بعض كُتَّاب موقع (معابر) على سبيل المثال هي أسماء إسلامية عربية، ولكنها للأسف تُعبر عن شخصيات تنشر الفكر الثيوصوفي والباطني الإلحادي وتدعو إليه.

المطلب الأول

موقف الإسلام من مصادر المعرفة الثيوصوفية

الوصول إلى المعرفة الصحيحة هو أهم مطالب الإنسان في هذه الحياة، إذ عليها تقوم كل أفعاله وتوجهاته، وتتحدد هويته وغايته؛ لذا ساق الله بما أنزل على رسله أهم المعارف وأنفع العلوم التي لا يمكن للإنسان أن يهتدي إليها بنفسه، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣]، وامتنّ على المؤمنين بذلك، فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وأخبرهم بأنه نور لهم وهداية، فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

و«أصل العلم إدراك الشيء على حقيقته، وهو معرفة الشيء على ما هو عليه»[(١)]،

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، ٣/ ١٣٤.

وهذا يعمّ الحقائق التي يُتوصَّل إليها بكلّ طرق المعرفة، وهي نوعان:

أولهما: ما لا يستطيع الإنسان إدراك حقيقته لتعلّقه بعالم الغيب، وهذا ليس من طريق إليه إلا الوحي، الذي يصدّقه العقل بالدلائل المختلفة.

وثانيهما: الحقائق التي يصلها الناس بعقولهم في مراحل تفكيرهم المختلفة، وتجاربهم وملاحِظِهم المطردة بالاختبارات المتكرِّرة، التي لا تختلف بتفاوت الأذواق، ولا تتغيَّر بتغيُّر المصالح(١).

والنوع الأول من العلم يختلف باختلاف عقائد الناس وإيمانهم أو كفرهم بالوحي، كما يتفاوت بحسب مصدر الوحي، ولا يوجد صافيًا محفوظًا إلَّا في مصادر الدين الخاتم، المعتمدة على الكتاب والسُّنَّة، والمراد بهذا العلم: العلم الشرعيّ الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلَّف من العلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره وتنـزيهه عن النقائص، وما أوجب على عباده من أمر دينه في عبادته ومعاملاته(٢)، وإنما يحصل الضلال في هذا النوع من العلم، وهو موضوعنا في قضية (الألوهية) إذا أُخذ من مصادر باطلة، أو من غير أهله، قال ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَكَابِرِهِمْ، فَإِذَا أَتَاهُمُ الْعِلْمُ مِنْ قِبَلِ أَصَاغِرِهِمْ، فَذَلِكَ حِينَ هَلَكُوا**»(٣)، فالعلم بالله وبمقام (الألوهية) لا يؤخذ إلّا من مصدر معصوم، ولا يُلتفت فيه إلى مقالات أهل التأويل الباطني قديمًا وحديثًا فـ«كم نُفي بها من حقّ، وأُثبت بها من باطل، وأُميت بها من سُنَّة، وأُحيي بها من ضلالة! وكم هُدم بها من معقل الإيمان، وعُمر بها من دين الشيطان!»(٤).

أمّا النوع الثاني من العلم: فهو تراث إنسانيّ مشترك، لا يختصّ بعقيدة وفكر، ولا تحتكره أمّة أو حضارة، فقد تشارك في إنتاجه أمم عبر التاريخ، بنت

---

(١) انظر: أصول الإيمان بالغيب وآثاره، فوز كردي، ص٤٥١.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١/١٤٩.

(٣) الزهد، ابن المبارك، ح٨١٥، باب ما جاء في قبض العلم، ١/٢٨١، وقال التويجري: إسناده صحيح على شرط مسلم، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود التويجري، ٢/١٠٥.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن قيم الجوزية، ١/٦٨ (باختصار يسير).

كل أمة على نتاج سابقتها وأضافت وصححت. ومن ذلك الحقائق الجديدة في مجال الطبّ والهندسة والحساب والفلك وغيرها من العلوم، وهذا النوع من العلوم يؤخذ من الشرق والغرب ومن الأوائل والأواخر، إلا أننا ونحن نلحظ نشر العقائد الباطنية ينبغي أن ننتبه لما قد يُظن أنه علم وهو جهل وخرافة، أو عقيدة وفلسفة، وهذا واقع ملموس في نتاج علوم اليونان والصين والهند، وغيرهم ممن تسعى الباطنية العالمية للإيهام والتدليس فيها، ونشر تصوُّراتهم الإلحاديّة ورؤاهم الفلسفية من خلالها، لذلك كان العلماء في كل الأمم يعكفون على فحص الصحيح من المُدلّس، وحماية فكر أمّتهم من العقائد الدخيلة الوافدة معها[1]، وقد كان لعلماء الأمة ممن كانوا على دراية بحقائق نوعي العلم كليهما، دور فاعل في إرشاد الأمة إلى وجوب تمييز الحقيقة العلميّة من الفلسفة العَقَدية، لما عُربت علوم اليونان والهند من طب وفلك وهندسة وغيرها من الحقائق النافعة؛ إضافة إلى السحر والتنجيم والفلسفة وغيرها مما مُزج بها.

قال (ابن تيمية)[2] [٦٦١ ـ ٧٢٨هـ]: إن «من الكلام ما يسمى علمًا وهو جهل، مثل كثير من علوم الفلاسفة وأهل الكلام، والأحاديث الموضوعة، والتقليد الفاسد، وأحكام النجوم. ولهذا رُوي: إنَّ من العلم جهلًا، ومن القول عيًّا ومن البيان سحرًا[3]»[4]. وهذا من أخطر ما أوجدته المناهج الباطنية في العصر الحديث؛ فاختلط الحق بالباطل، وعُرضت الأكاذيب مدلّسة بالحقائق العلمية، ونُشرت الشبه الباطلة على أنها دلالات عقليّة أو نقليّة، مما ينذر بخطر تزييف جوانب المعرفة الإنسانية المشتركة واندراس معالم الحقيقة، وهو أمر أخبر النبي ﷺ بوقوعه في آخر الزمان: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ**

---

(١) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر الأشقر، ص٢٦.

(٢) هو: الفقيه المفسر المحدث، أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي الحنبلي، لقب بشيخ الإسلام، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية. ولد في حران ونبغ في عدة مجالات؛ في الأصول والتفسير والفقه، والفلسفة والمنطق والرد عليها، درّس وأفتى وهو دون العشرين، وصنف ثلاثمئة مجلد في مختلف العلوم. انظر: الأعلام، الزركلي، ١/ ١٤٤.

(٣) لم أجد الحديث بهذا النص في الصحيح، وفي البخاري «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا**»، ح٥١٤٦، كتاب النكاح، باب الخطبة، ٧/ ١٩.

(٤) الاستقامة، ابن تيمية، ٢/ ١٦٠.

وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ»[١]. وللباطنيين اليد الطولى في هذا التزييف، لا سيما وهم يدّعون عبر الزمان أن المعرفة التي يصلون إليها هي الحقيقة المطلقة.

ومن هنا خُصص هذا المطلب لبيان حقيقة هذا الادعاء، وقد سبق في الفصل الثاني من هذا البحث بيان المصادر التي تعتمدها الثيوصوفيا للوصول إلى الحقيقة، وتدعو أتباعها للأخذ بها، وهي: المنقول الباطني في كتب الفيدا الهندوسية والأوبانيشاد، والاستبصار الباطني، والحدس، والاستسرار والتأهيل. ومن خلال معرفة طبيعة هذه المصادر تتبين القيمة المعرفية المستفادة منها، وفيما يلي توضيحها:

أولًا: المنقول الباطني:

وهو المعرفة المنقولة المتوارثة في جميع الحضارات والمذاهب الباطنية، إما في الكتب أو في التعاليم الاستسرارية المتوارثة مشافهة، فالثيوصوفيا تعتمد على تراث يُظن أنه يحتوي على أسرار عُرفت في الحضارات الوثنية القديمة[٢]، ومنه «الكتابات الوثنية القديمة وخاصة الكتب الدينية الهندوسية»[٣]. ومما لا شك فيه أن القيمة المعرفية في هذه الأخبار المنقولة تختلف باختلاف ثبوت صدق المخبر بها، والتحقق من سلامة النقل وغير ذلك. فإذا ثبت هذا كان النقل مصدرًا مهمًّا بلا شك للمعرفة، ولهذا كان الاعتماد على النقل في الإسلام ركنًا رئيسًا لمعرفة الحقيقة فيما يتعلق بالغيبيات خاصة، فهو خبر عالم الغيب والشهادة، الذي تضافرت الأدلة على صحته، وتولى تدقيق أسانيده جهابذة عبر التاريخ، واستفاض خبر صدق وأمانة المبلغ له ﷺ، وعُضّد بالمعجزات من ربه.

قال (الشاطبيّ)[٤] [٧٢٠ ـ ٧٩٠هـ]: «اعلم أن النبي ﷺ مؤيَّد بالعصمة،

---

(١) صحيح البخاري، ح٧٠٦٢، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، ٩/ ٤٨، وصحيح مسلم، ح٦٩٥٦، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ٨/ ٥٨. واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth, Irmhild Horn, 37.

(٣) انظر: Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 44.

(٤) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أحد العلماء الأثبات، فقيه أصولي مفسر محدث متبع للسُّنَّة.
انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، ١/ ٣٣٢.

معضود بالمعجزة الدالّة على صدق ما قال وصحّة ما بيّن»[1]. أما المنقول الباطني الذي تعتمده الثيوصوفيا فنسبته إلى مجاهيل يسمونهم (الحكماء العارفين) أو (الحكماء الأوائل)، ويختلط فيه قليل الحق مع كثير الباطل، ويزخر بالأساطير والكلام الغامض، والتعاليم المتناقضة، ويوصف بأنه «الخزينة المتراكمة من القوانين الروحية المُكتشفة من قِبَل أشخاص مختلفين بأوقات مختلفة»[2]، ولا ترى الثيوصوفيا بأسًا من تناقض ما فيه بل تمدحه وتُقرّه.

ثانيًا: المعرفة الباطنية (الحدس والاستبصار):

وهما مصدران رئيسان للمعرفة في الفكر الثيوصوفي، يعتمدان على الإنسان وقواه المعرفية، ومما لا شك فيه أن للإنسان قوى معرفية زوّده الله ﷻ بها، يسبر بها الحقائق حوله، ومنها قوى مشتركة عامة بين الناس في الغالب؛ كالفطرة والحواس والعقل وإن تفاوتوا في صحتها ومرضها، ومنها قوى وهبية لا تُكتسب برياضة وتعليم، فيجد الإنسان في نفسه معرفة ما أحيانًا لا يعرف مصدرها، وقد توافق الحقيقة وقد لا توافقها، لذا تتفاوت قيمة المعرفة المتلقاة من خلالها بحسب مصدرها؛ فقد تكون وهبية من الله أو تزيينًا من الشيطان.

لذلك كان سلفنا الصالح ومن قبلهم صحابة النبي ﷺ يعرضون ما يجدونه في أنفسهم على الكتاب والسُّنَّة، فإن وافقهما أخذوا بها، وإن عارضهما رموا بها عرض الحائط، فـ«قد ضُمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسُّنَّة، ولم تُضمن لنا العصمة في الكشوف والإلهام»[3]، أما دعوى عصمة أحد من المخلوقات كعصمة الأنبياء فهذا باطل مخالف للعقل والنقل، قال (ابن تيمية): «من اتَّبع ما يرد عليه من الخطاب، أو ما يراه من الأنوار والأشخاص الغيبيَّة، ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسُّنَّة، فإنما يتبع ظنًّا لا يغني من الحقّ شيئًا»[4].

والمعارف الباطنية الثيوصوفية، قامت على دعاوي قداسة حدس وكشف عارفيهم، ودعاوي الصدق المطرد لحدس وكشف كل إنسان، وأن ما يجده في

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي، ص٧٢٢.

(٢) A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, 153.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢/٢٢٦.

(٤) الفرقان بين الحق والباطل، ابن تيمية، ص٩٦.

نفسه هو الحقيقة، وإن خالفت الواقع. وهو باطل يكذبه النقل والعقل والواقع المشهود.

ثالثًا: الاستسرار والتأهيل:

الذي تعتبره الثيوصوفيا مصدرًا لمعرفة عالية، فيقدسون (المهاتما) أو من يسمونهم (أسياد الأخوّة البيضاء العظيمة ـ The Great White Brotherhood)، الذين يعتقدون أنهم يمثلون نُخبة البشر عبر التاريخ من أنبياء وحكماء، وهم على مر الزمان مصدر الكشف والحدس[١]. ولا شك أن دعوى الوصول إلى مراتب روحانية عليا إنما هي دعوى موهومة، لا حقيقة لها، وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف عديدة، ولم يدّعها إلا من في كلامه من الباطل ما لم تقله اليهود ولا النصارى. وعلى مثل هذه الدعاوى قام الاعتقاد بأن النبوة مكتسبة، بل بالغوا في الكذب وادعوا أنهم يأخذون حكمتهم من المصدر الأول بلا واسطة، بينما يأخذ الأنبياء بواسطة الملك، فصار الحكماء أفضل من الأنبياء وهذا باطل وكذب[٢].

ومن هنا تظهر حقيقة القيمة المعرفية المستقاة من هذه المصادر، التي زين لهم الشيطان تسميتها بـ(تراث الحكمة) أو (الحكمة الخالدة)، وحقيقتها (حكمة الشيطان ـ Demonosophy)[٣]. يقول (ميرسن سلون ـ Mersene Sloan)[٤] معلّقًا على المصادر الثيوصوفية: «لا حاجة إلا إلى تأمل قليل لنؤكد التضارب الأحمق... المعتمد عليه في هذه المصادر»[٥].

---

(١) انظر: Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.CatholicCulture.org.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢/٢٢٨.

(٣) انظر: Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E. Sloan, 44.

(٤) هو: كاتب ومُعلم للإنجيل، له عدة كتابات حول النصرانية وفي التحذير من خطر الفكر الشرقي الباطني. ويُعد كتابه «حكمة الشيطان ظهرت في الثيوصوفيا الحديثة ـ Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy» من أهم الكتب التي تصدت للفكر الثيوصوفي وخطره على الديانة النصرانية. انظر: www.amazon.com.

(٥) Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene E.Sloan, 41.

المطلب الثاني

موقف الإسلام من (الألوهية) في الفكر الثيوصوفي

(قضية الألوهية) التي هي أهم قضايا الاعتقاد، مبناها في الشرع على التصور الصحيح للكون والوجود والإنسان، وهو التصور الذي لا يمكن أن يكون صحيحًا مطابقًا للحقيقة إلا إذا كان مصدره الوحي؛ لأن عالم الغيب لا يمكن أن يتوصل إلى تفاصيل الحق فيه بالحواس أو العقل أو غيرها من المصادر.

و(الألوهية) في الفكر الثيوصوفي قضية محورية وإن ضلّوا عن الحق فيها، فالثيوصوفي ملحد روحاني، يؤمن بغيب وراء المادة، ولكنه يرفض تلقي خبره من الرسالات، وقد عرض الفصل الثالث من هذا البحث مفهوم الألوهية وخصائصها في الفكر الثيوصوفي، ويكمّل هذا المطلب الصورة بنقد ما تم عرضه هناك.

ومما تقرر أن الألوهية صفة لمن يُتوجه له، ويُلجأ إليه، وهي حق للإلٰه الحق ﷻ، يُفرد بالألوهية تذللًا وخضوعًا وحبًا، ولهذا كانت «ألوهية الله متفاوتة في القلوب على درجات عظيمة تزيد وتنقص»[1]. فتفاوت الناس في معرفة الإلٰه معرفة صحيحة؛ يجعلهم يتفاوتون في حبهم وخوفهم ورجائهم وتأليههم لربهم،

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢/ ٣٨٤.

ومن ثم يتفاوتون في القيام بمقتضيات العبودية وأداء الطاعات. وكلما كانت المعرفة صحيحة عن صفات الإله وأسمائه كان تأليهه في القلوب أعظم، فـ«توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية... ويوجب ذلك ويقتضيه»[١].

والثيوصوفيا بنت منظومتها الفلسفية حول (قضية الألوهية) على الاعتقاد بوجود غيب، مع جحد بالربوبية، وإنكار للأسماء والصفات، وجهل بمصدر تلقي حقائق الغيب؛ لذلك كان في فلسفتهم ثمة تأله وتأليه، ولكن لمجهولٍ مبهم، لا يستحق الألوهية. فالتأليه لمن يستحق مبناه على المعرفة الصحيحة، والعلم المطابق للحقيقة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال ﷺ: «فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[٢].

فلا بد من معرفة «سالمة من داء التعطيل، ومن داء التمثيل، اللذَين ابتُلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ... متلقاة من الكتاب والسُّنَّة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان»[٣]، وإلا فإنها لن تقود إلا إلى آلهة باطلة. ويعترف (أفييرينوس ـ Avghérinos) بهذا الجهل الثيوصوفي بالإله بقوله: «يعلِّمنا المنقول الباطني بأن العلَّة الحقيقية للوجود ككل، تبقى مستترة أبدًا، وعصيَّة على العاقلة البشرية»[٤]، وما ذلك إلا لأنهم تطلّبوا المعرفة من غير طريقها، فـ«المعرفة صفة العبد وفعله، والتعريف فعل الرب وتوفيقه»[٥]، ومن لم يتبع نور الوحي تخبط في أنواع الضلالات. فبعد اعتراف (أفييرينوس ـ Avghérinos) بالعجز عن معرفة الألوهية، ادعى إمكانية المعرفة عبر التجربة الباطنية لمن حقق الانعتاق والنِرفانا، يقول: «الإنسان، في قصوره عن تكوين أيِّ مفهوم بغير لغة الظواهر المحسوسة، عاجز عن رفع النقاب الذي يحجب عنه سرَّ

---

(١) تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام، عبد العزيز بن باز، ص٣٢.

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري، ح٦١٠١، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ٨/٢٦، وصحيح مسلم، ح٦٢٥٧، كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله وشدة خشيته له، ٧/٩٠.

(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ابن سعدي، ص٧٢.

(٤) الحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، متاح على موقع معابر: www.maaber.org.

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ٣/٣٤١.

الألوهة في سذاجته المطلقة: وحدها الروح المنعتقة تستطيع أن تدرك طبيعة المصدر الذي عنه انبثقت وإليه ستُرجَع»[١].

والإله الحق لا يفتقر إلى صفات يضفيها عليه البشر، فوحدانيّته وفردانيته وصمدانيته صفات ذاتيّة له، ليست بجعل جاعل[٢]، ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]. أما إله الثيوصوفيا فمعطّل عن صفاته، وهو عدم على الحقيقة، يصف (أفيرينوس ـ Avghérinos) عقيدة الثيوصوفيون بقوله: «الله ليس موجودًا لأنه عدم محض، لا شيء؛ أي: No-thing»[٣]، وتقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «نحن نرفض فكرة إله شخصي أو مفارق للكون أو مجسّم موصوف»[٤]، وتوضح حقيقة الألوهية في سياقهم الباطني بقولها أن الثيوصوفيا «لا ترفض الإله بوصفه الكينونة المطلقة والمجردة، ولكنها ترفض قبول أي من آلهة الأديان التوحيدية، الآلهة التي أنشأها الإنسان على صورته وشكله»[٥].

ولما رفضوا الوحي، وتوجهوا إلى نفوسهم غافلين عن حقيقتها وضعفها وإمكان تأثرها بغير الحقيقة؛ أوصلهم حدسهم ومواجيدهم، واتباع ساداتهم ومنقولاتهم الباطنية إلى الجمع بين أشنع مقالات المنحرفين، فجمعوا بين التعطيل والتمثيل في وجود الله سبحانه وفي صفاته. بل زادوا على ذلك، بأن جعلوا وجوده عين وجود خلقه. ونفوا عنه الصفات والذات، بل نفوا عنه الوجود الخارجي المستقل، وجعلوه وجودًا مطلقًا يتجلى في الكائنات. وفي المقابل أضفوا صفاته على بشر فرفعوهم إلى مرتبة الألوهية، فجمعوا بين الشرك والكفر والإلحاد. ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

---

(١) الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: .www.maaber.org

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد السفاريني الحنبلي، ١/٥٧.

(٣) الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفيرينوس، متاح على موقع معابر: .www.maaber.org

(٤) The Key To Theosophy, Blavatsky, 42.

(٥) The Secret Doctrine, Blavatsky, Vol.1, 3.

ولعمري أي إلٰه هذا الذي خرجت به فلسفة الثيوصوفي، إلٰه لا ذات له ولا صفات، مجرّد من لوازم الربوبية، فلا ملك ولا غنى ولا خلق ولا رزق، معطّل الصفات، ولا وجود له إلا في أذهانهم. فتأليههم له، وتعظيمهم، وحبهم، والخبر عنه بأنه إلٰه موجود هو اعتقاد موجود، أما إلههم فمفقود[(١)]، إذ «لا يمكن أن يكون في الموجودات ذات مجردة عن كل صفة، ولا وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص»[(٢)]. ولذلك يعلن الثيوصوفي بعد كل فلسفاته عن (المطلق المتجاوز) أنه لن يعبد، ولن يُصلي إلا لنفسه، فهي ـ بزعمه ـ (الإلٰه الحق)!، تقول (بلافاتسكي ـ Blavatsky): «الإلٰه الوحيد الذي علينا أن نعترف به ونصلي إليه، أو بالأحرى نعمل للانسجام معه، هو روح الإلٰه الذي يشكل جسدنا هيكلًا لها، والتي تقيم فيه»[(٣)].

فالثيوصوفيا لا تتجاوز في وصفها للألوهية صفات سلبية لا تُعرّف بالله ولا توصل إلى عبادته، كما أنها تدعو إلى معرفة حقيقة مقام الألوهية بالرياضات والتأملات، ولا ريب أن المقدمات الباطلة توصل إلى نتائج باطلة. يبين (ابن تيمية) حقيقة ما يصل إليه فلاسفة الباطنية أسلاف الثيوصوفيا فيقول: «**الرياضة والتأله يفضي إلى معرفة بحسب مقتضاه، لكن معرفة مطلقة بسبب قد يثبت وقد يزول، وكثيرًا ما يفضي إلى الاتحاد والحلول والإباحة... فهم إما آلهة عند نفوسهم، وإما زنادقة أو فساق**»[(٤)]. فقد كان الباطنيون على مر التاريخ يعظمون تجريد النفس عن المادة والبدن، بأنواع من الزهد في أغراض البدن لتبقى النفس فارغة؛ فيلقي إليها الشيطان ما يلقيه، ويوهمه أن ذلك من علوم المكاشفات والحقائق، وغايته وجود مطلق هو في الأذهان لا في الأعيان[(٥)].

وهكذا لم يصل الفلاسفة المعرضون عن الوحي عبر التاريخ، والمعتمدون على مواجيدهم وقياس عقولهم إلا إلى أنواع من الزندقة والكفر، وضلّوا عن معرفة الإلٰه الحق وما يقتضيه مقام الألوهية، فالإنسان بدون الإيمان بالله ورسله

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٦/ ٥٧٧.
(٢) المرجع السابق، ٥/ ٣٢٦. (بتصرف يسير).
(٣) The Key To Theosophy, Blavatsky, 48.
(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢/ ٦٤.
(٥) انظر: النبوات، ابن تيمية، ١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤.

لا يمكنه أن ينال معرفة الله، ولا الهداية إليه. ثم إن سالك سبيل المعرفة الذوقية من أين عرف ابتداءً أن سلوك هذا الطريق يُحصِّل له علمًا ومعرفة، فليس معه ابتداء إلا مجردُ إخبار مجاهيل بأنهم سلَكوا هذا الطريق فوصلوا، أو خاطرٌ يقع في قلبه يدفعه إلى سلوك هذا الطريق[١]. وإذا لم يوفق الإنسان في طلبه للحقيقة إلى سلوك الطريق الموصل إليها تخبط أيما تخبط، والثيوصوفيون ـ كغيرهم من الفلاسفة الباطنية ـ جعلوا كمال النفس في مجرد العلم بما بعد الطبيعة، وجعلوا طريقه رياضة وتأملات تستعد بها النفوس للعلم، وتصير عالمًا موازيًا للعالم الموجود. وقد وصلوا بتخبطهم هذا إلى ضلالات وأنواع من الكفر يبينها (ابن تيمية)، ملخصها:

١ ـ اعتقادهم بأن الكمال من مجرد العلم.

٢ ـ ظنهم أن العلم الذي تكمل به النفوس هو علمهم، وكثير منه جهل لا علم، وكفر وخيالات.

٣ ـ عدم معرفتهم للعلم الإلٰهي الذي جاءت به الرسل، وهو العلم الأعلى الذي تكمل به النفس مع العمل بموجبه.

٤ ـ ظنهم بسقوط التكاليف الشرعية، وجواز المحرمات متى ما حصل لهم علمهم الجاهل[٢].

وعند تتبُّع حقيقة تألُّه الباطنيين وتعبُّدهم؛ تجده مزيجًا من شرك وسحر، فهم يؤلهون من يعتقدون له الكمال في القدرة والسلطان والتصرف في الوجود؛ إما بالملك والولاية الظاهرة وإما بالباطن، ولذلك يدخل كثير منهم في طقوس الشرك والسحر، فيعبد الكواكب والأصنام لتعينه الشياطين على مقاصده. وغاية عبوديتهم طلب خوارق العادات؛ ولهذا كان منهم من يُرى طائرًا في الهواء، ومنهم يُرى ماشيًا على الماء، وطائفة منهم تجعل الكمال في مجموع الأمرين فيدخلون في أقوال وأعمال من الشرك والسحر، ليستعينوا بالشياطين على ما يطلبونه من الإخبار بالأمور الغائبة، وعلى ما ينفذ به تصرفهم في العالم. والحق المبين: أن كمال الإنسان في عبادته لله علمًا وعملًا كما أمره ربه، وهؤلاء هم

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢/٦٧، ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢/٩٤ ـ ٩٥.

عباد الله وهم الذي زكوا نفوسهم وكملوها؛ كملوا القوة النظرية العلمية، والقوة الإرادية العملية[١].

ومن إغواء الشيطان وتزيينه لأهل هذه المعتقدات الضالّة وطريقتهم، أنهم على الرغم مما يعيشونه من التخبط في الضلال والحيرة والتناقض يمتدحون هذا الحال، ويسعون إلى ممارسات كثيرة لتغييب عقولهم، فيدخلون في حالات وعي مغيرة تشعرهم بالنشوة وتمدّهم في ضلالاتهم.

وحقيقة طريقتهم هي طريقة مخالفي الرسل من أهل الإلحاد والزندقة وغيرهم، في كل مكان وزمان، حيث أنهم لا يُثبتون إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له عند التحصيل، ويصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل، فيقولون: لا يوصف بالحياة، ولا العلم، ولا القدرة، وليس له كلام يقوم به، إلى أمثال هذه العبارات السلبية التي لا تنطبق إلا على المعدوم. ثمّ قالوا في الإثبات: هو وجود مطلق، أو وجود مقيد بالأمور السلبية[٢]. يقول (ابن تيمية): «منتهاهم أن يثبتوا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له إلا في الذهن، لا في الخارج. وهذا منتهى هؤلاء المتفلسفة ومن سلك سبيلهم من المتصوفة: أهل الوحدة والحلول والاتحاد، ومن ضاهاهم من أصناف أهل الإلحاد»[٣].

والحقيقة «إن وجود ذات عارية عن جميع الصفات ممتنع، ووجود موجود مطلق لا يتعين ولا له حقيقة يختص بها عن سائر الحقائق ممتنع، وكل ما اختص وتميز عن غيره فلا بد له من خاصة»[٤]، فيعود أمر دعواهم إلى «وجود مطلق لا حقيقة له إلا في الذهن والخيال، أو ذات مجردة لا توجد إلا في الذهن والخيال، أو إلى الجمع بين المتناقضين بإثبات صفات ونفي لوازمها»[٥]، «فإن من لا يتكلم ولا يقوم به علم ولا حياة هو كالموات، بل من لا يقوم به الصفات

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢/ ٩٥ ـ ٩٧.
(٢) انظر: التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، ابن تيمية، ص٨ ـ ١٥، والصفدية، ابن تيمية، ١/ ١١٦ ـ ١١٧.
(٣) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية، ١٠/ ٢٨٢.
(٤) شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، ص٥٧.
(٥) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ٥/ ٥٧.

فهو عدم محض، إذ ذات لا صفة لها إنما يمكن تقديرها في الذهن لا في الخارج»[١].

وقد قسَّم العلماء الوجود المطلق إلى أقسام منها: أن يكون مطلقًا بشرط الإطلاق، وإما مطلقًا بلا شرط. يقول (ابن تيمية): «لو عنى به المطلق بشرط الإطلاق فلا وجود له في الخارج، فلا يكون للحق وجود أصلًا، وإن عنى به المطلق بلا شرط: فإن قيل بعدم وجوده في الخارج فلا كلام، وإن قيل بوجوده فلا يوجد إلا معينًا، فلا يكون للحق وجود إلا وجودَ الأعيان. فيلزم محذوران؛ **أحدهما**: أنه ليس للحق وجود سوى وجود المخلوقات. **والثاني**: التناقض، وهو قوله إنه الوجود المطلق دون المعين. فتدبر قول هذا؛ فإنه يجعل الحق في الكائنات: بمنزلة الكلي في جزئياته، وبمنزلة الجنس والنوع والخاصة والفصل في سائر أعيانه الموجودة الثابتة في العدم»[٢].

ومن صفات مطلق الثيوصوفيين يتبين أنهم تارة يجعلونه مطلقًا بشرط الإطلاق، وتارة يجعلونه عين الموجودات. ولأن مطلقهم لا يوجد إلا في أذهانهم، أنكروا حقيقة تكليم الله لموسى ومحمد ﷺ، وإنزاله للوحي على الأنبياء صلوات الله عليهم. فجعلوا الوحي فيضًا فاض عليهم من المصدر الأول أيا كان اسمه.

وبذلك يكون المذهب الثيوصوفي الباطني ومن اتبعه جامعًا لكل أنواع الإلحاد في الله ووجوده وأسمائه وصفاته. أما أنواع الإلحاد في أسمائه ﷻ التي تنطبق على الثيوصوفيين فهي[٣]:

١ ـ إنكار الوجود الحقيقي للإله، وغاية ما يؤمنون به مطلق وجوده في الأذهان فقط.

٢ ـ تشبيه المخلوقين بصفات الإله، بل تجاوزوا ذلك إلى جعل الموجود الأول هو عين المخلوقين.

٣ ـ تسمية الإله بما لم يسمّ به نفسه، فهو عندهم (المطلق)، و(الجوهر الكوني)، و(الكينونة) وغير ذلك.

---

(١) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، ٥/ ٣٧.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٢/ ١٦٧.

(٣) انظر: القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، محمد العثيمين، ص٢٥ ـ ٢٧.

ولا شك أن إنكار وجود الله ﷻ، وألوهيته يقود إلى إنكار جميع أركان الإيمان، فقد أنكر الثيوصوفيون وجود الملائكة التي خلقها الله تعالى، واعتقدوا أنها مجرد قوى خير في النفس، وأنكروا الكتب السماوية التي نزلت من عند الله واعتبروها أقوال حكماء لها باطن وأسرار، وأنكروا إرسال الرسل وعدّوهم بشرًا وصلوا إلى مراحل عليا من الوعي والاستنارة، كما أنكروا اليوم الآخر وقالوا بتناسخ الأرواح، وأنكروا القدر وقالوا أنه خاضع لإرادتهم وحكمهم، وقالوا بقانون (الكارما) وغير ذلك، وهي ضلالات متوقعة[١] لمن اتبع غير سبيل المرسلين، وأقحم عقله وأعمل خياله؛ ليصل من خلال ذلك إلى أهم معارف الوجود.

ولو أنهم عرضوا أقوالهم على ميزان العقل الصحيح لرفضها، ولو بذلوا جهدهم في تصور حقيقة مقالتهم لنبذوها، ولكنهم اتبعوا الهوى وآثروا العمى ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾ [الصف: ٥].

قال (ابن تيمية) في بيان عرضه لحقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية: «اعلم ـ هداك الله وأرشدك ـ أنّ تصور مذهب هؤلاء كافٍ في بيان فساده ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة، بل وهم أيضًا [أصحاب الفكر الباطل] لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه، ولهذا يتناقضون كثيرًا في قولهم، وإنما يتخيلون شيئًا ويقولونه أو يتبعونه، ولهذا قد افترقوا بينهم على فِرَق، ولا يهتدون إلى التمييز بين فِرَقهم، مع استشعارهم أنهم مفترقون، ولهذا لما بيّنتُ لطوائف من أتباعهم ورؤسائهم حقيقة قولهم، وسر مذهبهم، صاروا يعظمون ذلك. ولولا ما أقرنه بذلك من الذم والردّ لجعلوني من أئمتهم، وبذلوا لي من طاعة نفوسهم وأموالهم ما يجل عن الوصف، كما تبذله النصارى لرؤسائهم، والإسماعيلية لكبرائهم، وكما بذل آل فرعون لفرعون»[٢].

---

(١) ولعلها تكون مجال دراسات مستقبلية تتبع أقوالهم في هذه القضايا الإيمانية بعد أن كانت هذه الدراسة متخصصة في (قضية الألوهية).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية، ٤/ ٨.

المطلب الثالث

محاولات التوفيق بين الفكر الثيوصوفي والإسلام

الفلسفات الباطنية، والفكر الثيوصوفي بخاصة ـ كما اتضح في فصول ومباحث هذه الدراسة ـ لا يتوافق مع الإسلام في شيء، فالأصول متنافرة، والغايات متباينة، والمناهج متعارضة، ومحاولة الجمع بين الإسلام وأضداده الفكرية على امتداد التاريخ لم تكن إلا ضربًا من إضاعة الوقت والجهد عند المفتونين، أو العبث بعقول الناس والتدليس عليهم عند الباطنيين، وقد حفظ تاريخ حضارة الإسلام محاولات يسمونها (توفيقية) وهي في حقيقتها (تلفيقية) حاولت التلفيق بين الإسلام والفلسفة وباءت بالفشل؛ كمحاولة إخوان الصفا، ومحاولات (الفارابي) و(ابن سينا) ـ وبعدهما (ابن رشد)[1] [٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ] ـ في التوفيق بين عقائد الإسلام الراسخة والإلٰهيات اليونانية وبخاصة أفكار (أرسطو)[2] [٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م] عن الوجود والإلٰه والكون.

---

(١) هو: الفيلسوف محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي، عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة. وصنَّف نحو خمسين كتابًا.
انظر: الأعلام، الزركلي، ٥/٣١٨.

(٢) هو: فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر المقدوني. له كتابات في العلوم =

والمقصود بالتلفيق: إدخال عناصر دخيلة على العقيدة الإسلامية النقية، أو مزج بعض عقائدها بغيرها من الفلسفات، أو صرف عقائدها الإلٰهية وأحكامها الشرعية إلى أهداف وقيم تبدو منطقية ونافعة للإنسان. وهذا هو ما تسعى إليه مراكز الثيوصوفيا الباطنية اليوم، سواء بنتاجها الفكري في الكتب والمواقع الإلكترونية العربية[١]، أو بنتاجها التطبيقي الموجه للعامة. ونصيبها في الفشل كنصيب السابقين فيما هو موجه إلى المثقفين المسلمين، الذين غالبًا ما يدركون بوضوح زيف وحقيقة هذا التلفيق، إلا أن حركة العصر الجديد التي توجه تطبيقاتها لعامة الناس وبسطائهم نجحت في ترويج هذا الفكر (الملفق) ولبّست على كثير من الناس، فسرت المعتقدات الثيوصوفية والمصطلحات الهندوسية التي تبنتها بينهم بينما هم غير منتبهين لهذا، يظنون أن الأمر لا يطال عقائدهم ولا يتوجه لدينهم. وقد نهجت الحركة وأتباعها المفتونون بها من المسلمين العرب إلى ترويج الفكر الثيوصوفي من خلال إدخال الناس في تطبيقات وممارسات لجوانب الفكر بظاهر حيوي تدريبي أو استشفائي. ويمكن تمييز مسلكين في محاولات التلفيق:

الأول: ما سُمي بـ(**الأسلمة**)[٢]، وهو استخدام الألفاظ الشرعية الصحيحة للدلالة على المعتقدات الثيوصوفية الملحدة، والتأويل الباطني للنصوص الشرعية الصحيحة، ليظن العامة دلالتها على ما يروج له، أو استخدام أدلة شرعية غير صحيحة وإيهام عامة الناس بصحتها، أو هي استخدام الألفاظ الفلسفية الكفرية في السياق الإسلامي، لإيهام القارئ والمستمع بموافقتها للدين الإسلامي.

الثاني: وهي محاولة الاستدلال على صحة معتقدات الثيوصوفي بزعم

= الفيزيائية والمتيافيزيائية، وعلم النفس، والأخلاق، والسياسة، والأحياء، والأدب والبلاغة وغيرها. انظر: The Dictionary of Philosophy, Dagobert D. Runes, 20.

(١) من أشهرها موقع معابر (www.maaber.org)، تم التعريف به في توطئة هذا المبحث.

(٢) ينتبه إلى أن مصطلح (الأسلمة) يُستخدم أيضًا للدلالة على توجه صحيح، ينظر ببصيرة ونقد للأفكار والنظريات والفلسفات الوافدة من الحضارات المختلفة، فما كان منها صحيحًا قبله وما كان باطلًا رفضه، ثم ينظر إن كان لما قُبل أصل في ديننا أخذوه من المصدر الحق وأبرزوه ووضعوا قواعده، وما لم يكن له أصل نظروا فيه وفرّقوا بين ما لم يكن متعارضًا مع الدين، وبين المعارض المخالف له. وهو ما يسمى علميًا (التأصيل الإسلامي للعلوم).

مطابقتها للمكتشفات العلمية الحديثة، والنظريات المستجدة في حقل العلوم الكونية؛ إما بأدلة زائفة في أصلها لم يقل بها العلم ولا يعترف بها في ساحاته، أو أدلة صحيحة لكنها لا تدل على ما يزعمونه إلا بظاهر من التدليس يخفى على العامة ويشتبه على كثير من الناس.

ولمحاولات (التلفيق) هذه أهمية كبيرة فيما يتعلق بـ(قضية الألوهية) في الفكر الثيوصوفي التي يتمحور حولها هذا البحث، الذي بينت فصوله حقيقتها وأثبتت أنها ألوهية غامضة مجهولة، سلبية عدمية، لا تعترف بالربوبية وتصرف عن التعبد لله، وإفراده بالألوهية. وهذا كاف في بطلانها وانصراف الناس عنها بمجرد تصورها تصورًا صحيحًا، ولكن (التلفيق) زيّف الحقيقة، فمارس الناس تطبيقات الفلسفة الثيوصوفية وهم لا يدركون حقيقة ما يفعلون، ولا ينتبهون إلى ابتعادهم التدريجي عن تعاليم دينهم. وهنا يكمن الخطر الحقيقي، فقد راج تحت اسم (التنمية البشرية ـ Development of Human Potential أو Personal Development) مفهوم تأليه الإنسان، وتفريغ معنى الألوهية الحقة لله من مضمونها، من خلال البرامج التي قُدمت بالتزامن مع الاهتمام العالمي ببناء الإنسان، والاستفادة من القوى البشرية وتطويرها، انتشرت برامج متنوعة فُتن بها مسلمون في العالم الإسلامي، وحاولوا تهميش فلسفاتها أو التغاضي عنها أو التلفيق بينها وبين مفاهيم الدين الإسلامي بدعوى (أسلمتها) وجعلها متوافقة مع الدين.

ومن أشهر هؤلاء وأبرزهم رجل كويتي اسمه (صلاح الراشد)[١]، يملك ويرأس اليوم مؤسسات كبرى لدعم الفكر الثيوصوفي في العالم الإسلامي، وتقديم مروجي فكره كـ (شوبرا ـ Chopra) وغيره على أنهم معلمو البشرية المعاصرون[٢]. وهكذا تسربت كثير من المفاهيم الفلسفية الملحدة،

---

(١) وهو أحد أبرز رواد ترويج الفكر الثيوصوفي وتطبيقات حركة العصر الجديد في العالم الإسلامي، عبر مركز (الراشد للتنمية البشرية)، ومنظمة سلام انترناشونال. وموقعه على الشبكة (www.alrashed.net)، وحسابه في شبكة (تويتر) للتواصل الاجتماعي (@salrashed) زاخر بما يدعو إليه.

(٢) كتب في الخلف من كتابه «قانون الجذب»: «في الحقيقة، فإني أضيف لهذا الإصدار كلما راجعته؛ لأني في كل يوم أكتشف معلومة جديدة، خاصة مع هذه الموجة غير المعهودة مؤخرًا في الغرب لهذا العلم، والذي يقوده أناس مثل: أيستر وجيري هيكز (Hicks) =

والمصطلحات الهندوسية دون انتباه من الناس إلى حقيقة ما يمارسون أو يرددون أو يعتقدون، وقد يقعون في الكفر، ويعتقدون الباطل وهم غافلون.

ومن أمثلة ذلك: تأليف أحدهم لكتاب بعنوان «الكارما في الإسلام»[١]، وتفسير آخر الخشوع في الصلاة بـ(النرفانا)، وادّعاء ثالث أن الوحي هو نوع من المعرفة الباطنية، وانتشار اليوجا والتأمل التجاوزي بين فئام من المسلمين[٢].

والحقيقة أنه لا بد أن نفرق بين ما يمكن (أسلمته) وبين ما لا يمكن بحال، فالنصرانية، واليهودية، والبوذية، والطاوية، والكفر بالله ﷻ هي في أصولها باطلة، فلا يمكن أن ننقي عقيدة التثليث من الدخن، ونقبل من عقيدة التثنية بعض تطبيقاتها، ونقبل من الماسونية دعوتها للإخاء والمساواة والحرية ونحاول تنقيتها[٣]! وإنما نرد الكفر كله ونُقبل على الوحي المعصوم، نستلهم منه خير الدنيا والآخرة.

ومن المعلوم أن عامة الناس من القديم يغترّون ببعض الحق المبثوث في الباطل وينخدعون به، ومنهم من يتبنى الباطل كله، ولا يأبه بموافقته لمعتقده أو لا، ومنهم من يظن أنه يوافق دينه، وقليل هم من يعرضون عن هذا الباطل، وأقل منهم من يتصدون لفضحه والتحذير منه، وقد حدث هذا مع الفلسفة الوافدة من المنطق اليوناني من قبل.

قال (ابن تيمية): «كتب المنطق اليوناني فيها من الباطل والضلال شيء كثير، ومن المسلمين من اتبعها مع ما ينتحله من الإسلام وهم الفلاسفة، ومنهم من لم يقصد اتباعها ولكن تلقى عنها أشياء يظن أنها جميعها توافق الإسلام وتنصره، وكثير منها تخالفه وتخذله مثل أهل الكلام، ومنهم من أعرض عنها إعراضًا مجملًا، ولم يتبع من القرآن والإسلام ما يغني عن كل حقها ويدفع

= ولين ماجتاجريت (Mctaggart) وديباك شوبرا (Chopra) ووين داير (Dyer) وآخرين كثر...». انظر: قانون الجذب، صلاح الراشد.

(١) مؤلفه: نايف الجهني، وهو منشور في الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان.

(٢) انظر: المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة، فوز كردي، ص٥٩ وما بعدها.

(٣) انظر: المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة، فوز كردي، ص٧١.

باطلها، ولم يجاهدهم الجهاد المشروع، فهذا حال كثير من أهل الحديث والفقه»[1].

والصواب: أن يجاهدوا الجهاد المشروع، وينصحوا بنبذ الباطل والإقبال على المنبع الصافي من كتاب الله وأسأل الله أن تكون دراستي هذه سهمًا في هذا الباب.

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٩/٢٦٥ ـ ٢٦٦ (بتصرف).

الخاتمة

كانت هذه الدراسة عرضًا ونقدًا للفكر الثيوصوفي الحديث وموقفه من قضية الألوهية، تتبعت أصول الفكر، ومبادئه، ومصادره للمعرفة، وأبرزت حقيقة معنى الألوهية فيه، وفيما يلي أعرض أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة:

١ ـ الفكر الباطني الحديث هو امتداد للفكر الباطني القديم الذي هو: مزيج ملفق من معتقدات متعددة متباينة ومتناقضة أحيانًا، يجمعها الاعتقاد بأن لكل ظاهر معنى باطنيًا خفيًا، والظن بإمكانية الوصول إلى أسرار العالم وغيبياته بالوسائل الباطنية الغنوصية.

٢ ـ الثيوصوفيا صورة حديثة من الفكر الباطني القديم، روّجت لها في العصر الحديث جمعية الثيوصوفي في الولايات المتحدة الأمريكية، وبجهود من (هلِنا بلافاتسكي ـ Helena Blavatsky) في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وهي حركة تلفيقية انتقائية، تقوم على انتقاء فلسفتها من عدة مصادر باطنية، أهمها: الفلسفات الشرقية والغنوصية النصرانية والكبالا اليهودية.

٣ ـ تبنت جمعية الثيوصوفي العقائد الباطنية في الألوهية وعرضتها في قوالب تناسب الثقافة الغربية، وهي تهدف إلى التوفيق بين الأديان تحت (عقيدة وحدة الوجود) التي تزعم أنها لُب جميع الأديان وباطنها المقدس.

٤ ـ أهم مبادئ جمعية الثيوصوفي الاعتقاد بأن جوهر الكون هو وجود مطلق، وأن الكون يُمثل وحدة كاملة يعتبر الإنسان جزءً منها، ومن ثم فهو يحمل صفات المطلق العظيمة، فإن عمل على تطويرها حققت له صفاتٍ تماثل صفات

الإِلٰه ـ والعياذ بالله ـ، وحققت له الاتحاد بالمطلق. فالاعتقاد بالتطور المطرد للكائنات بما فيها الإنسان أساس في الثيوصوفيا وتعاليمها.

٥ ـ المصدر الوحيد الموصل إلى المعارف والحقائق الغيبية هو الوحي المعصوم، ولا سبيل إلى معرفة الله ﷻ وما يستحق من ربوبية وألوهية من غير طريق الوحي والاستمساك به، فيصح الاعتقاد أو يضلّ بحسب القرب والبعد عنه. ولما اعتمدت الثيوصوفيا على مصادر باطلة في محاولة معرفة الغيب، تتمثل في التجربة الباطنية الغنوصية؛ كالحدس والاستبصار، والمنقول الباطني في الكتب الهندوسية، وتلَقي المعرفة عن طريق السادة المستنيرين، ضلّ أهلها وأضلوا الناس.

٦ ـ التبعية لمسائل عقدية أو أسس فكرية وتلقيها من مصادر معينة أمر موجود في كل ديانة ومذهب واتجاه، صحيحًا كان أم باطلًا، نافعًا أو ضارًا. حتى المذاهب الإلحادية التي تنكر الاتباعية والتلقي تنتسب إلى مبادئ معينة؛ والثيوصوفيا خير مثال في ذم التبعية وإنكارها للتلقي من الوحي ومن أي مصدر خارجي، واعتمادها في المقابل على التلقي من مصادر شرقية وكائنات خيالية.

٧ ـ وصف غير الله بـ(الألوهية) في العقيدة الإسلامية يكون من باب مجاراة المشركين في تعبيرهم عن معبوداتهم، وتسميتهم لها (آلهة)، أو من باب وصف حقيقة ما يفعلونه عندما يصرفون لشيء ما لا يستحقه إلا الله ﷻ، وإن لم يعترفوا بتأليههم له. وكل ما يُؤلّه من دونه تعالى هو في الحقيقة طواغيت مخلوقة، أو موجودات موهومة لا وجود لها إلا في الأذهان. ومن هذا السياق تظهر حقيقة الألوهية في الفكر الثيوصوفي.

٨ ـ عقيدة الألوهية في الفكر الثيوصوفي عقيدة لا وجود لها على الحقيقة، فهي مجهولة وغامضة، موصوفة بالسلب والعدم، وما كان انتشارها إلا لأنها تُعرض بتأويلات باطنية وتدليس ديني أو علمي، وإن تجلية حقيقتها كافٍ في بيان بطلانها، وصرف الناس عنها.

٩ ـ كان للترجمة الخاطئة والمضللة دور كبير في نشر أفكار الثيوصوفي ومعتقدات أتباعها المعاصرين عبر تلبيس الألفاظ الكفرية بألفاظ إسلامية والمزج بين معانيها.

١٠ ـ انحسر دور جمعية الثيوصوفي المباشر في نشر الفكر الباطني في

القرن العشرين لأسباب عديدة، أهمها: المجاهرة بالعداء للدين، ولكن أثرها غير المباشر امتد إلى العالم الإسلامي، وبدأ يتغلغل فيه عن طريق الحركات الروحية التي تأسست على فكرها، وأهمها: حركة العصر الجديد، التي قامت بنشر مبادئها عبر استخدام المنهج الباطني المزاحم لا المواجه.

١١ ـ حقيقة الألوهية في الفكر الثيوصوفي ليس (حكمة إلٰهية ـ Theosophy) وإنما (حكمة الشيطان ـ Demonosophy) كما وصفها من خبرها ورأى خبثها، وتتبع خطر منهجها على الدين قبلنا.

هذا؛ وإنني أوصي الباحثين من بعدي إتمامًا للفائدة، واستكمالًا للجهد بما يلي:

١ ـ مضاعفة الجهد في التصدي للفكر الباطني الحديث، والعمل على الحد من تسلله في الأمة الإسلامية عبر كشف حقيقته في قضية الألوهية ومتعلقاتها. فلا تزال الأمة ولله الحمد ولا يزال المسلمون يعظّمون الله ﷻ، ومعرفتهم بحقائق هذه الفلسفات كفيل بصرفهم عنها.

٢ ـ التحذير من المصادر الباطلة في معرفة الغيب وخصوصًا المعرفة الباطنية، وبيان طرائقها التي تروَّج عبر تطبيقات حركة العصر الجديد.

٣ ـ استمرار البحث والدراسة للفكر الباطني المعاصر وحركاته وتطبيقاته المتعددة، وموقفه من باقي قضايا الاعتقاد، حيث خُصصت هذه الدراسة للبحث في (قضية الألوهية). ولا يزال الاعتقاد بالكتب والنبوات وعقيدة الجزاء وغيرها بحاجة إلى دراسات متخصصة.

٤ ـ دراسة العقائد المتعلقة بعقيدة وحدة الوجود الباطنية، وصورها المعاصرة التي نشرتها الثيوصوفيا؛ مثل: الاعتقاد بالتطوّر المطرد، والاعتقاد بوعي كل ما في الكون. فإن ترويجها بالطرق الباطنية كثير جدًّا عبر وسائل الإعلام الحديثة.

٥ ـ البحث في الصور المعاصرة لعقيدة الاتحاد الباطنية؛ مثل: قوة الآن، والاستنارة الروحية، وغيرها مما بدأ تسريبه، من خلال من لوثت الفلسفة فكرهم من المسلمين.

٦ ـ دراسة مكانة الإنسان في الثيوصوفي والفكر الباطني الحديث، والنظرة

الباطنية له ولقدراته، وخطورتها على عقيدته وسعادته الحقيقية في الدارين.

٧ ـ دراسة الإلحاد الباطني الروحاني، ووسائله، وصوره المعاصرة.

٨ ـ دراسة ما تشيعه الثيوصوفيا على أنه قوانين كونية، مثل قانون الجزاء (الكارما)، وصوره المعاصرة. ومقابلته بقانون الجزاء في الإسلام، وتوضيح الفوارق العظيمة بينهما. حيث تم الخلط الكبير بينهما بعلم وبغير علم.

وختامًا؛

فالحمد لله أولًا وآخرًا، وما بلغته هذه الدراسة هو جهد متواضع لدراسة تمت في الفترة الزمنية المتاحة لي، والله أسأل أن تكون قد حققت أهدافها، وتكون لبنة نافعة في حركة التصدي للفكر الباطني الحديث دعوة لله، ونصرة لدينه، وجهادًا في سبيله.

والحمد لله ربِّ العالمين

فهرس المصادر والمراجع

قائمة المصادر العربية:

- **الإبانة الكبرى**، ابن بطة العُكْبَري، تحقيق: الوليد بن سيف النصر، الرياض، دار الراية للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ.
- **أبجد العلوم**، محمد صديق خان الحسيني، دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ.
- **إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة**، حمود التويجري، الرياض، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٤هـ.
- **إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية**، محمد حسن مهدي، بيروت، الأهلية، ٢٠١١م.
- **أديان الهند الكبرى**، أحمد شلبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١١، ٢٠٠٠م.
- **الاستقامة**، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، المدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٣هـ.
- **أسرار الحياة**، أوشو، ترجمة: علي حداد، لبنان، دار الخيال، ٢٠١٢م.
- **أصول الإيمان بالغيب وآثاره**، فوز كردي، الرياض، دار القاسم، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- **أصول الصابئة (المندائيين) ومعتقداتهم الدينية**، عزيز سباهي، سوريا، دار المدى، ١٩٩٦م.
- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- **الأعلام**، الزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- **أفلوطين عند العرب**، تحقيق: عبد الرحمٰن بدوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصري، ١٩٥٥م.
- **الإلحاد في الغرب**، رمسيس عوض، القاهرة، سينا للنشر، ١٩٩٧م.
- **الإيسوترك**، أحمد توفيق حجازي، عمّان، كنوز المعرفة، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.
- **البوذية**، عبد الله نومسوك، الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، ابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.
- **تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون**، عمر فرّوخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٣م.
- **تاريخ الفلسفة اليونانية**، يوسف كرم، بيروت، دار القلم.
- **التاريخ الوسيط**، نورمان كانتور، ترجمة وتعليق: قاسم عبده قاسم، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط٦، ٢٠٠١م.
- **تجريد التوحيد المفيد**، تقي الدين المقريزي، تحقيق: طه محمد الزيني، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
- **تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام**، عبد العزيز بن باز، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط٢، ١٤٣٢هـ.
- **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، أبو الريحان البيروني، بيروت، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- **تخريج العقيدة الطحاوية**، الطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٤هـ.
- **التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع**، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، الرياض، مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
- **تراثنا الروحي**، سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ترجمة: محمد غنيم، بيروت، دار الساقي، ٢٠١٢م.

- **التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية**، هيفاء الرشيد، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

- **التعريفات**، الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

- **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٩هـ.

- **تلبيس إبليس**، ابن الجوزي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

- **التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد**، ابن منده، تحقيق: علي بن محمد ناصر الفقيهي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، سوريا، دار العلوم والحكم، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

- **التوضيح والبيان لشجرة الإيمان**، ابن سعدي، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

- **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

- **الجامع الصحيح**، مسلم، بيروت، دار الجيل بيروت، دار الآفاق الجديدة.

- **الحاسة السادسة**، أحمد توفيق حجازي، الأردن، كنوز المعرفة، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

- **الحركات الباطنية في العالم الإسلامي**، محمد أحمد الخطيب، الرياض، دار عالم الكتب، الأردن، مكتبة الأقصى، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

- **حركة العصر الجديد**، فوز كردي، القصيم، الجمعية العلمية السعودية للدراسات الفكرية المعاصرة بجامعة القصيم، ١٤٣٢هـ.

- **حركة العصر الجديد**، هيفاء الرشيد، جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

- **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

- **دراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية**، علي المغربي، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، محمد الأعظمي، الرياض، مكتبة الرشد، ط٤، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
- **دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)**، أحمد جلي، المملكة العربية السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط٣، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
- **دلائل التوحيد**، محمد جمال الدين القاسمي، تخريج: خالد العك، دمشق، دار النفائس، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
- **الرد على الجهمية والزنادقة**، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات.
- **الرد على الجهمية**، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: بدر البدر، الكويت، الدار السلفية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- **الرد على المنطقيين**، ابن تيمية، بيروت، دار المعرفة.
- **الروحية الحديثة دعوة هدامة**، محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة.
- **الزهد**، ابن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد مخلوف، بيروت، دار الفكر.
- **شرح العقيدة الأصفهانية**، ابن تيمية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ.
- **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- **شرح العقيدة الواسطية**، محمد العثيمين، تحقيق: سعد فواز الصميل، الرياض، دار ابن الجوزي، ط٥، ١٤١٩هـ.
- **شرح العقيدة الواسطية**، محمد بن خليل هرّاس، ضبط وتخريج: علوي بن عبد القادر السقاف، الخبر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٥هـ.

- **شرح حكمة الإشراق**، شمس الدين شهرزوري، تحقيق: أحمد السايح، وتوفيق وهبة، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- **صحيح البخاري**، البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة ـ مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ.
- **الصفدية**، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مصر، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- **العبودية**، ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- **عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية**، أحمد القصَيِّر، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- **العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السُّنَّة والجماعة**، ابن تيمية، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، الرياض، أضواء السلف، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- **العقيدة والشريعة في الإسلام**، اجناس جولدتسيهر، ترجمة: محمد يوسف موسى، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق، مصر، دار الكتب الحديثة، بغداد، مكتبة المثنى، ط٢.
- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، السمين الحلبي، تحقيق: محمد التونجي، بيروت، عالم الكتب، ١٤١٤هـ.
- **الغنوصية في الإسلام**، هاينس هالم، ترجمة: رائد الباش، مراجعة: سالمة صالح، (منشورات الجمل).
- **الفتاوى الكبرى**، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن باز، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
- **الفرْق بين الفِرق**، البغدادي، تحقيق: محمد محيي عبد الحميد، القاهرة، دار الطلائع.

- **الفرقان بين الحق والباطل**، ابن تيمية، تحقيق: يوسف غزال، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ابن حزم الأندلسي، القاهرة، مكتبة الخانجي.
- **فضائح الباطنية**، أبو حامد الغزالي، مراجعة: محمد القُطب، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.
- **الفقه الأكبر**، أبو حنيفة، الإمارات العربية، مكتبة الفرقان، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
- **الفكر الشرقي القديم**، جون كولر، ترجمة: كامل حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٥م.
- **الفلسفة الروحية الحديثة**، السيد نصار، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠١٠م.
- **الفلسفة الشرقية**، محمد غلاب، القاهرة، ١٩٣٨م.
- **الفلسفة في الهند**، علي زيعور، بيروت، مؤسسة عز الدين، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
- **الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة**، عمر عبد الحي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
- **فلسفة وحدة الوجود**، حسن الفاتح قريب الله، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- **في سبيل موسوعة فلسفية**، مصطفى غالب، بيروت، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأخيرة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
- **قاموس العقيدة ألف مصطلح في العقائد**، محمد أحمد الحاج، عَمَّان، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.
- **القاموس المحيط**، الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٨، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥م.
- **قاموس المورد**، روحي ومنير بعلبكي، لبنان، دار العلم للملايين، ط٦.
- **قانون الجذب**، **صلاح الراشد**، الرياض، قرطبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.
- **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، مراجعة: لجنة بإشراف سعيد اللحام، تونس، بيروت، دار نوبليس، ٢٠٠٨م.

- **قصة الديانات**، سليمان مظهر، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- **القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى**، محمد العثيمين، الرياض، مدار الوطن للنشر، ط٧، ١٤٣٥هـ.
- **القوانين الروحانية السبعة للنجاح**، ديباك شوبرا، ترجمة: رجا أبو شقرا، لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠١٣م.
- **قوة عقلك الباطن**، جوزيف ميرفي، الرياض، جرير، ٢٠١٤م.
- **الكينونة المتناغمة**، عبد الله حميد الدين، دبي، بيروت، مدارك، ط٢، ٢٠١٢م.
- **لسان العرب**، ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، محمد السفاريني الحنبلي، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
- **ماذا تعرف عن البوذية**، مجموعة من الباحثين، بيروت، الأهلية، ٢٠١٠م.
- **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
- **مجموعة الرسائل والمسائل**، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشيد رضا ومحمد الأنور أحمد البلتاجي، القاهرة، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- **مختار الصحاح**، الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت ـ صيدا، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
- **مدرسة الإسكندرية في الفلسفة والعلم مع ترجمة التساعية الرابعة لأفلوطين**، فؤاد زكريا، الإسكندرية، دار الوفاء.
- **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها**، غالب عواجي، جدة، المكتبة العصرية الذهبية، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
- **المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة**، فوز كردي، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٠هـ.

- **مذاهب فكرية معاصرة**، محمد قطب، القاهرة، دار الشروق، ط٩، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- **المذهب الباطني في ديانات العالم**، لوك بنوا، ترجمة: نهاد خياطة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- **معتقدات آسيوية**، كامل سعفان، القاهرة، دار الندى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، جفري بارندر، ترجمة: إمام إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٣م.
- **معجم الأديان**، جون هينليس، ترجمة: هاشم محمد، مراجعة: عبد الرحمٰن الشيخ، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م.
- **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، عبد المنعم الحنفي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٣، ٢٠٠٠م.
- **المعجم الفلسفي**، جميل صليبا، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.
- **المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية**، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- **المعجم الفلسفي**، مراد وهبة، القاهرة، دار قباء، ١٩٩٨م.
- **المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم**، سهيل زكار، دمشق، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية: إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، القاهرة، دار الدعوة.
- **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- **مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٣، ١٤٢٠هـ.
- **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢هـ.
- **مفهوم الخلاص في الفكر الهندي**، هالة أبو الفتوح، بيروت، التنوير، ٢٠١٠م.
- **الملل والنحل**، الشهرستاني، تحقيق: أمير مهنا، وعلي فاعور، بيروت، دار المعرفة، ط٩، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- **الموافقات في أصول الشريعة**، الشاطبي، تحقيق: محمد إسكندراني، وعدنان درويش، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- **الموسوعة العربية العالمية**، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع.
- **الموسوعة العربية الميسرة**، محمد غربال، دار الجيل، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية.
- **موسوعة الفِرَق والمذاهب في العالم الإسلامي**، مجموعة من المؤلفين، القاهرة، وزارة الأوقاف، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
- **موسوعة الفلسفة**، عبد الرحمٰن بدوي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤م.
- **موسوعة المورد العربية**، منير ورمزي بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.
- **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الموجزة)**، عبد الوهاب المسيري، القاهرة، دار الشروق، ط٣، ٢٠٠٦م.
- **موسوعة لالاند الفلسفية**، أندريه لالاند، ترجمة: خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، بيروت، باريس، منشورات عويدات.
- **موسوعة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب**، أحمد الحصين، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٨هـ.
- **النبوات**، ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
- **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، عمر الأشقر، الأردن، دار النفائس، ط ١٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، علي سامي نشار، القاهرة، دار المعارف، ط٩.
- **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد**، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
- **الوجه الآخر للمسيح**، فراس سواح، دمشق، دار علاء الدين، ٢٠٠٤م.

قائمة المصادر الأجنبية:

- A Dictionary of Religion and Ethics, Shailer Mathews and Gerald Birney Smith, New York: The Macmillan Company, 1921.
- A Dictionary of Some Theosophical Terms, Powis Hoult, London: The Theosophical Publishing Society, 1910.
- A Treatise on Cosmic Fire, Alice A. Bailey, Lucis Trust,1998.
- An Encyclopedia of Religion, Vergilius Ferm, New York: The Philosophical Library, 1945.
- An Introduction to Esoteric Principles, William Doss McDavid, Theosophical Society in America, 4th edition, 2008.
- An Outline of Theosophy, C. W. Leadbeater, London and Benares: Theosophical Publishing Society, 1902.
- Anti-Christians Cults, A. H. Barrington, Milwaukee, Wis: The Young Churchman Co., London: Sampson Low, Marston & Co., 1898.
- Century Dictionary And Cyclopedia, William Dwight Whitney, New York: The century Co.
- Children of the New Age - A History of Spiritual Practices, Steven J. Sutcliffe, London- New York: Routledge, 2003.
- Deity, Cosmos and Man, Geoffrey Farthing, Published in the late 1900's.
- Demonosophy Unmasked in Modern Theosophy, Mersene Elon Sloan, The Way Press, 2nd edition of abridged text, 1922.
- Earth's Earliest Ages and Their Connection with Modern Spiritualism and Theosophy, G.H. Pember, London: Hodder and Stoughton, 5th edition.
- From Theosophy to Christian Faith, E. R. Mcneile, London: Longmans, Green, And Co, 1919.
- Hinduism, Cybelle Shattuck, London: Routledge, 1999.
- H.W. and F.G. Fowler, The Concise Oxford Dictionary, London: Oxford university press, 7th impression.
- Isis Unveiled, H. P. Blavatsky, Theoophy Trust, 2006.
- Mystics and Messiahs - Cults and New Religions in American History, Philip Jenkins,New York: Oxford University Press, 2000.
- New Age And Neopagan Religions in America, Sarah M. Pike, New York: Columbia University Press, 1893.
- The American Heritage Dictionary of The English Language, Anne H. Soukhanov, Publisher: Jonathan P. Latimer, 3rd edition.
- The Ancient Wisdom, Annie Besant, London: Theosophical Publishing Society, 1897.

- The Cambridge dictionary of philosophy, Robert Audi, Cambridge University Press, 2nd edition.
- The Dictionary of Philosophy, Dagobert D. Runes, New York: Philosophical Library.
- The Gospel of Buddha, Paul Carus, Illustrated by: O.Kopetzky, Chicago and London: The Open Court Publishing Company, 1917.
- The Hidden Dangers of The Rainbow, Constance E. Cumbey.
- The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth: A Historical Perspective, Irmhild Helen Horn, Unpublished Ph. D Thesis, University of South Africa, 1996.
- The Key To Theosophy, H.P. Blavatsky, London: The Theosophical Publishing Society, 3rd edition, 1905.
- The Ocean of Theosophy,William Q. Judge, New York: Theosophical publishing company, London: Theosophical book company, 1898.
- The Perfect Way or The Finding of Christ, Anna Kingsford and Edward Maitland, Boston, Mass: Esoteric Publishing Company, 1888.
- The Secret Doctrine, H.P. Blavatsky, London: The Theosophical Publishing Company, 2010.
- The Skeptic's Dictionary, Robert Todd Carroll, New Jersey- Canada: John Wiley & Sons, Inc, 2003.
- The Theosophical Glossary, H.P. Blavatsky, London: The Theosophical Publishing Society, 2006.
- Theosophy, Annie Besant, London: T.C. & E.C. Jack, Ltd, New York: Dodge publishing co.
- Theosophy, John Algeo, Wheaton-USA: The Theosophical Society in America.
- Webster's Academic Dictionary, U.S.A: G. & C. Merriam & co., Springfield, Mass.
- Webster's New Illustrated Dictionary, Edward T. Roe, LL.B. and Charles Leonard-Stuart, B.A., New York: Syndicate Publishing Company, 1911.

قائمة المصادر الإلكترونية:

- أحمد عمارة والترويج لفكرة تطور الإنسان وإمكانية التنفس تحت الماء، قناة سبيلي في موقع اليوتيوب ـ Sabeily page.
- الثيوصوفيا، سالومون لانكري، من موقع معابر: www.maaber.org.
- الحساب الرسمي لديمتري أفييرينوس على شبكة الفيس بوك: Dimitri Avghérinos.
- الحكمة الإلٰهية ومبادئها الأساسية الثلاثة (مدخل إلى دراسة العقيدة السرية)، ديمتري أفييرينوس، من موقع معابر: www.maaber.org.
- حكمة أوشو، فرج المطري، من موقع معبار: www.maaber.org.
- دراسات ثيوصوفية، جهاد إلياس الشيخ، من موقع معابر: www.maaber.org.
- مسارو أوموتو والتلبيس باسم العلم، سامي حبيب، من موقع سبيلي: www.sabeily.com.
- مفتاح الثيوصوفي، من موقع معابر: www.maaber.org.
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، من موقع المسيري: www.elmessiri.com.
- الموقع الرسمي لمريم نور: www.mariamnour.com.
- موقع الفكر العقدي الوافد ومنهجية التعامل معه: www.alfowz.com.
- About Theosophy, from:www.theosophical.org.
- An Explanation of Unitarian Christianity, D. R. Miano, from: www.americanunitarian.org.
- Andrew Jackson Davis Biography,from: www.spiritwritings.com.
- Catholic Encyclopedia, Theosophy, from: www.newadvent.org.
- Charles Webster Leadbeater - a Biography Study, Gregory John Tillett, from: www.leadbeater.org.
- Collected Writings, H.P. Blavatsky, from: www.blavatskyarchives.com.
- Deepak Chopra on How We Manifest the Universe, from: www.oprah.com.
- Dr.Masaru Emoto, from: www.masaru-emoto.net.
- Emma Curtis Hopkins, from: ww.emmacurtishopkins.wwwhubs.com.
- Encyclopedia Britannica, from: www.global.britannica.com.
- Forum Answers, William Q. Judge, (1889-1890) from: www.theosophy.org.
- Henry Steel Olcott, from: www.theosophical.org.

- History of The Theosophical Soceity, from: International Headquarters of the Theosophical Society In America:www.theosociety.org.
- Investigating the Powers in Man, H.P. Blavatsky, from: International Headquarters of the Theosophical Society In America: www.theosociety.org.
- Law of Attraction Secret - Joe Vitale, Marta Benson, From: www.spirit-essence.-com.
- Life and Work of Geoffrey Farthing, Carlos Cardoso Aveline, 2010, from: www.e-soteric-philosophy.com.
- Life's Mysteries, Osho, From: www.oshofriendsinternational.com.
- Madras city info, from: www.madras.com.
- Man's Latent Power, from: www.teosofia.com.
- Mary Baker Eddy, from: www.marybakereddy.wwwhubs.com.
- Modern Theosophy- An Outline of Its Principles,Claude Falls Wright, 1894, From: www.hpb.narod.ru/Moderntheos.htm.
- Official wesite of the 14th Dalai lama of Tibet: www.dalailama.com.
- Osho International Channel on youtube: Osho: There Are No Devils.
- Osho International Foundation: www.osho.com.
- Phineas Parkhurst Quimby, from: www.phineasquimby.wwwhubs.com.
- Property values in an unequal city, from: www.hindu.com.
- Some Basic Concepts of Theosophy, from: International Headquarters of the Theosophical Society In America:www.theosociety.org.
- The Astral Light, (Meaning of the Term), Henry T. Edge, Theosophical University Press Online Edition, from: www.theosociety.org.
- The Letters of H. P. Blavatsky to A. P. Sinnett, H.P. Blavatsky, from:International Headquarters of the Theosophical Society In America: www.theosociety.org.
- The Objectives of The Theosophical Society, from: International Headquarters of the Theosophical Society In America:www.theosociety.org.
- The Path of Knowing: H.P Blavatsky on Theosophy, Barry Thomson, from: www.theosophy.org.
- The Rosy Cross or Rose Cross, from: www.altreligion.about.com.
- The Skeptic's Dictionary, Robert T. Carroll, from:www.skepdic.com.
- The Theosophical Society International Headquarters, Adyar: www.ts-adyar.org.
- The Voice of The Silence, Blavatsky, from: International Headquarters of the Theosophical Society In America:www.theosociety.org.

- Theosophy: Origin of The New Age, C.C. Martndale, S.J., from: www.Catholic-Culture.org.
- What is Theosophy, H.P. Blavatsky, from:www.blavatsky.net.
- What is Theosophy?, Pablo D. Sender, 2007, from: www.katinkahesselink.net.
- William Quan Judge, from: International Headquarters of the Theosophical Society In America:www.theosociety.org.

قائمة المحتويات

الموضوع | الصفحة